الوعي الإسلامي

اسلامية - شهرية - جامعة

العدد ٣٩٥ - السنة الخامسة والثلاثون - رجب ١٤١٩ هـ - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨ م



في لقائه بحملة الدكتوراة الكويتيين

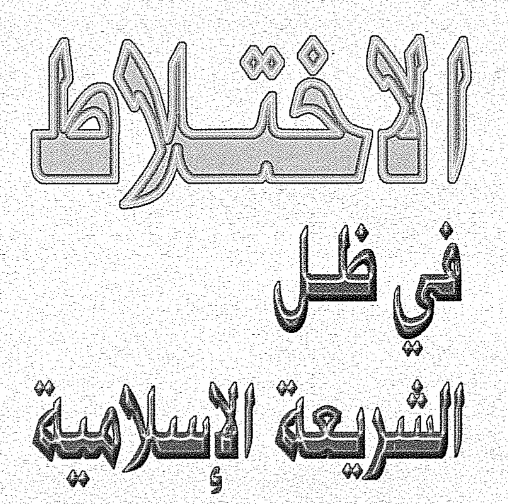
سمو الأمير:

- قضية التربية هي قضية بناء الانسان
- «فنحن جميعا جسم واحد في سفينة واحدة إما أن نحسن التصرف والتدبير فننجو واما أن نسيء التصرف والتدبير فنغرق»

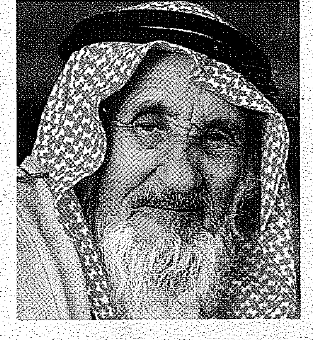


قصة المعراج في الفكر الغربي

الجامعة المفتوحة العربية هل تحقق حلم الوحدة الغائب؟



الاختلاط في ظل الشريعة الإسلامية



رعاية المسنين في الإسلام

أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية

هديتك مع العدد براعم الإيمان

25 عاماً

براعم الإيمان

ملحق مجلة الوعي الإسلامي

العدد الأول - غرة رجب ١٣٩٥ - يوليو ١٩٧٥

فليشهد التاريخ أنا أمة
تحمي الحمى بعقيدة وجهاد

ويتجدد العطاء لأبنائنا الأحباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٥ . السنة الخامسة والثلاثون

رجب ١٤١٩ هـ . أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT

TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

الإسراء والمعراج رباط السماء بالأرض

أعزاءنا القراء:

معجزة الإسراء والمعراج بكل أبعادها وأحداثها وحيثياتها نبع دائم فياض ينهل منه المسلمون عبر القرون والدهور العبر والعظات والدروس التي تفيدهم في حاضرهم وتنير لهم طريق مستقبلهم الزاهر المنشود، إن من واجب المسلمين في العصر الحاضر وهم يعيشون أجواء هذه الذكرى الخالدة في هذا الشهر أن يعودوا إلى هذا المعين الثرِّ يستلهمون منه أسباب العزة والقوة والمنعة، فهذه الرحلة السماوية وثقت الرباط بين السماء والأرض، وجعلت الفوز والنصر والفلاح والتقدم والازدهار حقائق واقعة لا محالة مادام الرباط قائماً، ومن هنا فإن حالنا لن يتغير وقدسنا لن تعود إلينا، إلا حين تهفو قلوبنا من جديد إلى السماء التي صعد إليها صاحب الإسراء والمعراج، واستمد منها مبادئ الرسالة الخالدة، التي تحطمت على صخرتها كل هجمات الكائدين والحاقدين من صليبيين وصهاينة وغيرهم، فهل يدرك المسلمون هذه الحقيقة... هذا ماناًمله والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

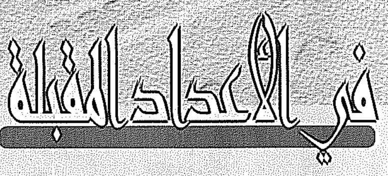
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

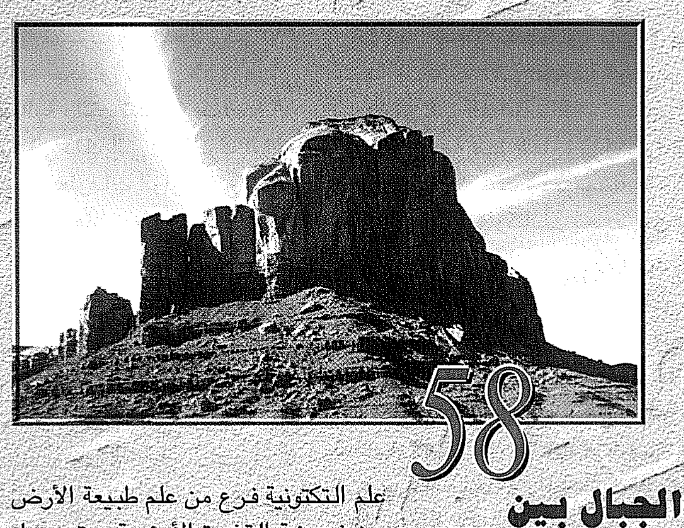
وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد



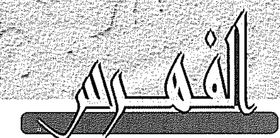
- انتداب الموظفين في النظام الإسلامي — د. محمد ضياء الحق
- من أعلام القيروان - الإمام محمد بن سحنون — د. محمد أبو الأجفان
- آليات المنهج الاستشراقي في دراسات مصنفات علوم القرآن — د. حسن عزوزي
- سمات اتجاه ابن القيم الأصولي — د. عبدالله الخضر
- لماذا حرمت الخمر؟ — محمد الجاهوش
- الانتقاء الجنسي بين تكنولوجيا الجينات والشريعة الإسلامية — د. رضا عبدالحكيم إسماعيل
- من قواعد الإثبات والتحقيق في قصة يوسف الصديق — محمود علي محمد عبدالرحمن

علوم



الجبال بين علم التكتونية والشريعة الإسلامية

علم التكتونية فرع من علم طبيعة الأرض يبحث في بنية القشرة الأرضية... ترى هل الشرع يقر جوانب المنفعة في العلوم التكتونية؟ وهل معجزات الإسلام العلمية حول الجبال تتطابق والدراسات المتخصصة في علوم الطبيعة؟



بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تعقيب وتصحيح

جذبتني مقالة نشرت في العدد رقم ٣٩٣ الصادر في شهر جمادى الأولى ١٤١٩هـ في الصفحات المتتالية والتي تبدأ من صفحة ١٩ حتى ٢٢ ودفعني ذلك إلى أن أحرّك القلم لتصحيح بعض المعلومات الواردة في المقال حيث إن هذه تصحيحات معلوماتية.

أما فيما يتعلق بالطباعة فوجدت هناك أخطاء كثيرة جداً أذكرها فيما يلي:

١ ـ المكتوب فيه «الرئيس بشار الدين حبيبي» والصحيح «بحر الدين حبيبي».

٢ ـ التردد وعدم الاطمئنان في الكتابة حيث أجد اسم «حبيب» للمرة الأولى مكتوباً بلا ياء ويجب أن تزاد في نهاية الاسم وهكذا.

كلمة «ميشومي» ذكرت أيضاً «شيومي» وكلاهما خطأ والصحيح «مشومي»، اقتصاراً لكلمة مجلس شورى مسلمي أندونيسيا.

٣ ـ النقص والخطأ في الكتابة على الخريطة، حيث وردت كلمة«جابا» والصحيح «إربان جايا».

٤ ـ المكتوب فيه «البنشاتلا» والصحيح البنتشاسلا وهي مأخوذة من Pancasila بمعنى المبادئ الخمسة.

٥ ـ وكذلك مكتوب «نهضة الأمة» ولم أسمع بهذه التسمية من قبل، والصحيح نهضة العلماء وفق التاريخ.

٦ ـ وذكر الكاتب أيضاً كلمة جايون والصحيح جاويون وهم السكان الذين يسكنون في جزيرة جاوه.

٧ ـ ثم هناك خطأ في كتابة أرقام التاريخ، فهو مكتوب في ١٩٦٥/٦/٣٠م كما شهده التاريخ.

أما فيما يتعلق بالحقائق، فإني لا أفهم ما كتبه المصنف في جملة «ومع مجيء ـ سوهارتو إلى السلطة والذي تجددت رئاسته للمرة الرابعة هذا العام» (١٩٩٨م) على أن رئاسته استمرت منذ سنة ١٩٦٦م إلى ١٩٩٨م بإقالته وكانت تجدد كل خمس سنوات مرة واحدة.

ومن جانب آخر، فإني أشك في حيدة ونزاهة المصادر التي أخذ منها المصنف، حيث إن جمعية المحمدية تضم في عضويتها نحو عشرين مليون شخص، وجمعية نهضة العلماء تضم بين صفوفها عشرة ملايين شخص، وأعتقد أن المصنف لو كان من رجال الاطلاع على تاريخ أندونيسيا لن يقول ذلك إلا أن تؤخذ الأرقام من الوثائق الرسمية.

وقال أيضاً إن جمعية نهضة العلماء التي تقتصر بـ (NU) لم تكن لها أي تجارب سياسية مع أن هذه الجمعية قد مارست السياسة قبل خروجها من حزب مشومي، وفيما بعد عندما صارت مستقلة عن حزب مشومي وقد شهد التاريخ أنها من أكثر الأحزاب السياسية عضوية بعد حزب الوطن الإندونيسي والمشومي.

ومن جانب آخر قال الكاتب إنها تؤيد الحزب الشيوعي، فكيف يكون ذلك، والرئيس سوهارتو في عهده قام بحل ومنع هذا الحزب ومؤيديه بصرف النظر عما إذا كان قائماً حتى الآن بزعامة حفيده المؤسس الأول عبدالرحمن وربما بشكل سري.

أحمد مفضال مظهر

مدينة البعوث الإسلامية - القاهرة

من هو المسلم؟

المسلم هو ذلك الإنسان الذي يحمل في قلبه كل المشاعر والأحاسيس الطيبة، فإنك تعرفه حين تراه، يأخذ بيد ضعيف ليعبر به الشارع المزدحم بالمواصلات، وتعرفه جيداً حين تراه يمسك بقلمه ليدافع عن حقوق المظلومين، وتعرفه جيداً حين تراه بطلاً جسوراً في المعركة يدافع عن أرضه وعرضه، وتعرفه حين تراه يعرّض حياته للخطر لينقذ إنساناً لا يعرفه قد أوشك على الهلاك، وتعرفه حين تراه يحمل إنساناً لا يعرفه في محاولة جادة لإسعافه، وتعرفه حين تراه يبذل قصارى جهده ليرسم البسمة على شفاه المريض والمحتاج، وتعرفه حين تراه يدافع عن أخيه العربي في قضيته وتعرفه حين تراه متفوقاً في كل أنحاء العالم في مختلف العلوم، وتعرفه حين تراه يفيض قلبه بالحب لكل الناس.

ردود خاصة

● **الإخوة في الجمعية العربية للشباب في هلسنفور ـ الدنمارك:**
مجلة براعم الإيمان ملحقة بمجلة الوعي الإسلامي، ويمكنكم إرسال قيمة الاشتراك وقدره عشرة دنانير كويتية أو ما يعادل ٣٢ دولاراً أمريكياً، ليصار إلى إرسال المجلة إلى جمعيتكم وشكراً على عواطفكم وثقتكم بالمجلة.

● **القارئ مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر ـ مصر :**
حولنا طلبكم لقسم التوزيع والاشتراكات ليصار إلى إرسال العددين المفقودين لديكم.

● **القارئ خالد بن سيف بن علي المنذري ـ سلطنة عُمان :**
أن تضع قيمة الاشتراك في رسالة أمر خاطئ، وغير مضمون، والصحيح إرسال قيمة الاشتراك في شيك إلى إدارة المجلة، كما يمكنك مخاطبة وكيل التوزيع لمعرفة سبب عدم وصول المجلة إلى ولايتكم وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ عبدالله حامد ـ ألمانيا :**
يمكنك إرسال شيك بالمارك الألماني بما يعادل ٣٢ دولاراً أمريكياً لتسجيل اسمكم في قائمة المشتركين.

● **القارئ محمد بو مرداس إبراهيم ـ الجزائر :**
عنوان اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا هي :
Uoif - 20, Rue De Ld Pr´evot´e - 93120 La Xourneuev - France - Tel. 33 1 43 11 10 60 - Fax 33 1 43 11 10 61

حملة دعاية لإقامة جامعات إسلامية في أفريقيا

إنني أتابع مجلة الوعي الإسلامي الكويتية منذ أربع سنوات، وقد وجدت فيها ثقافة إسلامية شاملة وصحيحة، ومن خلال هذا المنبر الإعلامي الضخم، آمل أن تتبنى الوعي الإسلامي حملة دعاية لإقامة أكثر من جامعة إسلامية في القارة السمراء (أفريقيا)، لأن هذه القارة تمثل المستقبل الواعد للأمة الإسلامية، نظراً لأن فيها الآن أغلبية مسلمة في معظم الدول التي تمثل ٥٤ دولة، والتي تعتبر هي وقارة آسيا نصف العالم في المساحة والسكان، فأرجو أن تتبنى الوعي الإسلامي حملة إعلامية لإقامة عدد من الجامعات الإسلامية في أفريقيا، وأن تكون تحت إشراف الأزهر الشريف، بما أنه أشهر وأكبر جامعة إسلامية في العالم بأسره وأقدمها أيضاً، وأحب أن أشير إلى أن قارة أفريقيا هي الأقرب لقلوب العرب والمسلمين جغرافياً ودينياً، وهي قارة المستقبل اقتصادياً، نظراً لأنها أرض بكر.

عادل محمود إبراهيم - مصر

السعادة بين الوهم والحقيقة

تلك القصة العجيبة التي تؤكد أن المال مهما زاد أو تنامى، لا يمكن أن يكون سبباً للسعادة، فكرسيتينا أوناسيس تلك الفتاة اليونانية ابنة المليونير ـ أوناسيس ـ الذي يملك المليارات ويملك الجزر والأساطيل، هذه الفتاة مات أبوها وقبل ذلك ماتت أمها وبينهما مات أخوها وبقيت هي الوريثة الوحيدة مع زوجة أبيها امرأة تملك أكثر من خمسة آلاف مليون دولار بقصورها وسفنها وطائراتها، أليست في مقياس الناس أسعد امرأة في العالم؟؟!!

أما أمها: فقد ماتت بعد حياة مأساوية كان آخر فصولها الطلاق؟!

وأخوها: فقد مات بعدما سقطت طائرته الخاصة التي كان يقوم بألعاب بهلوانية فيها؟!

أما أبوها: فقد اختلف مع زوجته الجديدة ـ جاكلين كندي ـ زوجة الرئيس الأمريكي السابق، ومع ذلك عاش معها في شقاء تام، وكان من بنود عقد الزواج ألا تنام معه في فراش واحد، ولا يسيطر عليها.

وعندما مات اختلفت مع ابنته، ولقد تزوجت أثناء حياة أبيها برجل أمريكي عاش معها شهراً ثم طلقها أو طلقته!!

وبعد وفاة أبيها تزوجت برجل يوناني وعاش معها أشهراً ثم طلقها أو طلقته!!

ثم انتظرت طويلاً تبحث عن السعادة وللمرة الثانية، أغنى امرأة في العالم!! تتزوج برجل شيوعي روسي، يا للعجب!! قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية!!! وعندما سألها الصحافيون أنت تمثلين الرأسمالية فكيف تتزوجين بشيوعي!!، قالت أبحث عن السعادة! وبعد الزواج ذهبت إلى روسيا والنظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمة فجلست تخدم في بيتها، بل في غرفتيها فجاءها الصحافيون وهم يتابعونها في كل مكان، فسألوها: كيف يكون هذا؟! قالت: أبحث عن السعادة، ثم عاشت معه سنة ثم طلقها أو طلقته، ثم بعد ذلك أقامت حفلة في فرنسا، وسألها الصحافيون!؟ هل أنت أغنى امرأة في العالم؟!

قالت: نعم، أنا أغنى امرأة في العالم، ولكني أشقى امرأة!!

وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية تزوجت برجل أعمال فرنسي، وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتاً، ثم طلقها أو طلقته!!

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة وهمّ وبعد فترة وجدت ميتة في شاليه بالأرجنتين لا يعلمون هل ماتت ميتة طبيعية أم قتلت... ثم دفنت بجزيرة أبيها!!

انظر إلى هذه وأمثالها هل أغنى عنها مالها!!

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر - مصر

اقتراح

في البداية أود أن أسجل شكري لأسرة التحرير الفاضلة على ما تبذله من جهود عظيمة أظهرت مجلتنا الحبيبة «الوعي الإسلامي» في ثوبها الجديد. وأود أن أقدم اقتراحاً أرجو أن ينال منكم القبول والإحسان وهو: على السادة كتاب المجلة إزالة للقلق الذي يعتري بعضهم من تأخر بعض المقالات في النشر أرجو من أسرة التحرير بعد وصول أي مقال لها إرسال خطاب لكاتب المقال بقبول المقال على أن يكون هذا القبول وعداً من المجلة بأن يظهر في أحد الأعداد المقبلة، دون تحديد رقم العدد أو الاعتذار عن نشر المقال دون إبداء أي سبب لهذا الاعتذار.

د. خالد سعد النجار - مصر

خاطرة

أول ما يطالع المرء من مجلتكم الغراء كلمة العدد، وهي في كل عدد تحمل معاني وتستدعي خواطر ففي كلمة نشرت أخيراً تحت عنوان: «الأزمة والمخرج»، هذه الكلمة على الرغم من سطورها القلائل وعنوانها الجذاب، إلا أنها لمست وتراً حساساً لدى جماهير الأمة، فقد حصرت الأزمة بسبب «البعد عن جوهر الإسلام وصفاء عقيدته»، والذي نتج عنه «تحكم الطغاة بزمام الأمور في بعض بلداننا الإسلامية والابتعاد عن مسرح الحضارة الإنسانية، وقيادته، كما حددت المخرج في «مراجعة الحسابات، وتقويم الواقع وتحديد أسلوب العلاج والمعالجة على أساس من ثوابت التراث» فإنه باختصار مقرون بصلاح اثنين:

الأمراء والعلماء فإذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة، فدور العلماء بيان جوهر الإسلام وصفاء عقيدته، ومن دون ذلك، فإن الأمر يصبح مشاعاً ومباحاً لكل من هبَّ ودبَّ، وعلى الأمراء تنفيذ البيان والالتزام به.

فإن الله عز وجل يزع بهم ما لا يزع بالقرآن وبالله التوفيق.

وشكراً لكم على سعة صدركم.

قارئ مصري

التخلف العقلي كيف نواجهه؟

التخلف العقلي مشكلة تعاني منها المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على السواء، وفي السنوات الأخيرة تضاعفت جهود الباحثين والمتخصصين في علوم الكيمياء الحيوية، والهندسة الوراثية وعلم النفس من أجل فهم أعمق لهذا المرض ومواجهة أكثر فعالية وأكثر إنسانية لمشكلاته الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. ثبت من خلال الإحصاءات العلمية أن نسبة المصابين بنوع من أنواع التخلف العقلي تبلغ ٣,٥ في الألف لدى الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وأربع عشرة سنة وتزداد هذه النسبة حتى تصل نحو ٦ في الألف بين جميع الأعمار، وهذا في الغالب يكون البلاد الصناعية، حيث تظهر حالات كثيرة من المصابين بالتخلف العقلي بدرجة شديدة عندما يكتشف المدرسون أو علماء النفس والتربية، أن نسبة أولئك المصابين بالتخلف العقلي بدرجة شديدة ليست أكثر من ١٠٪ ممن يمكنهم الاشتغال بمهام بسيطة في مجال الصناعة، أما الباقون وهم ٩٠٪ فلا يستطيعون القيام بأي عمل. حسب مقاييس القدرة العقلية: إن المقياس الشائع لقياس القدرة العقلية هو معدل الذكاء الذي يبلغ عند الناس العاديين مئة نقطة، وعلى هذا الأساس فإن الذين يقل معدل ذكائهم عن سبعين نقطة يعتبرون تحت المستوى العادي والذين يقل معدل الذكاء عندهم عن خمس وأربعين نقطة يعتبرون في حال شديدة من التخلف على مقاييس الكفاءة الاجتماعية، ولكن هذه المقاييس تستخدم بوساطة الأطباء والاختصاصيين والمخططين الاجتماعيين الذين يهتمون بتحديد نوع التخلف العقلي عند الأطفال، لما لذلك من أهمية في التخطيط بالنسبة لمجالات التربية والتعليم، أما بالنسبة للبالغين فإن مقاييس الذكاء تستخدم لتمييز تلك الطائفة من الناس المصابين بالتخلف العقلي حتى تتمكن السلطات المسؤولة من الحجر على حقوقهم المدنية، ومعرفة أين وكيف يعيش أولئك الناس، وهل يسمح لهم أو لا يسمح لهم برعاية أطفالهم، وهل يعفون أم لا يعفون من الاضطلاع بمسؤولياتهم المالية والاجتماعية.

أنواع التخلف العقلي: يوجد نوعان من أنواع التخلف العقلي:

النوع الأول: ويشمل الحالات المرضية الصريحة والتي تكون مصحوبة بعوائق اجتماعية وتعليمية تعوق المتخلف عن القيام بدوره الاجتماعي والتعليمي، وأهم الحالات المرضية من هذا النوع ما يطلق عليه اسم المريض المنغولي، أو مرض «داون» ولكن توجد حالات أخرى نادرة مثل أنواع الشذوذ في تركيب الجمجمة.

أما النوع الثاني: وهو الأكثر شيوعاً فيشمل أولئك الذين يعجزون عن بلوغ المراحل العادية من الأداء الوظيفي الحركي والاجتماعي والعقلي سواء كان هذا العجز مصوحباً أو غير مصحوب بتغيرات مرضية.

وقد تجمعت في السنوات الأخيرة أدلة كثيرة على المتخلفين عقلياً، وهم الذين يزيد معدل الذكاء عندهم على ٥٠ نقطة، قد تتحسن حالهم بعد تركهم المدرسة، وكثير منهم عاديون من الناحية الاجتماعية ويستطيعون إعالة أنفسهم بأنفسهم، وبذلك لايمكن تمييزهم عن الناس العاديين، ولكنهم قلة نادرة فهم قد تضطر السلطات إلى حجزهم في مستشفيات الأمراض العقلية، ولكن لا يعني أن هذه الطريقة هي الوحيدة أو المثلى للتصرف إزاءهم وإنما يعني أن أولئك المرضى يعانون من نوع من العجز يتطلب نوعاً من الرعاية الخاصة لهم ولعائلاتهم طوال بقائهم على قيد الحياة. من الناحية الإكلينيكية يمكن تقسيم التخلف العقلي إلى الأنواع التالية.

١ - الأبلة ويبدو عليه النقص في قواه العقلية منذ ولادته في أغلب الأحيان.

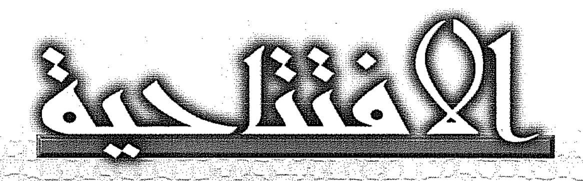
٢ - العبط وهذا يمكن أن يحمي نفسه من الأخطار الخارجية ولكن لا يمكن أن يكسب عيشه بنفسه بسبب ضعف قواه العقلية.

٣ - ضعيفو العقل وهؤلاء تنمو قدراتهم العقلية أكثر من العبط، ولكنهم يحتاجون للمراقبة والعناية وهم انفعاليون بطبيعتهم.

الموقف إزاء التخلف العقلي

في السنوات الأخيرة حدثت ثورة في تفكير الاختصاصيين وسلوكهم إزاء الأشخاص المصابين بالتخلف العقلي فقد ساعدت أجهزة الإعلام المختلفة على جذب الاهتمام بالأبحاث النوعية في مجالات الكيمياء الحيوية وعلوم الجينات والهندسة الوراثية، وعلم النفس مما ساعد كثيراً على فهم مشكلة التخلف العقلي وهناك نقطة مهمة نود أن نلفت النظر إليها هي مسؤولية رجال التربية عن إنشاء المعاهد الخاصة في إيواء المتخلفين عقلياً، حيث يقوم الاختصاصيون بدراسة المشكلات الشخصية، والعائلية والاقتصادية الخاصة بالمتخلفين عقلياً، والعمل على إيجاد الحلول لها عن طريق الاهتمام أولاً بسبل الوقاية ثم نواحي العلاج الطبي والنفسي وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وإنشاء مراكز للتدريب والتأهيل، والعمل على تنمية معدل الذكاء بالوسائل العلمية الحديثة، وبذلك يمكن التقليل قدر الإمكان من الإصابة بالتخلف العقلي وخفض الأعباء التي تطرحها هذه المشكلة على مشكلات الدول النامية.

نبيل حسن عبدالعزيز - سلطنة عمان



رعاية سمو أمير البلاد للعلم والعلماء

بلغ من اهتمام الإسلام بالعلم أن جعل العلماء ورثة الأنبياء، كما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ وكان من حثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن من أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر، وفي الحديث ما معناه، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»، وقد وردت آيات وأحاديث تبين فضل العلم، والحث عليه، والاهتمام به، وسبل تلقينه ونشره، وهكذا، فقد أكد النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المعاني بأنها سبيل إلى الجنة، وذلك في الحديث ما معناه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة».

على درب العلم وهداياته المنيرة، كان دأب صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ـ حفظه الله ـ دأباً مستمراً في رعايته واهتمامه بكسب العلم وتقدير العلماء، وقد تمثل هذا بصور مختلفة متنوعة، شملت مختلف مدارج التعليم والتربية، وتعدت إلى توفير الإمكانات الداعمة لصرح العلم، ولعل أجمل وأبرز صورة لهذا المعنى قيامه على تأسس ورئاسة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، تلك المؤسسة العلمية الرفيعة التي تظهر إسهاماتها لمختلف الأنشطة العلمية ودعم الباحثين، وتشجيع الدارسين ارتقاء بهم لخدمة العلم، ولهذا البلد الطيب، ويترافق مع اهتمام سمو الأمير ـ حفظه الله ـ بتلك المؤسسة العلمية، اهتمامه بجهاز الدراسات في الديوان الأميري، وما قدمه هذا الجهاز من دراسات، كانت موضع العناية والإفادة لشرائح عديدة في المجتمع، ولعله مما يكون على نسق هذا الجهاز، بادرات سموه بتأسيس اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ومكتب الشهيد، ومكتب الإنماء الاجتماعي، وما تقدمه تلك الجهات من أعمال ودراسات في خدمة المجتمع.

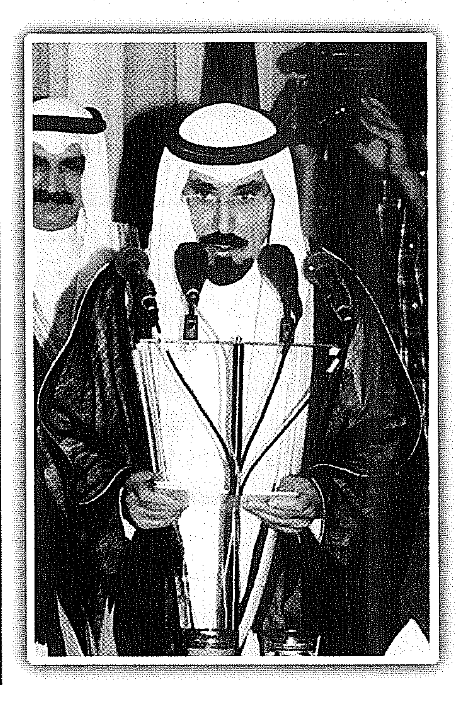
كما يظهر اهتمام صاحب السمو الأمير بارزاً في تكريمه للطلبة المتفوقين كل عام، ودعمه لأنشطة العلم المختلفة، ورعايته للمسابقة الكبرى في حفظ القرآن بإشراف الأمانة العامة للأوقاف، ولعل من عظيم وجليل هذا الاهتمام الرفيع دعوة سموه ـ حفظه الله ـ لأصحاب الشهادات العليا بالعمل الجاد لخدمة الوطن وبيانه لهم إيلاء الاهتمام بقضايا مركزية هي الأمن والتربية والاقتصاد، وذلك في لفتة كريمة منه حفظه الله، بأن أولم لهم يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة، الموافق ٢٨ من شهر سبتمبر ١٩٩٨م، وألقى فيهم كلمة جامعة، جاء فيها الحث على التكاتف والتضامن والمحافظة على الكويت وأمنها واهتمامه البالغ رعاه الله بما يقدمون من اقتراحات وآراء وأن هناك قنوات اتصال لكل ذلك، كما أبدى عنايته ـ حفظه الله ـ بأن نكون مواكبين لتقدم العصر وأنها فرصة مناسبة أن يتم اللقاء ونحن نطل على القرن الواحد والعشرين، ولا شك أن هذا التعبير يحمل في طياته مدى الاهتمام بالمستقبل، وما يجب علينا إعداده رقياً بالبلد، واستقراراً للمجتمع.

إنه مما لا شك فيه، أن عناية صاحب السمو الأمير ـ حفظه الله ـ بالعلم والعلماء، شملت مدى اهتمامه بالتلميذ وطالب العلم المتعلم، وبالأستاذ المعلم، ومنهج التعليم ومؤسسة التعليم، ودور الكفاءات العلمية في علاج مشكلات وقضايا المجتمع، وعليه، فقد جاء اهتماماً شاملاً جامعاً، فطوبى له هذا التكريم، وبارك الله بسموه ـ حفظه الله ـ راعياً للعلم، داعماً للعلماء، وأبقاه سبحانه ذخراً لهذا البلد الطيب الكريم.

الوعي الإسلامي

في لقائه
بحملة الدكتوراة
الكويتيين

سمو الأمير: قضية التربية هي قضية بناء الانسان



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين.

إخواني وأخواتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لعل مطلع القرن الحادي والعشرين فرصة مناسبة، نلتقي فيها على هدفنا الدائم، وهو الحفاظ على الكويت عزيزة كريمة، والنهوض بها دائماً وباستمرار وتحت هذا الهدف نفكر ونجتهد ونعمل.

وأول ما يجب التنبه له أن الكويت قامت على التكاتف والتضامن والتآزر بين سكانها، ونمت وازدهرت طوال مراحل تاريخها على هذه الأسس الراسخة، ونظرة واحدة على تاريخها تظهر بجلاء أنها ليست لفئة دون أخرى، فنحن جميعاً جسم واحد في سفينة واحدة، فإما أن نحسن التصرف والتدبير فننجو، وإما أن نسيء التصرف والتدبير فنغرق.

والحفاظ على الكويت، والنهضة بها، لا تستقل به جهة واحدة، ولا تستطيع حمله شريحة واحدة، مهما أوتيت من القدرة والعبقرية، إنه عمل جماعي تتضافر فيه الجهود وتتآزر له الطاقات، وتتحاور حول الآراء والأفكار.

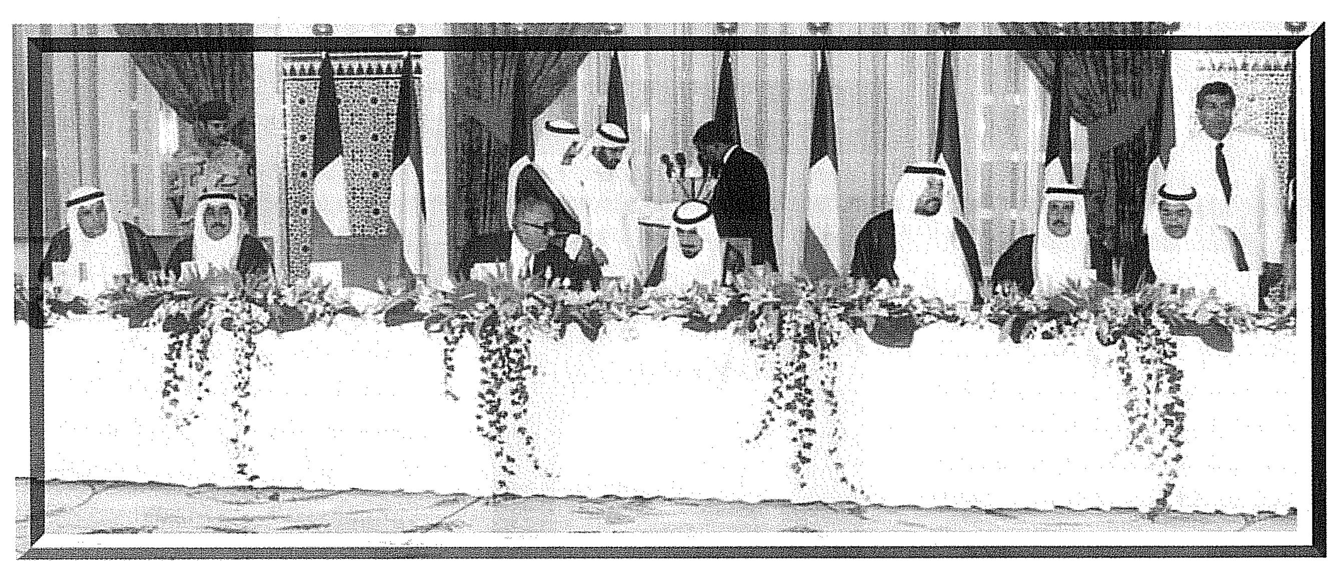
والكويت، بحمد الله، غنية بإنسانها ذكراناً وإناثاً، غنية بخبراتها، وفي نصف القرن المنصرم شهدنا من التطورات المتسارعة ما تمخض عن تجارب ثرية: اجتماعية وتربوية واقتصادية وسياسية وغيرها، بل تجارب الغزو والتحرير، وأصبح لدينا من ذوي الشهادات العليا بعد التعليم الجامعي أعداد كبيرة في جميع التخصصات.

وهؤلاء جميعاً يؤدون أعمالهم، من خلال مواقعهم بأمانة وإخلاص، ولكنني واثق أنهم من خلال خبراتهم وثقافتهم الواسعة، والتخصصية أيضاً، تنطوي صدورهم على كثير من الآراء، وتجول بخواطرهم كثير من الرؤى والأفكار والمقترحات، وهذه الخبرات والآراء والمقترحات هي في الحقيقة ملك الكويت، وملك شعبها، فيجب الاستفادة منها لصالح الكويت وشعبها.

وإذا كانت جماعة من هؤلاء يستطيعون التعبير عن آرائهم والمشاركة بأفكارهم من خلال وجودهم في السلطتين التشريعية والتنفيذية، فإن الغالبية منهم تظل أفكارهم حبيسة نفوسهم، وتبقى رؤاهم داخل صدورهم، ولا يجدون متنفساً لها، ولحوارها والاستفادة بها.

وقضايا الكويت هي قضايا وطن وشعب، منها الآني ومنها المستقبلي، وهما في الحقيقة شيء واحد، لأن المستقبل عما قليل يصير حاضراً، ثم يصير ماضياً.

ولا ريب أن هذه القضايا رغم كثرتها وتشعباتها التي تصعب الإحاطة بها، يأتي



على رأسها في تقديري قضايا ثلاث: قضية الأمن، وقضية التربية، وقضية الاقتصاد، وهذا لا يعني أن قضايانا الأخرى تقل أهمية عنها.

فقضية الأمن هي سياج كل القضايا، فالوطن الآمن قادر على ممارسة مناشط الحياة دون ضغوط.

وقضية التربية هي قضية بناء الإنسان والنمو به، من المهد إلى اللحد، وهي قضية مركزية تضعها الدول المتقدمة في أولى أولياتها، لأنها مقياس الفاعلية والرقي والإبداع.

وقضية الاقتصاد هي في الحقيقة قضية الاستقلال وحرية الإرادة وأن شعباً لا يستند إلى اقتصاد قوي عرضة للزعازع والتبعية أمام الحاح الضرورات، ولقد غدا التنافس الاقتصادي والعلمي اليوم، هو المضمار المفتوح للتسابق بين جميع الدول من أكبرها إلى أصغرها.

لهذا، فإني أدعو المختصين الكويتيين من رجال التربية ونسائها، من ذوي الشهادات العليا أو الخبرات الطويلة... أدعوهم أن يسهموا في رسم سياسة تعليمية متطورة تلبي حاجات الكويت، وطموحات شعبها، وبحيث تكون وثيقة قومية تضع أصولاً جامعة وقواعد عامة، لها صفة الشمول والمرونة، تقبل التكيف مع الجديد، ولا تتغير بتغير المسؤولين، خطة ممتدة للربع الأول من القرن الحادي والعشرين.



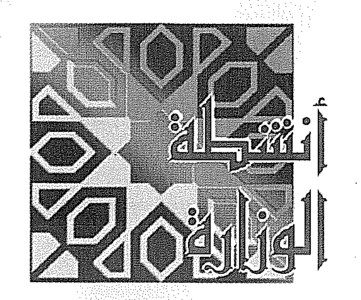
والدعوة نفسها موجهة إلى المختصين في المجالات الأخرى أن يعربوا عن اجتهاداتهم، ويعرضوا مقترحاتهم، خاصة ما يتعلق منها برؤى مستقبلية تستشعر التغيرات العالمية وحركتها الدائمة.

فدعوتي من ثم موجهة للطاقات الكبيرة، والخبرات العميقة، كما هي موجهة للطاقات الشابة الطموحة المستنيرة، حيث أطلب من هؤلاء جميعاً أن يضاعفوا مسؤوليتهم تجاه وطنهم، ويحملوا معي الأمانة ببلورة آرائهم، ثم النظر في أولوياتها والتفكر في أساليب مناسبة وآليات ممكنة لتنفيذها.

ولسوف تكون هناك قنوات اتصال تبلغني هذه الآراء، وتلك المقترحات التي ستشمل كل تخصصات أصحابها، آملاً أن نجعل ذلك قربى لله عز وجل فيما وكله إلينا من أمانة البلاد والعباد... رحم الله شهداءنا، وفك قيد أسرانا، إنه سميع مجيب.

اللهم احفظ هذا البلد، واجعله حصناً من حصونك، وجنداً لدينك، وأيدنا بتوفيقك، وخذ بأيدينا لمرضاتك، إنك على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



في إطار زيارته إلى لبنان

وزير الأوقاف افتتح مدرسة شهداء الكويت الأبرار

افتتح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب يوم ١٩٩٨/١٠/١م، مدرسة شهداء الكويت الأبرار في مدينة طرابلس «لبنان».

وحضر الافتتاح وزير النقل اللبناني عمر مسقاوي ممثلاً عن رئيس الحكومة رفيق الحريري، ومفتي لبنان محمد رشيد قباني وسفير دولة الكويت لدى لبنان، محمد الصلال، وعدد كبير من علماء ومفكري ونواب الشمال.



وقال الكليب في كلمة افتتح بها المدرسة: يسعدني أن أنقل إليكم تحية اعتزاز وتقدير من الكويت أميراً وحكومة وشعباً، للبنان الشقيق لوقفتكم الشجاعة والمبدئية بجانب الحق الكويتي، عندما تعرضت الكويت للغزو العراقي الآثم.

وأضاف: إن هذا الصرح العلمي الكبير قام بتمويل الجزء الأكبر منه أهل الخير والإحسان في دولة الكويت، وبخاصة بيت الزكاة الكويتي،

اجتمع إلى وزير الحج السعودي

الزير: تسيير باصات كويتية في منطقة المناسك

اجتمع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير في جدة يوم ١٩٩٨/٨/٢٣م إلى وزير الحج السعودي الدكتور محمد بن محمد سفر.

وصرح الوكيل الزير أنه سلّم الدكتور سفر رسالة من وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب تتضمن شكر الكويت لما تقدمه الحكومة السعودية للحجاج الكويتيين من خدمات طيبة كما قدم له درعاً تذكارية مقدمة من من وزارة الأوقاف الكويتية إلى الوزير السعودي لمناسبة الاجتماع.

وقال الوكيل الزير إنه جرى خلال الاجتماع بحث التسهيلات الممنوحة من الحكومة السعودية للحجاج الكويتيين.

وأضاف أن الاجتماع الذي حضره القنصل العام لدولة الكويت في جدة جمال الغانم والوفد المرافق للمسؤول الكويتي



تطرق إلى تخصيص أراضي الحجاج في منى وعرفات موضحاً أن الجانب الكويتي التمس حصرها في موقع واحد حتى تتمكن البعثة الكويتية من التعامل مع الحجاج بسهولة ويسر.

وأوضح أن الاجتماع تناول تسيير الباصات الكويتية في منطقة المناسك مضيفاً أن اجتماعاً آخر سيعقد مع المسؤولين في وزارة الحج السعودية في وقت لاحق للوصول إلى حل يتناسب والظروف الدقيقة التي يمر بها موسم الحج.

وقال إن الجانب الكويتي سيكون حريصاً على تطبيق ما يتعلق بالحجاج الكويتيين في حال تسلم أي تعليمات أو أنظمة تصدر عن الحكومة السعودية.

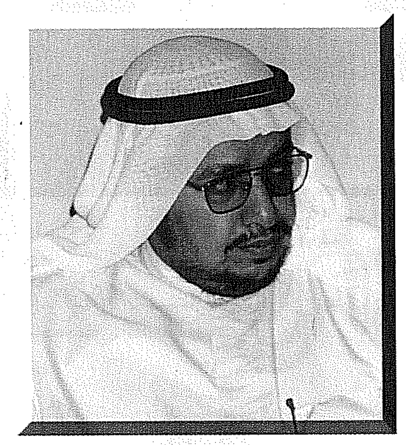
وعبّر الوكيل الزير في ختام زيارته عن شكر الكويت لحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لما تقدمه من خدمات للحجاج الكويتيين وبقية حجاج الدول الإسلامية بما يسهم بتسهيل أدائهم لمناسكهم.

ورافق الوكيل الزير وفد يضم رئيس بعثة الحج في الأوقاف مبارك العجمي ونائبه جاسم الفرحان.

الدكتور الفلاح يشارك في فعاليات المؤتمر السادس حول المخدرات والمواد النفسانية

عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومع منظمة الصحة العالمية، مؤتمرها العالمي السادس للطب الإسلامي تحت عنوان: «المخدرات، المواد النفسانية، التأثير والتدخين، مخاطر تهدد الأجيال القادمة»، وذلك خلال الفترة من ٧ - ١٠ جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ أغسطس - ١ سبتمبر ١٩٩٨م، في مدينة استنبول في الجمهورية التركية برعاية فخامة الرئيس سلميان ديمريل رئيس الجمهورية التركية، وقد شارك الدكتور عادل عبدالله الفلاح الوكيل المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج في وزارة الأوقاف الكويتية، في هذا المؤتمر الذي دُعي إليه ما يربو على سبعين مشاركاً في مختلف التخصصات ذات الصلة بمحاور المؤتمر، وكان الوجود الكويتي متميزاً وفعالاً، وقد اتفق المحاضرون في نهاية فعاليات المؤتمر على جملة من المبادئ العامة من أبرزها:

١ - إن مشكلة معاقرة مواد الإدمان على اختلافها، من مسكرات ومخدرات وتبغ وسائر المواد ذات التأثير النفسي «المواد العقلية»، قد صارت مشكلة عالمية الأبعاد، لا تكاد تنجو منها أي أمة، وأن حلها كذلك لا يتأتى إلا بتكاتف الدول جميعاً عليه، وأن من واجب



الدول الإسلامية أن تكون في طليعة هذا التكاتف العالمي لدرء هذا الخطر الداهم عن لجيل الحاضر والأجيال القادمة.

٢ - إن المخاطر المتعددة التي تهدد البشرية بسبب هذه المشكلة هي أفدح بكثير مما يتصوره كثير من الناس، حتى ضحاياها، ما يستدعي توعية فعالة تنتهج أسساً ومناهج تقوم على أساس علمي صحيح.

٣ - إن الدول الإسلامية بالذات ينبغي أن تكون قدوة في محاربة هذا الخطر تحكمها في ذلك مبادئ من مثل قوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم) وقوله سبحانه: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «لا ضرر ولا ضرار» - أخذاً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - فضلاً عن أن العقل هو مناط التكليف وأحد مقاصد الشريعة الخمسة والعدوان عليه بالتغييب أو التفتير أو أي شكل من أشكال المخاطرة مخالف للشريعة ومجاف لمقاصدها.

٤ - إن مراقبة الله عز وجل والوازع الإيماني والرادع النفسي تؤلف جميعاً خط الدفاع الأول في هذا المجال الذي تفضل فيه الوقاية على العلاج، وهو خط دفاعي ينبغي تقويته وتعزيزه بشتى السبل المكنة.

٥ - إنه لابد لإنجاح مكافحة هذا الوباء من انضمام جميع الدول لاتفاقات الأمم المتحدة الخاصة بمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمواد النفسانية التأثير.

٦ - إن من دواعي النجاح كذلك دعم القرارات التي اتخذتها الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة والتي انعقدت من ٨ - ١٠/٦/١٩٩٨م وكرست لمكافحة المخدرات غير المشروعة والتي من بينها تعزيز الرقابة على المخدرات، والرقابة على سلائف المخدرات، ومكافحة غسيل الأموال والعمل على تخفيض الطلب على المخدرات، والقضاء على محاصيل المخدرات غير المشروعة ودعم جهود التنمية البديلة، ومحاربة المنشطات الامفيتامينية.

- إن الوقاية تصادف فرصتها في النجاح إذا بدأت من الأعمار الصغيرة وقبل أن يقع المحظور، مما يوجب إدراج المقررات التثقيفية حول هذه المواد في مناهج المدارس الابتدائية ومواصلة تدريسها في المرحل التعليمية التالية، والاهتمام بتدريب الأهل والمعلمين والموجهين، ووضع الإجراءات الخاصة بذلك في مرونة تسمح بالاستعانة بالقيم الدينية والأعراف والتقاليد الفعالة في الوقاية أو المعالجة أو فيهما معاً.

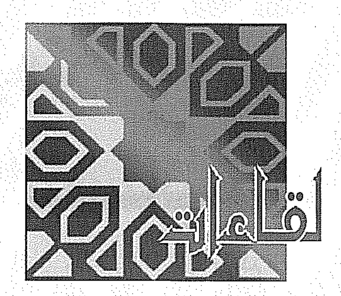
٨ - إن الاهتمام بالأجيال القادمة يحتم أن يهيأ للجنين فرصته في أن يكون رحم أمه محضناً نظيفاً من هذه الأوبئة فتكثف العناية بالمرأة الحامل توجيهاً وعلاجاً.

السفير لاروكو زار المسجد الكبير

قام سفير الولايات المتحدة الأمريكية لدى دولة الكويت جيمس لاروكو وأعضاء السفارة بزيارة للمسجد الكبير. وكان في استقبال الوفد وليد الفاضل مدير إدارة المسجد، ومراقب الزيارات محمد المتعب، ومسؤولو وموظفو مراقبة الزيارات.

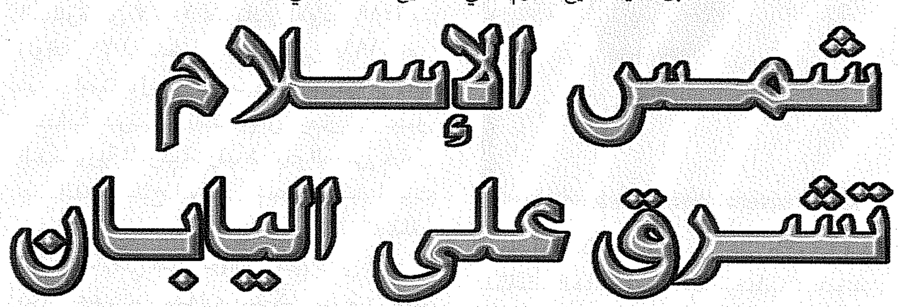
ونظم برنامج خاص للزيارة، اشتمل على عرض فكرة عن بناء المساجد ودور المسجد التاريخي في حياة المسلمين، كما تم عرض برامج وأنشطة المسجد الكبير، ومعلومات عن معالمه ومرافقه، وعرضت صفحات المسجد على شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت»، واشتملت الزيارة أيضاً على جولة ميدانية لأقسام المسجد ومعالمه.

وأعرب السفير لاروكو والوفد المرافق له عن سروره بهذه الزيارة الخاصة، وسطر في سجل الزائرين كلمة قال فيها: «حقيقة المسجد جميل ورائع وتعلمنا الكثير من هذه الجولة التي قضيناها في المسجد الكبير، وأياً كانت فهي ممتعة للغاية، ونتطلع لزيارات أخرى قريباً».



اليابان «بلاد الشمس المشرقة» كما يحلو لأبنائها تشهد منذ فترة زمنية بسيطة شروقاً لشمس الإسلام، ازداد بازدياد أعداد المقيمين القادمين من العالم الإسلامي للدراسة أو العمل، وقد التقت «الوعي الإسلامي» وفد «المركز الإسلامي في اليابان» بعضوية كل من د. صالح مهدي السامرائي، والداعية الشيخ/ نعمة الله، لمناسبة زيارتهما للكويت للتعريف بأحوال الجالية الإسلامية المتنامية في اليابان، ولاستكمال بناء المدرسة الإسلامية الأولى هناك.


● ابن حميد «شيخ الحرم المكي»، الشيخ نعمة الله، في زيارة المركز



شمس الإسلام تشرق على اليابان

تغطية : د. صلاح الدين أرقه دان

انفتاح حديث العهد

يؤكد د. صالح السامرائي أن اليابان لم تعرف شيئاً عن الإسلام إلا منذ أربعة قرون، وهي فترة حديثة بالقياس لمسيرة الإسلام التاريخية، ولعراقة اليابان، ويبرر ذلك بظروف موضوعية تتعلّق بطبيعة العزلة اليابانية وبظروف الامتداد الإسلامي نفسه، فالدعوة الإسلامية التي انطلقت من جزيرة العرب توجهت باتجاهات الدنيا الأربع وكانت حثيثة في رحلتها شرقاً، حيث عبرت إيران فأفغانستان فالصين ثم الهند فملازيا فأندونيسيا فالفلبين ولم تدخل اليابان.

واليابان نفسها لم تكن منفتحة على العالم الخارجي، وبالتالي لم تحتك بالمسلمين ودولهم، وأول معرفة عارضة وقعت منذ ٤٠٠ سنة عندما ترجمت بعض كتب الغربيين إلى اللغة اليابانية، وعرف المثقفون ورجال السلطة شيئاً عن الإسلام، ولكن بشكل ضبابي.

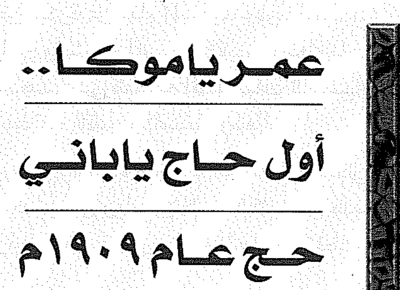
والعالم الإسلامي نفسه انشغل بعد وصوله إلى الفلبين بمعركة الدفاع عن الذات والوجود بعد سقوط الأندلس والتفاف الأسبان والبرتغال لمحاصرته شرقاً، فقد دخلت الجيوش الإسبانية مانيلا «تحريف للفظة أمان الله» وقتلت سلطان سليمان، وكانت حادثة القتل هذه سبباً من أسباب معرفة اليابان بالإسلام وبالنوايا الغربية التوسعية في وقت واحد، وقد انعكس مقتل سلطان سليمان بشكل سلبي على المنصّرين الغربيين ومن استجاب لهم في اليابان نفسها.

التنصير يمهّد للاستعمار

والياباني، كما يؤكد د. السامرائي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدولته ومجتمعه، منذ اعتاد ذلك داخل مؤسسة «السامُراي» ذات التنظيم العسكري الهرمي، وهو ناقل دقيق لكل ما يقع تحت عينه أو أذنه إلى رؤسائه وإلى الجهات المسؤولة في الدولة. وقد نقل التجار اليابانيون إلى حكومتهم ما فعلته جيوش إسبانيا في «أمان الله» مانيلا، وكيفية قتلهم لسلطان سليمان، وأسهم في تعزيز روايتهم، وفي تخوّف الحكومة اليابانية من الغربيين ما نقله موظف رسمي التقى بقبطان سفينة اسبانية جانحة على الشواطىء اليابانية، فقد سأله: «كيف استطعتم، وأنتم قلة قليلة، أن تنتشروا في جنوب أمريكا وهي قارة ضخمة»؟ وكان جواب القبطان المتباهي: «إننا نرسل المنصّرين قبل الجيوش العسكرية، فإذا انتشرت النصرانية أرسلنا جيوشنا، ولم يعد للأمم المحتلة أمل في الفكاك من قبضتنا».

كان هذا الجواب بالإضافة إلى ما وقع من مذابح في الفلبين، كافياً ليأمر الإمبراطور بإيقاف عمل المنصّرين، وإكراه اليابانيين الذين تنصّروا على العودة إلى ديانة آبائهم، وعادت الإمبراطورية إلى العزلة لمدة زادت عن ٢٥٠ سنة خوفاً على استقلالها الذي تهدده جيوش المنصّرين وجيوش المقاتلين.

ولم يعد من اتصال بين اليابان والعالم الخارجي، إلا من خلال بوابة التجارة في البرّ الصيني، ولم يكن الاحتكاك العابر كافياً للفت نظر اليابانيين إلى الإسلام، كما أن المسلمين أنفسهم لم يلتفتوا إلى اليابان ولم يولوها اهتمامهم كما فعلوا في المناطق الجغرافية الأقرب منها إليهم كالهند والصين مثلاً، وبقيت صورتها ضبابية في كتاباتهم وأدبياتهم، فهل هي «الواق واق» كما ورد عند بعض الرحّالة العرب، وبالمناسبة؛ يطلق اليابانيون على قراصنة البحار لفظة «واكو واكو» Waku Waku.



عمر ياموكا.. أول حاج ياباني حج عام ١٩٠٩م

ولو قدّر الله تعالى للإسلام أن يصل إلى الجزر اليابانية كما وصل قبلها إلى الفلبين لدخلها كما «تدخل السكين في البطيخ» بحسب قول د. السامرائي، إذ أن اليابانيين يتحرّكون ككتلة واحدة، وما يقنع به كبير القوم يتبعه به الآخرون. وفي ثقافتهم أمور كثيرة تتشابه مع ما دعا إليه الإسلام من الأدب وحسن الخلق، والكلام هذه المرّة للشيخ نعمة الله.

اليابان والدولة العثمانية

قدّر الله أن يتأخر اهتمام اليابانيين إلى أواخر القرن المنصرم، عندما اهتموا بمعرفة العالم حولهم، ووجدوا دولة واحدة مستقلة في آسيا هي الدولة العثمانية، وأدركوا أن كثيراً من سكان آسيا مسلمون.

وتطور هذا الاهتمام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وتم تبادل وفود بين الدولتين، ففي العام ١٨٩٠م وصلت الباخرة العثمانية «أرطغرل» وعلى متنها حوالي ٦٠٠ ضابط وجندي وبحري، في زيارة ودية إلى اليابان، وغرقت في طريق عودتها في بحر اليابان، وقضى ٥٥٠ من أفرادها شهداء بسبب إعصار مدمّر، وأقام اليابانيون، المعروفون بالوفاء لأصدقائهم، صرحاً ومتحفاً تخليداً لذكرى هؤلاء الشهداء المسلمين، وما زالوا يحتفلون كل خمس سنوات في التاريخ نفسه بهذا الحدث، حيث تزور باخرة تركية على متنها وفد يمثل جميع القطع العسكرية التركية، مكان الحادث نفسه، ويخرج السكّان المحليون لإقامة المراسم وكأن الحادثة قد وقعت بالأمس القريب.

ويتذكر د. صالح فيقول: اشتركت في الاحتفالات ما قبل السابقة، ورأيتها تبدأ بقراءات دينية يابانية، وكنت أشعر أن غمامة من أرواح ٥٥٠ شهيداً فوق رأسي، فطلبت أن أقرأ الفاتحة عن أرواح الشهداء المسلمين، فقدّموني، وكانت مبادرة استمرت، فقد أوقفوا كل طقوس الشنتو، وصار الاحتفال يبدأ بقراءة الفاتحة.

المسلمون اليابانيون الأوائل

بعد سنة من حادثة غرق السفينة «أرطغرل» «العام ١٩٨١م» قام صحفي ياباني اسمه نودا Noda بجمع تبرعات مالية لأسر الشهداء العثمانيين وزار استنابول «إسلامبول»، عاصمة الخلافة، وهناك طلب منه السلطان عبد الحميد البقاء لتعليم بعض ضباط الجيش اللغة اليابانية، وأسلم وتسمّى بعبد الحليم نوده، ولعله أول ياباني مسلم معروف.

ومما يذكره د. السامرائي أن نودا كان سبب إسلام «عبد الله جوليان» الإنكليزي القادم من ليفربول، الذي زار استنابول العام ١٩٨١م والتقى بنوده وأسلم على يديه، وعاد إلى بلده داعية إلى التوحيد.

وفي السنة التالية «١٩٨٢م» قام صحفي آخر بالحملة نفسها والزيارة نفسها، وأسلم، وتسمى بخليل يامادا، ولعله ثاني ياباني مسلم معروف.

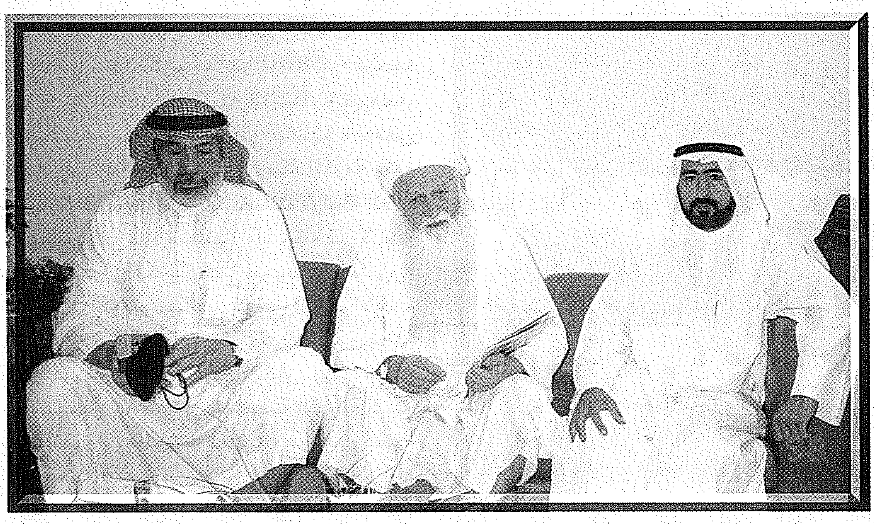
العام ١٩٠٠م قام مدير شركة اسمنت نصراني ياباني بزيارة بومباي، ولفت نظره أحد المساجد، وكان سبباً في سؤاله عن الإسلام، ثم اعتناقه، وتسمى «أحمد أريكا» وشارك في ترجمة معاني القرآن الكريم، وقدّم خدمات عدة للدعوة الإسلامية في اليابان.

ويذكر علي أحمد الجرجاوي في كتابه «الرحلة اليابانية» أنه زار اليابان العام ١٩٠٦/ ١٩٠٧م، ومعه مسلم صيني من هونكغ كونغ، والتقيا بمسلمين «روسي وهندي» في طوكيو، وكونوا جمعية إسلامية فيها، وأسلم على أيديهم اثنا عشر ألفاً من مختلف شرائح المجتمع الياباني.

وفي العام ١٩٠٩م وصل إلى اليابان داعية تتري الأصل، هو عبد الرشيد إبراهيم، بقي فيها ستة أشهر ودعا إلى الإسلام، وألف كتاب «عالم إسلام» - أي العالم الإسلامي - ويقول د. صالح السامرائي انه أنهى ترجمته إلى العربية في ألف صفحة، وهو في طريقه الآن إلى المطبعة، وقال د. عبد الوهاب عزام؛ يرحمه الله: إن كتاب «عالم إسلام» أهم من كتاب «ابن بطوطة» في الرحلات والسياسة والدعوة.

أول تجمع إسلامي في اليابان أقامه المهاجرون التتار

في الفترة من ١٩١٤/١٩١٩ م أقام في اليابان أستاذ لغة الأوردو في «جامعة طوكيو للغات الأجنبية» الداعية المسلم الهندي، الشيخ بركة الله، وساعد عبد الرشيد إبراهيم في عمله الإسلامي. وخلال التوسع الياباني في الحرب العالمية الثانية في الصين وغيرها من دول شرق آسيا، أسلم بعضهم بسبب الاحتكاك المباشر بالمسلمين في البلدان المفتوحة.



● رئيس التحرير مع وفد المركز الاسلامي في اليابان

باكورة المؤسسات الإسلامية

أول تجمع إسلامي في اليابان أقامه المهاجرون التتار الروس، في العشرينيات، في حدود سنة ١٩٢١م.

ثم أسس بعض التجار المهاجرين من الهند مسجد كوبه Kobe سنة ١٩٣٥م. ومما يذكره د. صالح أن المسجد هو المبنى الوحيد الذي بقي قائماً بعدما دمّر الزلزال الأخير «منذ سنوات قليلة» وسط المدينة، فالكنائس والمعابد والمؤسسات التجارية كلها أصبحت قاعاً صفصفاً وبقي المسجد دون غيره، واليابانيون يؤمنون بهذه الظواهر ويقدرونها، وقد اهتمت وسائل الإعلام بنقل هذه الظاهرة، وعلق التلفاز على مشهد الجامع بقوله: «إنها معجزة».

بعد الحرب العالمية الثانية أسس عمر ياموكا «أول حاج ياباني، حج العام ١٩٠٩م» مع عبد الرشيد إبراهيم، الكاتب الرحالة الباحث والمغامر، مع المسلمين الجدد العائدين من الحرب «جمعية مسلمي اليابان» وهي أول جمعية إسلامية معروفة في البلاد، وما زالت تعمل حتى الآن.

بين عامي ١٩٥٦-١٩٦٠م قامت جماعة التبليغ بأربع رحلات دعوية إلى اليابان، كانت سبباً في تنشيط المسلمين اليابانيين أنفسهم، وفي هداية

عدد جديد من خيرة مسلمي اليابان، منهم البرفسور عبد الكريم سايتو Saito - يرحمه الله - والأستاذ خالد كيبه Kiba، وغيرهما. واصطحبوا معهم - كما هي عادتهم - بعض الوفود إلى الباكستان والهند ومكة المكرمة منهم عمر ميتا Mita. الذي استضافته «رابطة العالم الإسلامي» في بدء إنشائها، وأشركته في ترجمة معاني القرآن الكريم، كما أسهم في المشروع نفسه المرحوم مصطفى كومورا أحد الأعلام المعروفين في اليابان، وكان قد ألف موسوعة كبيرة عن تاريخ الإسلام في اليابان، وربى أجيالاً من المسلمين، وأقام في العاصمة القديمة كيوتو ثم انتقل إلى طوكيو داعياً ومربياً وكاتباً متخصصاً بالإسلام.

ويذكر د. صالح بوفاء صادق المهندس عبد الرشيد أرشد، الذي زار اليابان مع رحلة جماعة التبليغ الثالثة، وكان د. صالح ما زال طالباً في جامعة طوكيو، وهو الذي شجعه على الاستقرار في اليابان والاشتغال في الدعوة إلى الله.

المركز الإسلامي في اليابان

في العام ١٩٧٣م أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز مجموعة من الدعاة «تألفت من مصري وسوري وسوداني وتركي وياباني»، وعهد إلى د. صالح السامرائي شؤون المجموعة، ومن الجدير بالذكر أنهم جميعاً نشأوا أو درسوا في اليابان، مما أسهم في تسهيل مهمتهم، لمعرفتهم السابقة بالمجتمع الياباني وعاداته وتقاليده وثقافته.

وأنشأ هؤلاء الدعاة «المركز الإسلامي في اليابان» الذي تولّى مساعدة مسلمي اليابان، وغرس بذرة الإسلام في كثير من حواضر اليابان ومدنه، وأصدر - حتى الآن - ٤٠ كتاباً وكتيباً ونشرة تعريفية عن الإسلام باللغة اليابانية. وكان سبباً لهداية ألوف من اليابانيين والمقيمين في اليابان. وهو يصدر مجلة «السلام» ربع السنوية باللغة اليابانية.

ويذكر د. السامرائي في معرض حديثه عن تعاون المؤسسات الإسلامية، إنشاء لجنة تنسيق مشتركة بين جمعية الطلبة المسلمين في اليابان وجمعية مسلمي اليابان، وكيف أسهم كل من «لجنة التنسيق المشتركة» في الستينيات، و«المركز الإسلامي» في السبعينيات، و«جمعية مسلمي اليابان» في إرسال عدد من الطلبة المسلمين اليابانيين إلى الأزهر الشريف، وجامعات المملكة العربية السعودية. وهم يحتلون الآن مناصب أكاديمية في الجامعات اليابانية، ومراكز إدارية قيادية في كثير من الشركات.

واقع المسلمين في اليابان

قدّرت الإحصاءات الحكومية عدد المسلمين في العقد الماضي بخمسين ألف مسلم، ويقدّر د.



● صلاة العيد في إحدى الحدائق العامة بطوكيو

صالح والشيخ نعمة الله عددهم الحالي ما بين ٢٠٠ - ٣٠٠ ألف نسمة، بينهم ٦٠ ألف من أصل إيراني «عدد سكان اليابان ١٢٢ مليون نسمة».

وتكاد لا تخلو حاضرة من حواضر اليابان من المسلمين، الذين يملكون عدداً من المصليات المملوكة أو المستأجرة، وأعداد المقبلين على الإسلام - من اليابانيين والمقيمين - في تزايد ملحوظ، ولله الحمد.

وتكثر ظاهرة الزواج المختلط باليابانيات، وهي تسهم في ترسيخ الوجود الإسلامي من جهة، وتبرز مشكلة الجيل الثاني من جهة أخرى، وذلك لعدم وجود مدارس ومؤسسات تربوية إسلامية، الأمر الذي دفع «المركز الإسلامي في اليابان» إلى شراء قطعة أرض بجانب مسجد طوكيو المركزي، بلغت تكلفتها ٢,٥ مليون دولار، تم تسديد مليون واحد منها واقتراض الباقي من أهل الخير، وذلك بهدف إقامة مدرسة. ويبلغ عدد الطلبة المسلمين التقديري لا يقل عن ٧٠ ألف طفل وناشىء.

الطريقة المحمدية

وحين سوئل الشيخ الجليل نعمة الله عن أسلوبه في الدعوة، فأجاب هو باللغة العربية الفصحى، أنه الداعية التركي الأصل الذي يتقن عدداً من اللغات من جملتها الأوردو والانكليزية

تتشابه الآداب اليابانية كثيراً مع تعاليم الإسلام الأخلاقيــة

واليابانية، يقول والابتسامة تعلو وجهه: لقد بدأ رسول الله /ص/ بكلمة التوحيد، ولم يطلب من الناس أكثر من النطق بالشهادتين، وقوله في ذلك معروف مشهور: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، وأنا أتبع هذا التكتيك، أحمل معي كتيبات التعريف باللغتين اليابانية والإنكليزية، ولا أتردد في عرض كلمة التوحيد على كل من أقابله، وكل زادي كلمة التوحيد، من نطق بالشهادتين كان مسلماً.

أعترضه: شيخنا، وماذا عن الالتزام؟ ماذا عن الصلاة والصيام؟ وماذا عن الحلال والحرام؟

فأجاب مرّة أخرى بابتسامة بريئة: «هل نربط الناس لنراهم كيف يفعلون؟ وهل كان النبي ﷺ يمسك من يسلم عنده أم ينطلق الرجل إلى قبيلته ويعرض عليهم ما سمعه من النبي ﷺ وما لفظه بلسانه؟ نحن نزرع، ونحرّك في نفوس الناس معنى التوحيد، ونقرّب إليهم المفاهيم الإسلامية. ولطالما خاطبت اليابانيين فقلت لهم: إن أخلاقكم الحميدة، وآدابكم الاجتماعية، وعلاقاتكم الأسرية تنفيذ عملي لمطالب الإسلام في هذه الميادين، إنكم أقرب إلى الإسلام من أي إنسان آخر، بقي فقط أن تلفظوا الشهادة وأن تستكملوا الأركان والعبادات، والركوع الذي تستخدمونه في صلاتكم وتحيتكم، تشبه الركوع الإسلامي، ولكن الإسلام يريدكم أن تركعوا لله لا لعباده».

ويتابع حديثه فيقول: «إن كلمة التوحيد بسيطة شاملة يسمعها المدعو بأذنه، وينطقها بلسانه، ويملأ نورها قلبه. وركناها في الحقيقة الاهتمام والشجاعة، اهتمام الداعية بدعوة كل الناس، مهما كانوا وأينما كانوا، وشجاعته في التحدث إلى الغير وتلقينه الكلمة الطيبة. ونطق الشهادة يكسر الحاجز النفسي، ويطلق بصيص النور، وينير درب المدعو، وهذا هو المفتاح، ولقد أثبتت

هذه الطريقة فعاليتها مع الأفراد والجماعات».

يهودي أسلم

وفي إجابته على سؤالي عن حوادث فردية طريفة يذكرها، أجاب الشيخ نعمة الله: «كثيرة هي القصص والطرائف والمواقف المميزة. فلقد عرضت الشهادة على رجل في وسط السوق، فقال لي: أنا يهودي، فهل تقبلونني في صفوفكم! فقلت: إن الإسلام يفتح ذراعيه لكل مقبل، وكل الخلق مسلمون بالفطرة. فنطق الشهادة وأخذ مني نشرة تعريفية، وبعد لحظات عاد مهرولاً ومعه صديقته اليابانية، قائلاً: أرجو منك أن تعلمها ما علمتني وأن تزودها بنشرة مما معك.

ولقد التقيت مرة بمدرسة إنجليزية الأصل، وعرضت عليها الإسلام، فسألتني: إن قلت أنا لا إله إلا الله، ما الذي أحصل عليه؟ فقلت لها: تحل لك مشاكلك. وأعطيتها نشرة مما معي، بعد مدّة اتصلت هذه المدرّسة بالمركز وسألت عنّي، وأضافت: لقد ظننت فيه الظنون، ولكنني خلال هذه المدة وبعد نطقي بالشهادة تخلصت من مشاكل متراكمة منذ سنوات، أريد لقاء هذا الشيخ لتلقّي المزيد من علمه. وهي اليوم من أكثر الأخوات التزاماً، صلاة وصياماً وتلاوة، وتسهم في كل نشاطات المركز حتى قيام الليل، وتحضر معها زميلاتها عسى أن يهديهنّ الله. ومثل هذا يطول سرده».

حرية كاملة واحترام وفير

يجيب د. صالح على سؤالي عن حرية الدعوة الإسلامية في اليابان، بقوله: إن المسلمين يملكون مطلق الحرية في العمل والحركة والدعوة، والياباني لا يمس الأجنبي بسوء، ولا يمارس ضده التمييز العنصري، والمسؤولون اليابانيون هم الذين ينبّهون المسلمين العاملين في مؤسساتهم لأوقات الصلاة. والشرطة يتولون بنفسهم حماية المسلمين ومؤسساتهم.

ولما سألته عن وضع المسلم داخل الأسرة اليابانية، أجاب بكل ثقة: إن أحداً ما لا يتدخل للضغط عليه، فالحرية الشخصية من الأمور المسلّم بها بين اليابانيين. والمسلمون الجدد بدورهم لا يتدخلون لإلزام أفراد أسرهم بالإسلام، وكثيراً ما تبقى الزوجة والأولاد على ديانتهم. وعن اعتراف الحكومة اليابانية بالديانة الإسلامية رسمياً، أجاب د. صالح: إن الحرية التي يمارسها الدعاة والمراكز الإسلامية من الحريات العامة التي تحترمها الحكومة، ولكننا لم نصل بعد إلى مرحلة الاعتراف بالإسلام نفسه كدين رسمي في اليابان، وجل ما حققناه حتى الآن اعتراف الحكومة بمؤسساتنا والترخيص لبناء المساجد والمصليات وافتتاح المراكز، ونسعى لإقامة مدرسة كما نسعى لإنشاء

لم تعرف اليابان شيئاً عن الإسلام إلا منذ أربعة قرون

مقبرة خاصّة بموتى المسلمين.

وماذا عن الأحوال الشخصية، كيف تتم معالجة مشاكل الأسرة في ضوء الشريعة الإسلامية؟

أجاب د. صالح: لا يوجد في اليابان محاكم شرعية، ولكننا أقمنا «لجنة الإصلاح بين الزوجين» وهي تقدم كل نصيحة ممكنة، وتقوم ببعض الضغوطات الأدبية، ولا تملك أي صلاحية، وإن لم تفلح اللجنة في معالجة الأمور، فإن الأزواج يلجؤون إلى المحاكم اليابانية، ونحن في الأصل لا نعقد عقود النكاح إلا بعد تسجيلها في الدوائر الرسمية المختصة.

وعن المشاكل المميزة، أجاب د. صالح: لقد حدث أن تزوجت بعض الجزائريات المسلمات من يابانيين غير مسلمين، وحرص الشيخ نعمة الله على أن تبقى الزوجة وأولادها ملتزمون بالإسلام، مع الحرص طبعاً على إسلام الزوج ما أمكن.

المقبرة الإسلامية

بالعودة إلى موضوع إنشاء مقبرة خاصّة بالمسلمين، يقول د. صالح: عادة أهل اليابان إحراق الميت، وهو أمر محرّم في الإسلام، ونحن نواجه بعض المشاكل مع المسلمين الجدد لاسيما عندما يكون الوالدان أو أحدهما مسلم، ولا يكون الأولاد كذلك، ففي حال الوفاة يرغب الأولاد في إحراق الجثمان، ونستخدم نحن كل ضغط أدبي ممكن معهم، ونعتصم أحياناً أمام منزلهم نقرأ القرآن ونبتهل إلى الله تعالى لثنيهم عن رأيهم، وتسليم الجثمان للمركز الإسلامي ليقوم بدفنه بحسب الشريعة.

وتكمن المشكلة الثانية بتكاليف الدفن الباهظة، إذ تعادل ١٥ ألف دولار، ولذلك نسعى لشراء قطعة أرض وتخصيصها لدفن المسلمين بالمجان.

عنوان المركز الإسلامي في طوكيو

Islamic Centre, Japan
1-16-11 Ohara, Setagaya-ku,
Tokyo 156, Japan
Tel. :03-3460-6169
Fax :03-3460-6105

ولا يخفى عليكم أسعار الأراضي الباهظة. ولقد شكلنا لجنة تمثل جميع الهيئات الإسلامية اليابانية لتنفيذ هذا المشروع البالغ الأهمية لنا.

الإسلام والإعلام الياباني

الإعلام الياباني نفسه مكلف جداً، ولذلك يصعب على المركز أو أي جهة أخرى من الجالية أن تقوم باستئجار ساعات بث في وسائل الإعلام اليابانية، ولكن أقنية التلفزة تقوم بين فترة وأخرى باستضافة شخصية إسلامية لحوار أو النقاش حول الإسلام، أو للحديث عن قضايا عامّة وطنية يؤخذ فيها آراء الجماعات المختلفة، والمسلمون في مجموعهم. وقد بث التلفاز الياباني حلقات عن الحضارة الإسلامية وانتشارها وإنجازاتها ودورها، وحلقات عن العالم الإسلامي.

وإذا وقعت أي إساءة واشتكى المسلمون منها، سرعان ما يعتذر المسؤولون عن الإساءة، وسرعان ما تهتم وسائل الإعلام باستضافة أحد المسلمين لسماع وجهة نظره في موضوع الشكوى، ومن ذلك مثلاً اعتراضنا على كرة قدم كتبت عليها كلمة التوحيد «لا إلا الله محمد رسول الله» وقالوا يومها إنها العلم السعودي إلى جانب الأعلام الأخرى، بإحدى المناسبات الرياضية، ومع ذلك، سحبوا البضاعة كلها واعتذروا، وكذلك تم مع اسطوانة CD تحمل تسجيلاً لموسيقى يتخللها الأذان، فقد تم إعدام الإسطوانات تلبية لطلب المسلمين الذين رأوا في ذلك إساءة لدينهم ومقدساتهم.

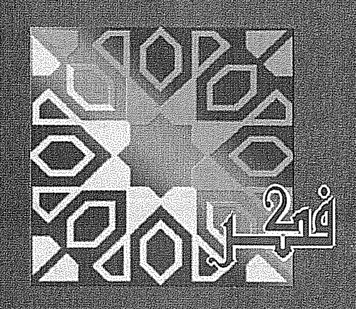
كلمة أخيرة

الياباني إنسان خلوق، وأخلاقه تتوافق مع كثير من مطالب الإسلام، وفي الوقت نفسه يعيش حال الفراغ الروحي، ويحتاج إلى ملء هذا الفراغ، وربما كانت فرصتنا لحمل الرسالة الإسلامية إليهم.

والياباني وجداني متفاعل، وكثيراً ما لاحظنا تفاعله مع مطالبنا، حتى أن لقاءات مع ممثلي الأديان تبدأ دائماً بالفاتحة والأذان، الذي يوزع نصه على الحضور مترجماً، ويردده الجميع مشاركة منهم لممثلي الجالية الإسلامية.

إننا نسعى إلى توطين الدعوة، بل نحن بدأنا توطين الدعوة، وننظر بعين الرعاية والأمل إلى الجيل الثاني، وزيارتنا للكويت من أجل مستقبل أبنائنا وملؤنا الأمل بأن نجد كل عون على البر والتقوى.

شاكرين لوزارة الأوقاف اهتمامها ورعايتها للعمل الإسلامي بين الجاليات والأقليات، كما نشكر مجلة الوعي الإسلامي على اهتمامها ومتابعتها لقضايا المسلمين في العالم. ■



قصة المعراج في الفكر الغربي

بقلم : د. حسن عزوزي

تعددت روايات وأسانيد الإسراء والمعراج في السنة النبوية واختلفت صور ذلك وتباينت بين الاختصار والإسهاب، غير أن هذه الروايات جميعها تتفق في جوهرها المتواتر، ومعلوم أن الجدل قد احتد حول رحلة المعراج منذ أن روى رسول الله - ﷺ - تفاصيل ذلك للناس الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ولذلك قال تعالى في سور الإسراء:

﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾

الإسراء: ٦٠، أي: وما جعلنا الرؤية التي أريناكها عياناً ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء إلا امتحاناً وابتلاء لأهل مكة، حيث كذبوا وكفروا وارتد بعض الناس لما أخبرهم بها، واختبر الرسول - ﷺ - في وقائعها حتى أنه طلب منه وصف بيت المقدس وهو لم يسافر إليه من قبل فوصفه لهم وصفاً دقيقاً وصدقه في ذلك أبو بكر الصديق - ﷺ - وكثير من الصحابة.

وإذا كانت معجزة الإسراء والمعراج قد خرق الله فيها لرسوله الأمين قوانين الأرض وقوانين السماء ليريه من آياته الكبرى، فإنه لا داعي للجدال حول طريقة ذلك، وهل كان الإسراء بالجسد أم بالروح، أم بهما معاً، لأن قدرة العقل البشري مهما كانت لا تستطيع أن تقيد قدرة الله الواسعة، ولا يجوز لنا أن نضع قيوداً على قدرة الله تعالى في أن يفعل ما يشاء.

وقد أكدت رحلة المعراج حقائق علمية حديثة توصل إليها علماء الذرة والفضاء وتنبه عقلاؤهم إلى ضرورة دراستها والتمعن في إسرارها، وهذا الموقف الإيجابي من علماء الأرض والفضاء يقابله موقف سلبي عبَّر عنه المستشرقون، وبخاصة منهم أولئك الذين تخصصوا في دراسة السيرة النبوية ونقدها، حيث ذهب معظمهم إلى إنكارها والاستهزاء بها معتمدين على منطقهم العقلي المحض ومنهجهم التاريخي التجريبي الذي يفرض عليهم عرض كل واقعة تاريخية على مختبر التشريع البرهاني المنطقي، الذي لا يؤمن بغير العقل معياراً للحكم على الأشياء وظواهرها.

من هنا يمكن القول: إن دراسات المستشرقين لمعجزة المعراج تندرج في إطار الأبحاث الغربية التي تمس البداهات التي يؤمن بها المسلمون على اعتبار أنها من الأمور المسلمة الصحيحة التي لا تقبل أدنى شك أو ريبة.

وإذا كانت معجزة الإسراء والمعراج لم ير فيها المستشرقون سوى الزعم بأنها أسطورة من أساطير الأولين التي حفلت بها الروايات والملاحم الشرقية، فإن الذي نود تأكيده في هذه المقالة هو الحديث عن الصدى الذي أحدثته معجزة المعراج في الكوميديا الإلهية لدانتي

مصادر معجزة المعراج في ثقافة الغرب الوسيط

قبل الحديث عن مدى التأثير الذي أحدثه المعراج الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدانتي، لابد من بحث مختلف الطرق التي أمكن عبرها دخول روايات المعراج إلى الثقافة الغربية في العصر الوسيط، ولا شك أن أول ما يمكن القول إنه شكل أول المصادر الرئيسية لذلك هو الترجمة اللاتينية الأولى لمعاني القرآن الكريم التي ظهرت العام ١١٤٣م، وكانت تمثل الشرارة الأولى لبدايات الاستشراق، وقد كانت معظم الترجمات القرآنية القديمة تقرن بشروح وتفسيرات واهية، ومملوءة بالأكاذيب والمغالطات، إلا أنها كانت كافية لكي تكوّن أفكاراً ساذجة ومغلوطة عن مضامين القرآن الكريم، يتم التسليم والتصديق بها، ومن بينها قضية المعراج التي وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى... إلى قوله: ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم: ١ - ١٨.

بالإضافة إلى ذلك، كانت مؤلفات ابن سينا وابن رشد وغيرهما من علماء الإسلام وفلاسفته تترجم إلى اللاتينية ويتم انتشارها على أساس كونها تمثل قمة العلم المستنير الذي هيمن في أوروبا في الوقت الذي كانت فيه أرجاء هاته القارة لاتزال قابعة في

ظلمات الجهل والوهم، ومما لا شك فيه، أن الثقافة الإسلامية التي تضمنتها أعمال ابن رشد وابن سينا وغيرهما قد أشارت من قريب أو بعيد إلى المعراج الإسلامي.

أما أبرز مصادر معجزة المعراج في الثقافة الغربية الوسيطية فهي من دون شك كتابات صوفية الإسلام، ومنها على وجه الخصوص كتابات الغزالي (ت٥٠٥هـ) وابن عربي الحاتمي (ت٦٣٨هـ)، ويشكل كتاب هذا الأخير: «الإسراء إلى مقام الأسرى»(١) العمدة الأساسية التي ارتكز عليها دانتي في ملحمته «الكوميديا الإلهية»، وقد نسج ابن عربي كتابه الذي يقع في نحو خمسين صفحة على منوال المعراج النبوي، إلا أنه شحنه بأساليب الصوفية التي تغص بالرموز والتأويلات والإشارات الصوفية المعنة في الغموض والتعقيد.

تأثر «الكوميديا الإلهية» بقصة المعراج الإسلامية

في العام ١٩٤٩م، أثبت الباحث الإيطالي انريكو تشيرولي في كتابه: «المعراج ومشكلة الأصول العربية الأسبانية لكتاب الكوميديا الإلهية لدانتي»، أن إحدى روايات المعراج النبوي قد ترجمت من العربية إلى الأسبانية القشتالية بأمر من الملك الأسباني ألفونسو العاشر العام ١٢٦٤م، وفي السنة نفسها، أمر الملك نفسه بترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية والفرنسية قصد نشرها خارج الحدود الأسبانية.

بعد سنة من ذلك ولد دانتي الياري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م)، وقد وضع ملحمته الشعرية «الكوميديا الإلهية» التي يبلغ مجموع أبياتها ١٤٢٣٣ بيتاً، دون إشارة أو إيماء إلى مصادره في ذلك، مما جعل الباحثين يختلفون في إدراك مدى استئناسه لرحلة المعراج النبوي، وبخاصة أنه من السهل أن يكون قد استفاد من الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم، وكتابات ابن سينا، وابن رشد وغيرهما، مما كان متداولاً باللغة اللاتينية، والكوميديا الإلهية لدانتي تنقسم إلى ثلاثة أناشيد متساوية الطول هي: الجحيم، والمطهر، والفردوس، وهي تصور رحلة خيالية قام بها الشاعر دانتي إلى العالم الأخروي، ونحن لا يهمنا في هذا المقام الحديث عن مضمون الرحلة الخيالية بقدر ما يهمنا استعراض النتائج التي تم التوصل إليها في بدايات هذا القرن، من طرف بعض المستشرقين الأسبان الذين أثبتوا بالحقائق العلمية والأدلة الثابتة أن الكوميديا الإلهية قد تأثرت إلى حد كبير بالكتابات الإسلامية المتعلقة بموضوع المعراج النبوي.

لقد أثبت كثير من الباحثين الغربيين أنه باكتشاف الترجمة الأوروبية المذكورة لقصة المعراج التي تم إنضاجها للملك ألفونسو أمكن القول: إن موضوع المعراج كان في متناول عامة الناس، وبخاصة أنها كتبت على مستوى شعبي وبثلاث لغات أوروبية.

ولما كان المستشرق الأسباني أسين بالاثيوس (١٨٧١ ـ ١٩٤٤م) من أبرز المستشرقين المعاصرين الذين اهتمو بجانب تأثير الحضارة الإسلامية عامة والتجربة الأندلسية بصفة خاصة في الحضارة والفكر الأوروبيين، فقد أولى اهتماماً كبيراً لقضية تأثر الكوميديا الإلهية بالكتابات الإسلامية حول موضوع المعراج، ويمكن اعتبار كتابه: «الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية»(٢) أخطر عمل قام به بالاثيوس في نطاق تأكيد مدى تأثير قصة المعراج في الفكر المسيحي الأوروبي.

ولقد ظلت ملحمة دانتي موضع إجلال وإكبار من طرف الأوروبيين، ظناً منهم أنها من إنتاج وتفكير دانتي الأصيل، لكن ما أن تم نشر كتاب بالاثيوس العام ١٩١٩م، حتى ثارت ضجة عارمة، تمثلت في نقاش وجدال مستمرين حول مدى مصداقية العمل الدانتي الذي ما لبث ينزلق من عليائه ويبدو عملاً مقتبساً ومنقولاً فكرة وتخطيطاً من معجزة المعراج.

لقد فضح بالاثيوس دانتي في ملحمته، فتتبع خيوط نظريته من شتى الجوانب والوجوه إلى أن ظهر له التشابه الشديد الذي يعتري جميع الأحداث والمواقف في كل من المعراج والكوميديا الإلهية، وهكذا استطاع أن يرد وفق منهج علمي استقرائي فاق كل حلقات القصة الدانتية إلى أصولها في الذخيرة الوافرة من حكايات المسلمين المتعلقة بقصة المعراج.

وهكذا أصبحت مسألة اطلاع دانتي على قصة المعراج الإسلامية أمراً مسلماً به عند الباحثين المحدثين، ويقول المستشرق الإيطالي ليفي دلافيدا: «وهكذا يتأكد لنا اليوم أن نظرية «اسين بالاثيوس قد أصبحت فوق مستوى النقاش، إن القضية لم تعد قضية إمكان اطلاع دانتي على المصادر العربية وإنما هي قضية حقيقية ينبغي التسليم بها»(٣)

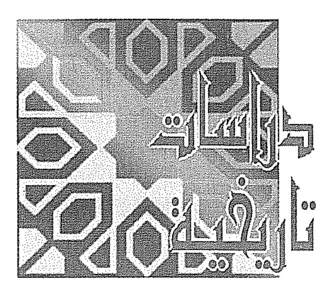
ختاماً، نرى أن قصة المعراج الإسلامية، كان لها تأثير قوي على الأدب الغربي في العصور الوسيطة، ولئن كان معظم الغربيين من مستشرقين وغيرهم قد أمعنوا في تكذيب أصل القصة وحلقاتها، وهو أمر طبيعي بالنسبة لأقوام لا يؤمنون بثوابت الإسلام وحقائقه، فإن خلوص بعض الباحثين المعاصرين إلى استنتاج حقيقة اعتماد كبار الأدباء والشعراء الغربيين على أحداث ووقائع المعراج في سبيل استلهام ملاحمهم وأدبياتهم المتنوعة ما يعطي دلالة واضحة على مدى الأثر البالغ الذي أحدثته ولا تزال تحدثه قصة المعراج الإسلامية في تحريك المشاعر الإنسانية، والدفع إلى التفكير في العالم الأخروي الذي تتوق النفوس غير المؤمنة إلى معرفة أسراره وسبر أغواره، وهو ما حاولت ملحمة دانتي فعله بعدما اقتبست معالم ذلك من قصة المعراج الخالدة. ■

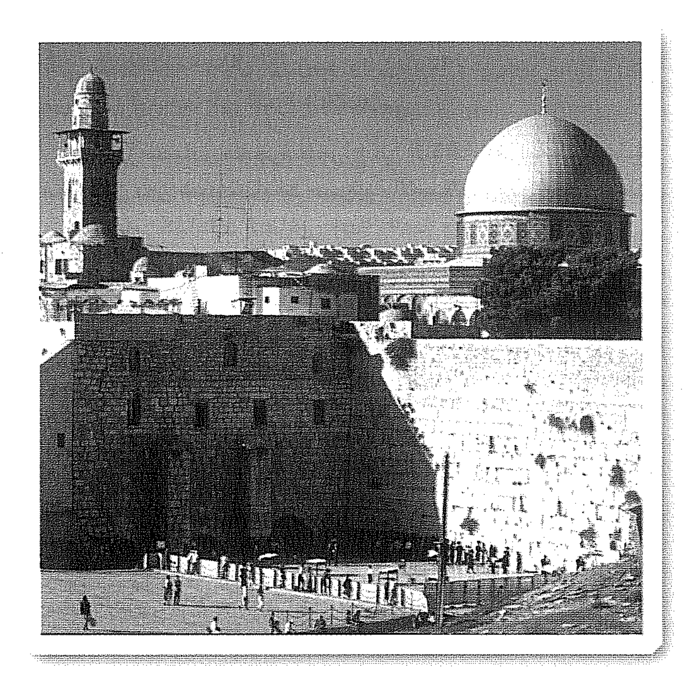
الهوامش :

١ ـ طبع بحيدر أباد في الهند العام ١٩٤٨م.

٢ ـ انظر عن دانتي وملحمته كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي «دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي» بيروت ١٩٦٥م، ص ٦٣ ـ ٨٤.

٣ ـ تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، ص ٥٦٤.





جاء مع الحملة الصليبية الأولى التي غزت العالم الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عدد من المؤرخين الأوروبيين الذين سجلوا أحداث هذه الحملة منذ بدايتها إلى نهايتها، ودوّن هؤلاء المؤرخون أعمال أمراء الحملة التي شاهدوها وشاركوا فيها، ولذا تعد مؤلفاتهم مصادر أصلية لتاريخ الحملة من وجهة النظر الأوروبية المسيحية، وكان من أبرز هؤلاء المؤرخين، فوشيه الشارتري، ريموندا جيل والمؤرخ المجهول.

الهجمة الصليبية والهجمة الصهيونية على القدس

بقلم : أحمد عبدالعظيم

أما فوشيه الشارتري فكان مؤرخا فرنسيا جاء في صحبة الجيش الفرنسي القادم من إقليم اللورين السفلي بقيادة الأمير جودفري بوايون وأخيه بلدمين، وكان فوشيه قسيس بلدوين وكاهنه ومؤرخه الخاص، ويعالج فوشيه الشارتري في تاريخه المسمى «تاريخ الحملة إلى القدس» الأحداث التي وقعت من سنة ١٩٠٥ إلى ١١٢٧م، ويصف بالتفصيل حصار الصليبين للقدس، واستيلائهم عليها بالقوة والفظائع التي ارتكبوها ضد المسلمين من قتل وسلب ونهب، ومما يثير العجب أن فوشيه الشارتري يتحدث، مثل غيره من المؤرخين اللاتين عن الاحتفالات الدينية التي أقامها الصليبيون في القدس عقب استيلائهم عليها وكأن الدين يبيح القتل والنهب والتعذيب، ويشير فوشيه الشارتري أيضا إلى سماح الصليبين لـ«افتخار الدولة» الذي كان نائبا عن الفاطمين في حكم القدس والحامية الإسلامية، بالانتقال من القدس إلى عسقلان بأمان فكانوا الفئة الوحيدة من مسلمي القدس التي نجت من الذبح والتعذيب.(١)

وبالمثل، جاء ريموندا جيل في صحبة الجيش البروفنسالي بقيادة ريموند الصنجيلي، كونت تولوز، وأدهيمار ده بوي، المندوب البابوي - وكان ريموندا جيل رجل دين أيضا ويصطبغ كتابه بصبغه دينيه واضحة، ويحمل هذا الكتاب عنوان: «تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس»، وقد أفرد ريموندا جيل فصلا في كتابه لحصار الصليبيين للقدس واستيلائهم عليها، اعترف فيه بالمقارنة العنيدة التي أبداها المسلمون عن مدينتهم والمذبحة الرهيبة التي ارتكبها الصليبيون في القدس بعد استيلائهم عليها في ١٥ يوليو ١٠٩٩م الموافق ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ.(٢)

وعلى العكس من فوشيه الشارتري وريموندا جيل كان المؤرخ المجهول فارساً من فرسان الحملة الصليبية الأولى جاء بصحبة الأمير بوهمند النورماني، ولا توجد أي معلومات دقيقة عن اسم هذا المؤلف أو موطنه، ولكن يبدو أنه كان من سكان جنوب إيطاليا ويغطي كتاب المؤرخ المجهول المسمى «تاريخ الفرنجة وغيرهم من حجاج بيت المقدس» أحداث الحملة الصليبية الأولى منذ دعوة البابا أوربان الثاني لها في مؤتمر كلير مونت سنة ١٠٩٥ - ٤٨٨هـ إلى استيلاء الصليبيين على القدس سنة ١٠٩٩م - ٤٩٢هـ، ويصف المؤرخ المجهول هجوم الصليبيين على القدس والأعمال الوحشية التي ارتكبوها ضد المسلمين.(٣) كما

يعتبر تاريخ وليم الصوري من أهم المصادر المسيحية التي سجلت أحداث الاحتلال الصليبي للقدس سنة ١٠٩٩م - ٤٩٢هـ، فقد كان وليم من مواطني مدينة القدس ذاتها، على الأرجح، كما كان متعلما مثقفا ومجيدا لعدة لغات: منها العربية والفرنسية واللاتينية واليونانية، وكان المؤلف يتولى منصب رئيس أساقفة مدينة صور، ولهذا اشتهر باسم وليم الصوري، وعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرا للاحتلال الصليبي للقدس، لأنه ولد سنة ١١٣١م، فإن روايته تتصف بالدقة والوضوح والتفصيل والإسهاب.(٤)

الهجوم الصليبي الأول على القدس

وفقا للمصادر اللاتينية وصلت الجيوش الصليبية أمام أسوار القدس يوم ٦ أو ٤ يونيو سنة ١٠٩٩م - ١٤ أو ١٥ من رجب ٤٩٢هـ، وبلغ عدد القوات الصليبية عشرين ألفا من المشاة، وألف وخمسمئة من الفرسان، وفي الحال نصب الصليبيون الحصار على المدينة من أغلب نواحيها، فحاصرتها القوات الفرنسية بقيادة روبرت كونت نورماندیا، وروبرت كونت فلاندرز، من الجهة الشمالية، والقوات الفرنسية والإيطالية بقيادة الدوق جودفري بوايون والأمير تانكرد النورماني، من الجهة الغربية، ووقف الأمير ريموند الصنجيلي وقواته في الوسط، من ناحية جبل صهيون، أما الجهات الشرقية والجنوبية من المدينة فقد تركت دون حصار، لصعوبة تضاريسها من جهة، ولأنه لم يكن لدى الصليبيين قوات كافية لحصارها، من جهة ثانية.(٥)

وفي يوم ١٢ يونيو الموافق ٢٠ رجب ٤٩٢هـ، بعد خمسة أيام من وصولهم إلى القدس، شن الصليبيون هجوما ضاريا على المدينة من شتى النواحي المحاصرة، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها لحصانتها وقوة أسوارها، ولعدم توفر السلالم والأبراج الخشبية وآلات الحصار اللازمة لدك الأسوار لذلك قرر الصليبيون وقف القتال إلى حين تجهيز الآلات اللازمة.(٦)

استمرت عملية إحضار الأخشاب وبناء آلات الحصار نحو شهر، وفي تلك الأثناء عانت الجيوش الصليبية المحاصرة لأسوار القدس من مشاكل كثيرة: فكانت هناك، قبل أي شيء آخر، مشكلة نقص المياه الصالحة للشرب وبقيت الحقول والجياد ودواب الحمل من دون ماء، فالقدس تقع «في أرض مجدبة تماما خالية من الماء، أما القنوات والينابيع والآبار العذبة فكانت بعيدة عنها»(٧)، وإلى جانب ذلك لما علم «افتخار الدولة» باقتراب الجيوش الصليبية من القدس، أمر بتسميم الآبار والينابيع، وإلقاء الفضلات والقاذورات فيها، كما أمر بثقب الصهاريج وخزانات المياه، فلم تعد قادرة على حفظ الماء.(٨) أما بركة السلوان، الواقعة عند سفح جبل صهيون، فكانت مياهها تتدفق مرة كل ثلاثة أيام، كما كان القادرون فقط، بسبب الزحام الشديد، يستطيعون الوصول إليها بينما اضطر الضعفاء إلى الاكتفاء بالماء القذر، أما الخيول والبغال والمواشي والأغنام فكانت «تذوى وتموت عطشا، وتتعفن في مواقعها وتملأ الجو براحئة الموت المتعفنة»(٩)، لذا اضطر الصليبيون إلى السير بمواشيهم إلى عين تبعد ستة أميال لسقيها هناك، لكن المسلمين نصبوا لهم الكمائن على طول الطريق«وقتلوا الكثيرين وأسروا الكثيرين، واستولو على مواشيهم وقطعانهم»(١٠)، وكان الماء المجلوب في أوعية يُباع بثمن مرتفع جداً.(١١)

وزاد من شدة العطش، ارتفاع حرارة الجو في شهر يونيو الشديد الحرارة، التي لم يعتادها الأوربيون لبرودة أجواء بلادهم، وإلى جانب ذلك، عانى الصليبيون من نقص الخبز والطعام، فراحوا يبحثون عنه وعن العلف اللازم للجياد في المناطق المجاورة، ولذلك أخذت أعداد الصليبيين في التناقص يوما بعد يوم، بسبب من ماتوا من الجوع أو العطش أو الحر أو قتلوا أو أسروا في أثناء تجولهم للبحث عن العلف والطعام.(١٢) في الوقت نفسه، كانت أعداد المسلمين في تزايد مستمر، فقد بلغت الحامية الإسلامية الموجودة داخل المدينة للدفاع عنها أربعين ألفا من المحاربين الشجعان المزودين بأحسن السلاح(١٣)، وفقا لما يذكره وليم الصوري، مع ما في هذا التقدير من مبالغة واضحة، وبالإضافة إلى ذلك، كانت القوات الإسلامية الآتية من القلاع والحصون المجاورة تتدفق على المدينة وتدخلها من الجهات التي لم يفرض عليها الحصار، وتنضم إلى الحامية الإسلامية لقتال الصليبيين، كما توافرت المياه الكثيرة والأزواد والأخشاب والحبال والحديد والنحاس داخل المدينة، وقد استغل المدافعون عن المدينة هذه المواد في صنع آلات الحرب، التي تفوقت على آلات الصليبيين في الارتفاع وجودة الصنعة نظراً لتوافر العمال والصناع المهرة داخل المدينة، ولم يدخر المدافعون عن القدس وسعا في وضع الكشافين على الأسوار والأبراج لكشف كل ما يجري في معسكر الصليبيين والإتيان إليهم بأخبارهم، لمقابلة كل جهودهم بنفس البراع كذلك حرص «افتخار الدولة» على إخراج السكان النصارى من المدينة حتى لا يكشفوا للصليبيين عن عورات البلد الخفية، ولكي يخفف من حدة المشكلة الغذائية في أثناء الحصار.(١٤)

وفي ١٧ يونيو ١٠٩٩م الموافق ٢٧ رجب ٤٩٢هـ وبينما كان الصليبيون يعملون في بناء آلات الحصار، وصلت ست سفن مسيحية، جنويه «أي من مدينة جنوه الإيطالية» وانجليزية، إلى ميناء يافا وهو أقرب ميناء إلى بيت المقدس وكانت هذه السفن محملة بالمواد الغذائية والرجال والعتاد والمواد اللازمة لبناء آلات الحصار مثل الأخشاب والحبال والعتاد والمطارق والمسامير والفؤوس والبلطات وغيرها، وفي الحال أرسل البحارة الجنويون رسولا إلى الأمراء الصليبيين يطلبون إرسال قوة عسكرية من الجيش لحراستهم وقيادتهم بسلام إلى القدس، واستجاب الأمير ريموند الصنجيلي لهذا الطلب وأرسل قوة من الفرسان والمشاة إلى ميناء يافا تمكنت من حماية البحارة الجنويين وما كان معهم من أمتعة، أما السفن نفسها فقد تم تدميرها إلا واحدة، في أثناء اشتباك مع أسطول مصري قادم من عسقلان، واتجه البحارة الجنويون ومن كان معهم من الجند والمهندسين والعمال، بالإضافة إلى الأخشاب والمواد الأخرى، في صحبة الحراسة المسلحة إلى القدس حيث استقبلتهم الكتائب المعسكرة هناك بالسرور والغبطة، لأن الجنويين كانوا بارعين في صنع آلات الحصار، كما كان الصليبيون في أمسّ الحاجة إلى ما أحضروه معهم من أخشاب ومواد أخرى لازمة لبناء الأبراج والآلات والمعدات الحربية، وقد دب النشاط العظيم في معسكر الصليبيين بعد انضمام الجنويين واجتهدوا جميعا لاستكمال بناء أدوات الحصار وكان الأمراء الصليبيون يخرجون بأنفسهم على رأس طوائف كبيرة من العمال لجمع الخشب وتقطيعه وسلخ الحيوانات وإعداد جلودها لتغطية أسطح الآلات لحمايتها إذا قذفت عليها النيران في أثناء المعركة، وتمخضت جهود الجنويه والصليبيين عن بناء ثلاثة أبراج متحركة كانت أكثر ارتفاعا من سور المدينة، وبعد أن انتهى الصليبيون من تجهيز آلات الحصار، حددوا فجر يوم الخميس ١٤ يوليو الموافق ٢٤ شعبان موعدا للهجوم مرة

ثانية على المدينة.(١٥)

الهجوم الصليبي الثاني على القدس

في فجر يوم الخميس ١٤ يوليو الموافق ٢٤ شعبان وقف الجيش الصليبي بأكمله وفي كامل عدته أمام مدينة القدس، وما أن بدأ الصليبيون بتقريب الأبراج والآلات من الأسوار، حتى أمطرهم المدافعون عن المدينة بوابل هتان من النبال والسهام ورموهم بالأحجار والقذائف المشتعلة من الخشب والقش والقار والزيت والشمع والكبريت، وقد حالت هذه النيران المشتعلة دون اقتراب الصليبيين من الأسوار، كما منعهم الخندق العميق الواسع الذي كان يحيط بالمدينة من دفع آلاتهم إلى الأمام وكذلك عرقلت المقاومة العنيدة التي أبداها المسلمون جهود الصليبيين من أجل إحداث ثغرة في سور المدينة، إذ عمد الأهالي إلى تدلية زكائب مملوءة بالقش، وتعليق كتل خشبية ضخمة ووسائد محشوة بالحرير فأفسدت هذه الأشياء اللينة اللدنة مفعول ضربات القذائف وقضت على جميع محاولات المهاجمين، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف الهجوم الصليبي العنيف على المدينة، ولذلك استمرت المعركة منذ الصباح وحتى المساء.(١٦)

ويصف وليم الصوري المعركة بقوله: «وكانت معركة حامية الوطيس موصوفة بصورة تجاوز كل ظن، فكانت الرماح والقسي تنهال كصيب من السماء على كلا الجانبين، وكانت قذائف الأحجار التي يرمي بها كل خصم تصطدم ببعضها بعضاً وهي ما زالت في الجو، ثم تسقط فتهلك المقاتلين وتصيبهم بشتى أنواع الهلاك.(١٢) مع حلول الليل توقف القتال وحصل المقاتلون على قسط من الراحة الجسمانية، ولكن سيطر عليهم الفزع والقلق النفسي، فلقد تمكن الصليبيون من تحطيم السور الخارجي وردم الخندق في أثناء النهار وبالتالي أصبح الوصول إلى السور الداخلي أمراً سهلاً لذلك خاف المسلمون أن يدخل الصليبيون المدينة بغتة في تلك الليلة أو في اليوم التالي.(١٨) فاهتموا اهتماما كبيرا بحراسة المدينة في أثناء الليل فأقاموا في كل برج ضباطا للحراسة الليلية، كما اهتموا بحراسة الأبواب وضبط الطرق، حتى لا يباغتهم العدو بالهجوم عليهم من أي جهة من الجهات، أما الصليبيون فخافوا أن يتمكن المسلمون من إحراق الآلات القريبة من الأسوار، ففرضوا عليها الحراسة المستمرة طوال الليل، «هكذا كانت الكروب تضرب هذا الجانب بما تضرب به الجانب الآخر، فلم يذق أحدهما طعما للراحة لانشغال باله، وكان الفزع العقلي الدائم ران على قلوبهم قد وقر في أذهانهم من الاضطراب، هو أشد هولاً في الواقع من معركة الأمس».(١٩)

لما بزغ فجر اليوم التالي الجمعة ١٥ يوليو الموافق ٢٥ شعبان، استأنف الطرفان القتال «بعزيمة وهمة أشد»(٢٠) فأخذ الصليبيون في تقريب الأبراج ومعدات الحرب من الأسوار ولكنهم قوبلوا بمقاومة شديدة من جانب المسلمين الذين أخذوا يرمونهم بالسهام والأحجار الثقيلة والمواد المشتعلة مما أنزل أضراراً جسيمة بالمقاتلين والآلات التي احترق بعضها وتفكك البعض الآخر، ولذلك أصيب الصليبيون بالتخاذل واليأس والتعب والإرهاق، نتيجة للمقاومة العنيدة والمهارة الدفاعية الهائلة للمسلمين، فأخذ كثيرون منهم يتسللون خلسة من صفوف القتال ويلوذون بالفرار، وفي تلك الأثناء شاهد الصليبيون فارساً مجهولاً ينحدر من فوق جبل الزيتون ويلوح بدرعه لزعماء الصليبيين يحثهم على التقدم، وكان لهذا تأثير نفسي كبير على معنويات الصليبيين المنخفضة وفقا لما يذكر ريموناجيل فدبت فيهم الحياة من جديد، وشنوا هجوما عنيفا قاسيا علىٰ المدينة، وكان الدوق جورفري بوابون وقواته الفرنسية أول من نجحوا في إحداث ثغرة في السور تسللوا من خلالها إلى داخل المدينة، وفي الحال رفع جددنمري رايته على السور، فلما رآها المدافعون عن المدينة، عرفوا أنها صارت في قبضة الصليبيين فتركوا مواقعهم في الحصون والأبراج ولاذوا بالفرار إلى أزقة المدينة وشوارعها الضيقة، وأعقب ذلك اقتحام الجيش الصليبي كله للمدينة عن طريق الصخور والصعود بالسلالم وتسلق الجبال إلى الأسوار، والدخول من الأبواب.(٢١) وبعد أن اقتحم الصليبيون مدينة القدس انطلقوا في شوارعها ينهبون ويسلبون ويقتلون ويصف المؤرخون اللاتين المعاصرون المذابح البشعة التي أحدثها الصليبيون في المدينة المقدسة ... يقول المؤرخ ريموناجيل :

«وسفك تانكرد وجودفري في المقدمة كمية لا تصدق من الدماء وأنزل زملاؤهم الذين كانوا في أعقابهم آلاما شديدة بالمسلمين ..... فقد قطعت رؤوس بعض المسلمين بلا رحمة، بينما اخترقت الآخرين الأسهم الموجهة من الأبراج فيما عذب آخرون لوقت طويل، وأحرقوا حتى الموت في اللهب المتأجج وتكدست في الطرقات والبيوت الرؤوس والأيدي والأقدام، وفعلا كان الفرسان والرجال يجرون جيئة وذهاباً فوق الجثث»(٢٢) وفرت أعداد هائلة من المسلمين إلى فناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة للاحتماء بهذه الأماكن الطاهرة المقدسة، ولأن منطقة المسجد كانت محصنة «أشد التحصين بسور وأبراج وأبواب»(٢٣) ولكن الصليبيين لم يراعوا حرمة هذه الأماكن المقدسة ولم يرحموا المسلمين الفارين إليها إذ تعقبهم تانكرد النورماني على رأس قوة عسكرية كبيرة اقتحم بها فناء المسجد وأعمل الصليبيون السيف في الآلاف المؤلفة من الرجال والنساء والأطفال المحتشدين في هذا المسجد الشريف ويقدر فوشيه الشارتري أن عدد من ذبحوا في المسجد الأقصى بعشرة آلاف شخص، ويضيف هذا المؤرخ أنه بعد أن انتهى الصليبيون من ذبح المسلمين أخذوا «يبقرون بطون من ذبحوا ليستخرجوا من أمعائهم الدنانير الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم على قيد الحياة، وللسبب ذاته، وبعد بضعة أيام، جمع الصليبيون كومة عظيمة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رمادا لكي يسهل عليهم الحصول على هذا الذهب».(٢٤)

وبعد ذلك بعدة أيام أصدر زعماء الصليبيين أوامرهم بإخراج جثث المسلمين من المدينة للتخلص من الروائح الكريهة المتصاعدة منها، ويصف المؤرخ المجهول منظر الجثث بعد أن سحبت وألقيت خارج المدينة فيقول: «وتعالت أكداسهم حتى حاذت البيوت ارتفاعا، وما تأتى لأحد قط أن يسمع أو يرى مذبحة كالتي ألمت بالشعب الوثني «وهو التعبير الذي استخدمه المؤرخون الصليبيون عند الإشارة إلى المسلمين»(٢٥). ظلت القدس تحت حكم الصليبيين إلى أن تمكن البطل صلاح الدين الأيوبي من استردادها سنة ٥٨٣هـ ـ ١١٨٧م، ومنذ ذلك الحين بقيت المدينة تحت حكم المسلمين إلى أن احتل اليهود نصفها في العام ١٩٤٨م، وأتوا على جميعها في في العام ١٩٦٧م.(٢٦)

ومن الجلي الواضح أن الحركة الصليبية الاستعمارية التي قام بها الغرب الأوروبي وساندتها وباركتها البابويه، في العصور الوسطى تشبه في كثير من أحداثها الحركة الصهيونية، فالفظائع التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين في القدس تشبه الجرائم التي يرتكبها الإسرائيليون ضد الفلسطينيين، ويرجع ذلك إلى كراهية كل من

الصليبيين والصهاينة للإسلام والمسلمين، فلما رغب الصليبيون في استرجاع القدس إلى حوزة المسيحية، عمل الصهاينة على تهويد مدينة القدس.(٢٧) وكان ذلك عن طريق تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وترحيل السكان العرب من أرضهم. فقد أكد تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في كتابه المعروف «الدول اليهودية» أن ضرورة استخلاص ملكية الأرض تدريجيا وبهدوء، وتشجيع فقراء السكان على النزوح إلى البلدان المجاورة رافضين إعطاءهم أي عمل في الدولة اليهودية، وهكذا لم يدر ببال رواد الفكر الصهيوني أن لشعب فلسطين العربي حقاً في الحياة أو تقرير المصير وإنما على العكس جاء شعار حاييم وايزمان لجعل «فلسطين يهودية كما انكلترا انكليزية» بمثابة دعوة إلى طرد وتشريد العرب لتصبح فلسطين حكرا على اليهود، كما قال دافيدين جوريون مخاطبا لجنة التحقيق الانكلو ـ أمريكية في العام ١٩٤٦م: «عندما نقول استقلال يهودي ودولة يهودية ـ نقصد بلدا يهوديا، ولهذا نعني عملا يهودياً، مستوطنات يهودية، زراعية وصناعية يهودية، نقصد لغة ومدارس وحضارة يهودية، نقصد سلامة وطمأنينة واستقلال كامل.(٢٨) وفي خطاب ألقاه الربان رابينوفتش في مؤتمر بوادبست للحاخاميين سنة ١٩٥٢م جاء ما يلي:

«إني أستطيع أن أعدكم وأنا صادق في هذا الوعد أنه قبل مرور عشر سنوات يصبح كل صهيوني سيدا ويصبح من غير الصهيوني عبدا» وأضاف: «ولن تكون هناك أي ديانات أخرى إذ سنقضي على طبقة القساوسة ورجال الدين الإسلامي حتى لا يبذروا بذور العداء ضدنا»(٢٩). وفي تصريح للمستر بيرنشتين، وزير التجارة والصناعة الأسبق ورئيس حزب الصهيونيين العموميين قال: «على شعب إسرائيل أن يقلل من استهلاكه للكماليات ويتكتل وراء زعمائه استعداداً للساعة الرهيبة التي نمحي فيها الدول العربية من الوجود».(٣٠)

وقد عملت العصابات الصهيونية في أرض فلسطين على تطبيق هذه الأقوال بإبادة قرى بأكملها كدير ياسين، كما تم تشريد آلاف السكان العرب فنزح كثيرون منهم إلى الدول العربية المجاورة كسورية ولبنان، ولا ننسى الذي فعله الصهاينة في مذابح مخيمات صبرا وشاتيلا في لبنان، وما فعلوه في أطفال الانتفاضة من تكسير للأيدي ودفنهم أحياء، وأخيرا لا ننسى تدمير البيوت «بالبلدوزرات» لمن يشكون في أنه من رجال المقاومة، وهذه أعمال يومية تسير وفقا لمخطط مستمر ومحكم، وكذلك بناء المستوطنات حول القدس لتهويدها.

وإذا كانت الجبهة الإسلامية المتحدة تمكنت من القضاء على الاحتلال في القرنين الثاني والثالث عشر، فإن وحدة العالم الإسلامي في الوقت الحاضر ستكون، بعون الله، كفيلة بالقضاء على الاحتلال الإسرائيلي وإعادة فلسطين والأراضي المقدسة إلى أصحابها العرب المسلمين، وما ذلك على الله بعزيز. ■

الهوامش :

١ ـ فوشيه الشارتري ـ تاريخ القدس، ترجمة د. زياد العسلي «عمان ـ الأردن ١٩٩٠م» ص ١٠ ـ ١٢، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية «القاهرة ١٩٦٢)، ص ٣٧ ـ ٤٣، هاري المريانز، تاريخ الكتابة التاريخية، محمد عبدالرحمن برج القاهرة ـ ١٩٨٤م ص ١١٠.

٢ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة جون شيوم هي لولوريتال هيل، نقله إلى العربية د. حسين محق عطية «الإسكندرية ـ ١٩٩٠م، ص ٣٠ ـ ٣٤، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية ٢٢ ـ ٢٦.

٣ ـ السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٢٦ ـ ٣٧، بيريل سمالي المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم «القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٣٧ ـ ١٤٢.

٤ ـ بيريل سمالي المؤرخون في العصور، ص١٤٢ ـ ١٤٨، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٩٩ ـ ١٠٧.

٥ ـ المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة وغيرهم من حجاج بيت المقدس، في حسن جيشي، الحروب الصليبية الأولى «القاهرة: ١٩٥٨م»، ص ١٧٣، يمونداجيل تاريخ الفرنجة، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة د. حسن جبشي «القاهرة، ١٩٩٢م) ج٢ ص ٩٤ ـ ٩٧.

٦ ـ المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة، ص ١٧٣، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٣، ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ٩٧ ـ ٩٨.

٧ ـ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ٩٩.

٨ ـ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٣، ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٧، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة، ص ١٧٣، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٩٤، ٩٩ ـ ١٠٠.

٩ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٧.

١٠ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٨، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٣.

١٢ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٨، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

١٣ ـ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٩٥.

١٤ ـ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ٩٥، ١٠٢ ـ ١٠٣.

١٥ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠، ٢٤٤، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجة ص ١٧٣، وليم الصوري الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٠٤ ـ ١٠٩.

١٦ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٣ ـ ٧٤، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٤، وليم الصوري الحروب الصليبية ج٢ ص ١١٣ ـ ١١٥.

١٧ ـ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ١١٥.

١٨ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٤٥.

١٩ ـ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ١١٧.

٢٠ ـ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٤.

٢١ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٤٦، فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٤، المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٥ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢ ص ١١٨ ـ ١٢٤.

٢٢ ـ ريموندجيل، تاريخ الفرنجه، ص ٢٤٧.

٢٣ ـ وليم الصوري، الحروب الصليبية ج٢ ص ١٢٦.

٢٤ ـ فوشيه الشارتري، وتاريخ الحملة، ص ٧٥.

٢٥ ـ المؤرخ المجهول، تاريخ الفرنجه، ص ١٧٧.

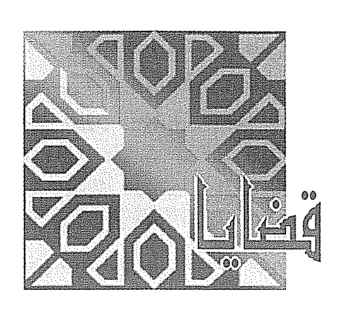
٢٦ ـ عبدالحميد زايد، القدس الخالدة القاهرة ـ ١٩٧٤م، ص ٨٢٨٠.

٢٧ ـ عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٦.

٢٨ ـ مجلة الموقف العربي، السنة الثانية، العدد الخامس عشر، شعبان ١٣٩٨هـ ـ يوليو تموز ١٩٧٨م، ص ٢٩ ـ ٣٠.

٢٩ ـ مجلة رسالة مصر، يصدرها المركز الثاني للشرق الأوسط، العدد الثالث السنة الأولى، يناير ١٩٥٦م.

٣٠ ـ مجلة رسالة مصر، نفس العدد.



حبال اليهود

اليهود جيل من الناس يتميز عن غيره من أجناس الأرض قاطبة بصفات جبلية خاصة، منشؤها نفس شريرة ألفت الفساد، واستمرأت العلل منذ أمد سحيق.

ذلك أن الناظر في تاريخ بني إسرائيل وكيف كان مسلكهم مع أنبيائهم ومن بعد مع نبي الإسلام وأهله ليستقر في قلبه يقين أن نفساً سوية خيرة لا يمكن أن يكون هذا مسلكها مع دعاة الهدى والرشاد.

فهذه الصور العجيبة مع الاضطهاد والأذى والخديعة والمكر واللجاج والمكابرة لا يمكن أن تصدر إلا عن نفس شيطانية شريرة يزعجها أن ترى لله طاعة في الأرض، ومن ثم فهي تأبى إلا أن تقعد للخير كل مقعد وتسد عليه كل طريق.

وقوم هذا شأنهم أتراهم يقر لهم قرار وهم يرون الدعوة المحمدية تسري بين الناس سريان النار في الهشيم!! ماحيلتهم إذاً تجاه هذه الجموع الغفيرة التي ملك الإسلام عقلها وقلبها حتى إن الواحد منهم ليتخلى ـ عن طواعية وحب ـ عن وطنه وأهل وولده وما له، بل عن روحه من أجل نصرة هذا الدين الحنيف!!

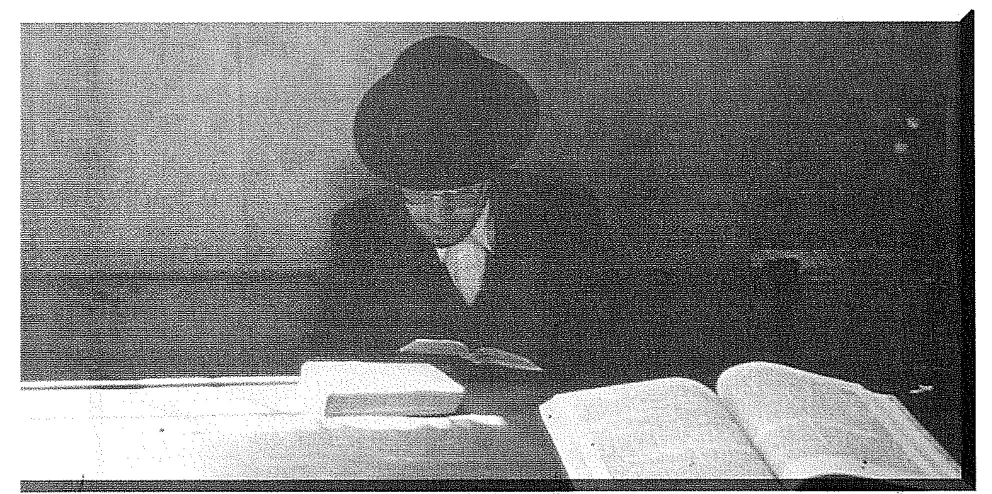
بقلم : زينب عبدالسلام أبو الفضل

لقد أظهر القوم من أنفسهم الرغبة في الموادعة والمسالمة فأبرموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبرموا من عهود ومواثيق ولكن، ما فتئ شيطانهم يوحي إليهم بزخرف من القول كلما رأى جموعاً من الشر تتكاتف فيما بينها لوأد الدعوة المحمدية وإخمادها في مهدها، كان يوحي إليهم شيطانهم بضرورة الانضمام إلى قوى الشر وجيوش الكفر علهم يظفرون بالنصر فيعودون إلى سابق عهدهم يتطاولون على الذين كفروا بما أوتوا من علم ورسالة.

ولكن هل يقف الإسلام عاجزاً أمام تأديب وتربية هذه الفئة التي استخفت به وبنبيه ولم ترقب في مؤمن إلاً ولا ذمة؟ كلا...

لابد إذاً من المواجهة العسكرية، بل من المواجهات العسكرية وكانت نتيجتها أن خليت جزيرة العرب نهائياً من هذا الجنس البغيض. والمسلمون فوق ما أعطاهم القرآن من ساحة تعبيرية كبيرة أخبرهم فيها عن قصة وتاريخ بني إسرائيل مع أنبيائهم وما جبلوا عليه من لؤم وخسّة وغدر وفرقة وذلة وصغار ودناءة ونكوص، وما حملته لهم فترة السيرة النبوية من مواقف ذاخرة بالأحداث تضيء أمامهم الطريق كلما عنَّ لهم أمر مع اليهود لديهم رصيد ضخم وتجارب شتى غنية كان سببها قبول اليهود كمواطنين معاهدين في ديار الإسلام بعد استقرار الحكم الشرعي للمسلمين. من هنا، فإنه من المثير للعجب أن نجد أنفسنا ـ نحن المسلمين ـ حتى اليوم نتعامل مع هذه الطائفة من الناس على غير هدى أو علم أو كتاب منير. فاليهود هم هم على اختلاف أجناسهم وأجيالهم وعصورهم، طبيعتهم واحدة وسلوكهم واحد، وصفاتهم التي خاطبهم بها القرآن خالدة خلود النص القرآني نفسه، ودليلنا على ذلك أن القرآن الكريم خاطب يهود عصر المبعث بما خاطب به أجدادهم، بل حمّلهم جرائم أجدادهم: (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) البقرة: ٧٢، (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) البقرة: ٦١، (وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) الأعراف: ١٤١ مع أنه معلوم عندنا في الإسلام أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، فكأني بالقرآن يهيب بنا نحن المؤمنين به، أن نكون كيسين فطنين، فما دام الداء واحداً، فلا شك أن أسلوب العلاج لن يكون سوى أسلوب واحد ولن يستأصل الداء حديثاً إلا بما استؤصل به قديماً.

وهذا يسوقني إلى القول إن سقوطنا اليوم فيما ينصبه لنا اليهود من أفخاخ تحت مسميات عدة برّاقة مثل: (السلام ـ التطبيع ـ التعاون الثقافي والاقتصادي... إلخ) لا يحتمل إلا معنى واحداً، هو أن جهلنا بكتابنا وسيرة نبينا وأحداث تاريخنا وصل إلى درجة مزرية قبيحة وما ذلك إلا نتيجة لغياب الوعي الديني، وشحن عقولنا بمعلومات مضللة من شأنها أن تغيب فينا الحسّ الديني أو تقيم ستراً كثيفة بيننا وبين أن نمضي في حياتنا على هدى من ديننا وبصيرة من قرآننا. وإلا، فما معنى أن نجد ذلك الركون إلى عهود اليهود ومواثيقهم وفينا كتاب الله يتلى علينا صباح مساء يقول: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) المائدة: ١٣، (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) النساء: ١٥٥. ما معنى هذا الضعف والتخاذل والانهزام والإحساس بالضعف والضعة أمام بني يهود مع أن الله سبحانه وتعالى بيّن لنا أنهم أمة جبانة ذليلة في نفسها ليس هذا فقط، بل وضع أيدينا على مفاتيح قوتهم وذكرها لنا صراحة، وإذا كنت قد عرفت نقاط ضعف خصمك ونقاط قوته، فمن الحماقة إذاً أن تكون له الغلبة عليك.



مفاتيح قوة اليهود

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) آل عمران: ١٩٢. فالحبل في الآية ـ كما يقول ابن جرير الطبري ـ هو السبب الذي يأمن به اليهود على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهود وأمان لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام.

ويقول الشيخ الإمام محمد عبده في تفسير الآية الكريمة: (... أي إن حالهم معكم أن يكونوا أذلاء مهضومي الحقوق، رغم أنفوفهم إلا بحبل من الله وهو ما قررته لهم الشريعة إذا دخلوا في حكمكم من المساواة في الحقوق والقضاء وتحريم إيذائهم وهضم شيء من حقوقهم «حبل من الناس» وهو ما تقتضيه المشاركة في المعيشة من احتياجكم إليهم واحتياجهم إليكم في بعض الأمور.

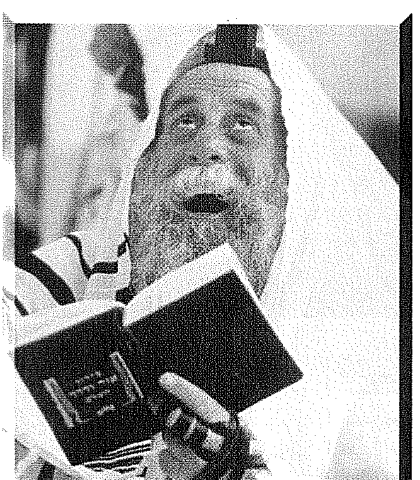
أي فهذا القدر المستثنى من عموم الذلة لم يأتهم من أنفسهم وإنما جاء من غيرهم فهم لا عزة لهم ولا سلطان في أنفسهم لأن السلطان والملك قد فقدا منهم.

و«المسكنة» حال للشخص منشؤها استصغار لنفسه حتى لا يدعي له حقاً و«الذلة» حال تعتري الشخص من سلب غيره لحقه وهو يتمناه فمنشؤها وسببها غيره لا نفسه كالمسكنة.

وأما الذل فقد كان ارتفع عنهم في بلاد

الإسلام بحبل من الله وهو وجوب معاملتهم بالمساواة واحترام دمائهم وأعراضهم وأموالهم والتزام حمايتهم والذود عنهم بعد إنقاذهم من ظلم حكامهم السابقين الظالمين وبحبل من الناس مما تقدم بيانه.

وربّ سائل يسأل: إذا كان الشيخ الإمام ومن قبل شيخ المفسرين الطبري ولفيف آخر من المفسرين قد ذهبوا في تفسير الآية إلى ما ذكرنا معتمدين في هذا اعتماداً كبيراً على ما ورد من تفسير مأثور عن الصحابة والتابعين فمن أين ليهود هذا الزمان هذه القوة وهم الآن ليسوا داخلين في حكم المسلمين كمواطنين في ديار الإسلام، نقول إن منبع قوتهم يأتيهم مما فرض لهم الإسلام من حقوق؟ بل إن العكس تماماً هو الصحيح.



لقد أصبح أهل فلسطين من المسلمين هم الداخلون الآن تحت وصاية يهود وحكمهم، فصاروا بهذا أذلاء هذا الزمان.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن اليهود قوم أذلاء ولا تأتيهم قوة إلا بحبل من الله وحبل من الناس فهل لليهود حبال في عصرنا ومن هم؟

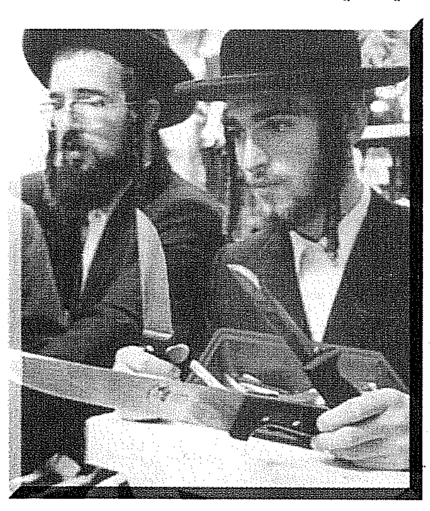
أقول: لليهود حبال كثيرة في عصرنا وهي وإن اختلفت عن ذي قبل إلا أنها تعد سبباً أساسياً في رفع الذلة عنهم وإمدادهم بمدد كبير من القوة وأسباب البقاء. وفيما يلي مزيد من التفصيل.

الحبل الأول من حبال اليهود: «أمريكا وحلفاؤها»

بالرغم من انسحاب الاستعمار القديم بعد أن زرع في قلبنا «إسرائيل» ذلك الجسم البغيض والشوكة الجارحة التي تمثل نقطة توتر وضيق لكل عربي مسلم وفي الوقت ذاته تمثل راعياً وحارساً أميناً على مصالح الغرب في منطقتنا والتي تتضارب الضرورة مع مصالحنا جمعاء.

لقد عملت إسرائيل منذ قيامها على إفساد خططنا الاقتصادية والإصلاحية بل على تخريب وتدمير كل ما من شأنه أن يسهم في تقدمنا ونضهتنا.

وإذا كان الاستعمار القديم هو الذي مكّن لهذا الكيان البغيض وزرعه في قلبنا، فإن الاستعمار الجديد والقوة الصاعدة «أميركا» هي التي أمدت إسرائيل حتى الآن بعناصر



البقاء بعد أن مكّنتها من أن تصبح القوة العسكرية الأولى والترسانة النووية الوحيدة في المنطقة، وبذلك أصبحت حبلاً من حبال اليهود وامتداداً لحبل فرنسا وبريطانيا من قبل، بل أصبحت هي الآن أقوى حبل يتشبث به اليهود ليحموا أنفسهم من الذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم.

ذلك أن الكيان الإسرائيلي في حقيقته كيان عنصري طائفي يفتقر إلى إمكانات الدولة الحقيقية ولولا انحياز أمريكا إلى إسرائيل ضد العرب كما يؤكد ذلك الكاتب الأمريكي «ستيفن عزيز في كتابه: الانحياز» ما كان لليهود أن يحققوا هذه السلسلة من الانتصارات، بدءاً بحرب ١٩٤٨م وحتى الآن، معززاً قناعته بتلك المجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأمريكية وغيرها من الدوائر المعنية.

إسرائيل تصنع نفسها بمدد من الحبل الأميركي

والحقيقة أنه على الرغم من الإغداق الأمريكي الكبير - غير المشروط - على الكيان الصهيوني ليكون دولة ذات ثقل اقتصادي وسياسي وحربي في المنطقة تخدم مصالحها وترعى أهدافها لم يمنع هذا الصهاينة من التفكير في عاقبة ما إذا منعت عنهم أميركا هذا السيل الجارف من المعونات لسبب أو لآخر، ومن ثم كان حرص إسرائيل على أن تكون هي المتلكة لعقل أميركا وقلبها والموجهة الحقيقية لسياستها في المنطقة إن لم يكن في العالم بأسره.

دليلنا على ذلك هذا العدد الضخم من اللوبي اليهودي الذين ازدحم بهم الكونغرس يتابعون كل ما يدور وينتزعون ما يرفضونه من قرارات من أعضاء الكونغرس حتى لقد أصبح هؤلاء الأعضاء بوقاً لأصواتهم وصدى لمواقفهم وما حيلتهم وهم يعلمون تماماً أن وصولهم إلى مقاعدهم واستمرارهم فيها لن يكون إلا عن طريق هذا اللوبي الخبيث!! إضافة إلى ما سبق نجد حرصاً شديداً من جانب إسرائيل على استغلال ذلك الإغداق الأميركي الكبير في العمل على ضمان تفوقها العلمي على دول المنطقة بأسرها.

لقد أدرك اليهود بشكل أبكر دور التخصص وإتقان العمل في التحكم بالمجتمعات والتأثير فيها، فكان منهم العلماء والمفكرون والباحثون الذين يحتلون اليوم معظم المنابر العلمية والتقنية المؤثرة سواء في تلك العلوم الإنسانية أو التطبيقية على حد سواء.

ففي علم النفس وعلم الاقتصاد والاجتماع والكيمياء والفيزياء وعلوم الذرة وعلوم الأسلحة الاستراتيجية «حرب النجوم» وفي الجامعات ومراكز البحوث والدراسات وفي مجال الصحافة والإعلام والإنتاج والسينما لهم ريادات وقيادات، فاسم فرويد في علم النفس، ودوركهايم في علم الاجتماع، وأنشتاين في الرياضيات، ووايزمن في الكيمياء، وغيرهم من حاخامات اليهود، لا

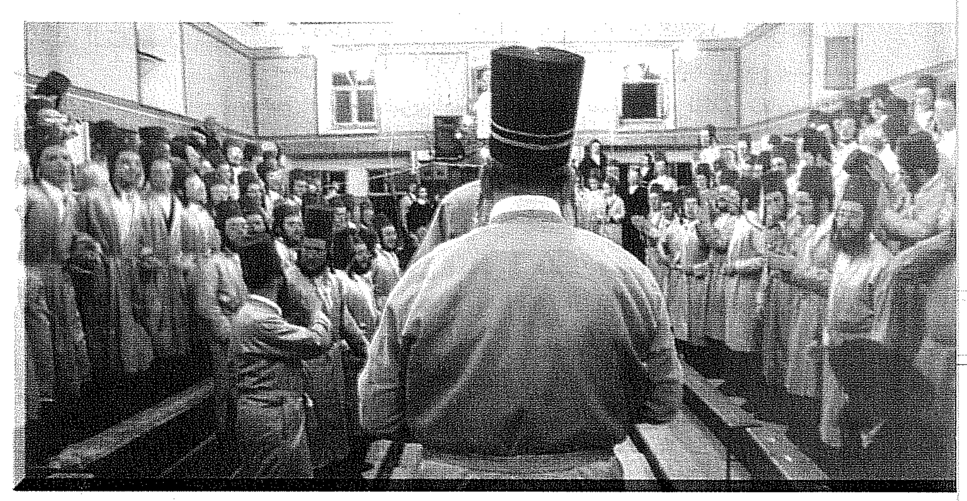
يزالون يثيرون الجدل ويخطفون الأبصار حتى يومنا هذا.

لقد بلغ التطور العلمي في إسرائيل إلى الحد الذي شغلت به أذهان الباحثين والعلماء ودول العالم قاطبة سوى الدول الإسلامية، التي لا تزال فقط في سبات عميق في هذه الناحية.

ففي مقال نشرته التايمز أخيراً تحت عنوان: «ما الذي سيحدث عندما تهيمن إسرائيل على صناعة الإنترنت»، وكان موضوع المقال هو التطور العلمي المهم في إسرائيل في صناعة الإلكترونات والمعلومات وتأثير ذلك على موازين القوة والصراع بينها وبين جيرانها العرب.

ثم انتهى الكاتب إلى أن الكل سيخطب ود إسرائيل بعد أن تصبح شركة إسرائيلية واحدة في العالم بالقرب من طبريا هي الوحيدة في العالم التي تصنع رقاقة تحويل رئيسية للإنترنت.

ثم نقل الكاتب عن باحث اقتصادي إسرائيلي قوله: «إذا كنت تملك التكنولوجيا التي يحتاجها الآخرون فمن يعبأ إذا كنت تقمع الفلسطينيين». وفي بحث أجراه د. نادر فرجاني خبير التنمية البشرية حول تقويم القدرات البشرية والثقافية لدى عرب إسرائيل، توصل الباحث إلى أنه بالرغم من أن العرب يمثلون قرابة خمسين ضعفاً بالنسبة لإسرائيل، فهم يعيشون على رقعة من الأرض تعادل ستمئة ضعف بالنسبة



للأرض التي تعيش عليها إسرائيل، إلا أن إسرائيل متفوقة علمياً على العرب بمعدل عشر مرات في الأفراد العلميين وأكثر من خمسين مرة في وصلات الإنترنت، وأكثر من سبعين مرة في النشر العلمي وقرابة ألف مرة في براءة الاختراع.

ومما ورد في هذا المقال إن إسرائيل تعد الآن في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الشركات ذات الصلة بالكمبيوتر. وتساءل «فريدمان» كاتب هذا المقال: ماذا يعني بالنسبة للشرق الأوسط أن تكون بعض الدول العربية لا تزال تبحث في دخول الإنترنت، في حين أن إسرائيل تقوم منذ الآن بتصنيع الجيل الثاني منه، ثم يجيب قائلاً: إن ذلك يعني الكثير، فالهوة تزداد اتساعاً بين إسرائيل وجيرانها العرب، خصوصاً أن الناتج المحلي الإسرائيلي يعادل تقريباً مجموع إجمالي الناتج المحلي لكل من مصر وسورية، الأمر الذي سيجعل إسرائيل أقل عرضة لتهديد الضغوط السياسية والمقاطعة الاقتصادية من جانب العرب.

أرقام مخيفة مفزعة تنبئ عن أن المعركة المقبلة مع إسرائيل لن تكون سوى معركة العلم والتكنولوجيا، وهذا يلقي علينا عبئاً ثقيلاً ويتطلب يقظة ونهضة من الجميع حكاماً ومحكومين، فالخطب جُدُّ خطير، وبخاصة أن إسرائيل تُدعم تدعيماً كبيراً من أميركا، ليس ذلك فقط، بل لديها رصيد ضخم من الاستثمارات الأجنبية الأخرى، حيث يوجد لدى إسرائيل علماء كثيرون من الهند والصين واليابان يعملون في المعامل الإسرائيلية، وهكذا أصبحت إسرائيل منطقة جذب للعقول العلمية من جميع دول العالم، على حين مازالت بلادنا تحتل منطقة طرد لهذه العقول نتيجة فقد الإمكانات، بل فقد الثقة في أنفسنا، وفي أبنائنا وعقولهم إلى جانب عوامل كثيرة أخرى، لعل أهمها ما ابتلينا به من قديم بالرغبة في تحطيم الرموز والحقد على كل ناجح والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

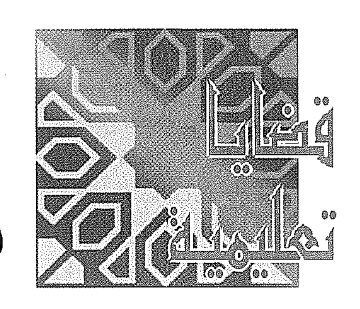
لكن ماذا عن حلفاء أميركا

إذا كانت أميركا حتى الآن بلامنازع هي راعية مصالح اليهود الأولى في المنطقة المدافعة عن بقائهم وكيانهم، فإن دول الكفر الأخرى - استعمار الأمس - بلا شك شريك أساسي لأميركا في رعاية تلك المصالح اليهودية.

ذلك أن التعصب الأميركي لليهود وسياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها أميركا مع شعوب المنطقة واضحة وشاهدة أمام الجميع، ومع ذلك لا نكاد نرى أو نسمع تصريحاً أو تلميحاً من جانب هذه الدول ينتقد تلك السياسة الأميركية، بل إن العكس تماماً هو الصحيح، فهذه الدول جميعها تعد مدداً كبيراً للحبل الأميركي، بل إن الحبل الأميركي في حقيقته ليس إلا امتداد لذلك الحبل الصليبي القديم.

ولعل أقبح ما أطلت به علينا هذه الدول التي تتزيا وتتقنع بقناع الصديق، تلك الوثيقة البغيضة التي طلب فيها الفاتيكان الغفران من اليهود، وأعلن عن ندمه وأسفه حول دور الكنيسة الكاثوليكية خلال مذابح الإبادة الجماعية «الهولوكوست» التي ارتكبها النظام النازي ضد يهود أوروبا، مع علم الفاتيكان بكذب هذه الادعاءات اليهودية، وأن هذه في حقيقتها ما هي إلا أساطير مختلقة اختلقها اليهود لتبرير هجرتهم وإقامتهم كياناً بغيضاً في فلسطين.

وهكذا تتعاون دول الكفر اليوم، كما تعاونت بالأمس، لا على إضعاف المسلمين فقط، بل يتجلى هدفهم الأكبر في إسكات صوت المؤذن، ومحو كلمة التوحيد من الأرض، ولكن هيهات... فالله غالب على أمره ولو كره الكافرون. ■



الجامعة المفتوحة العربية هل تحقق حلم الوحدة الغائب ؟

مكتب القاهرة

إنشاء جامعة عربية مفتوحة تبث برامجها ومناهجها الموحدة عن طريق القنوات الفضائية العربية المنتشرة في الفضاء فكرة عرضت على مجلس جامعة الدول العربية منذ أشهر عدة، ونالت موافقة جماعية من جميع وزراء التعليم العالي في الوطن العربي.

كما حظيت باهتمام القيادات السياسية بها حتى أعلن الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أن وزارات التعليم بدأت بالفعل في اتخاذ الخطوات التنفيذية لأن تصبح هذه الفكرة واقعاً خلال الأشهر القليلة المقبلة.

وفي هذا التحقيق نستعرض تاريخ التعليم المفتوح وتجارب إنشاء جامعات مفتوحة في الدول المتقدمة وعلى رأسها انكلترا وأميركا واليابان، كما نستعرض تجربة مصر في التعليم المفتوح وآراء خبراء التعليم والإعلام في طبيعة المناهج وأفضل القنوات لتوصلها بحيث تكون الجامعة العربية المفتوحة بالفعل بداية حقيقية لحلم الوحدة الشاملة.

الأصول التاريخية

بدأت الخطوات الأولى نحو فكرة التعليم العالي المفتوح عندما تأسست مدرسة لتعليم اللغات بالمراسلة في ألمانيا، ثم أخذت الفكرة تتبلور وتنتشر على مستوى التعليم العالي في كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأميركية، حيث ابتكرت بريطانيا نظاماً مشابهاً للتعليم المفتوح عن طريق منح جامعة لندن درجات جامعية للدارسين دون الحاجة إلى حضورهم إلى الجامعة، وكان ذلك العام ١٨٥٨م، وطبقاً لهذا النظام، أصبح من حق أي شخص التقدم للحصول على الدرجة الجامعية بشرط اجتياز امتحان خاص، وفي حال نجاح الدارس في هذا الامتحان يدفع المصروفات الدراسية ومختارات المناهج المرتبطة بالشهادات الراغب في الحصول عليها، بشرط أن يكون الحد الأدنى لمدة الدراسة خمس سنوات، وكانت المقررات الدراسية تقدم من خلال مراكز وكليات التعليم بالمراسلة أو من خلال المقررات المسائية التي تنظمها بعض المؤسسات العامة والخاصة، لبعض الوقت أو من خلال مقررات العطلة. وفي جامعة كمبردج فكر جيمس ستوران العام ١٩٦٦م، في إنشاء جامعة متنقلة بتوزيع أساتذتها بين المدن الكبرى ليتيح للناس فرصاً أوسع لتلقي تعليم رفيع، وبدأ ستوارت العام ١٨٦٧م في إلقاء محاضرات للمعلمين في المدارس، حتى بدأت جامعة كمبردج العام ١٩٧٣م، بتنظيم هذه الخدمة التعليمية بشكل مستمر.

ومع بداية القرن العشرين، قامت هيئة الإذاعة البريطانية بتقديم خدمة تعليمية عبر الهواء، وفي العام ١٩٢٧م، خصصت الإذاعة قسماً لتعليم الكبار، ومع بدايات التلفاز وانتشاره في العالم اقترح أستاذ تربية إنكليزي العام ١٩٦٢م إنشاء جامعة مفتوحة تقدم برامجها التعليمية من خلال المراسلين ووسائل الإعلام، وبخاصة التلفاز على أن تقوم جامعة لندن بمنح الشهادات للطلاب الدارسين.

وفي العام ١٩٦٢م، طالب هارولد ويلسون زعيم المعارضة في مجلس العموم البريطاني بإنشاء جامعة مفتوحة تحت مسمى جامعة الهواء لتخدم المملكة البريطانية ككل.

ولم تجد هذه الفكرة طريقها إلى التطبيق الفعلي إلا عندما تولى ويلسون نفسه رئاسة الحكومة في بريطانيا العام ١٩٦٤م، وكلف وقتها جانيت لي وزير التربية والتعليم العالي بدراسة مشروع جامعة الهواء، وبدأت الدراسة بالجامعة بشكل محدود العام ١٩٦٧م، حتى بلغ عدد الدارسين فيها العام ١٩٧٠م ٤٠ ألف طالب، وفي العام ١٩٧١م، تم بث الدروس على الهواء مباشرة.

وكانت مناهج الجامعة في ذلك الوقت تركز على الدروس الأساسية في الفلسفة والآداب والرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

الولايات المتحدة الأميركية

كانت بداية الجامعة المفتوحة في أميركا عندما أصدر

الكونغرس الأميركي العام ١٨٦٢م قانون موريل الذي يخصص لكل ولاية من الولايات منحة من الأرض تستخدم لإقامة جامعات تهدف إلى تقديم التعليم العالي لأبناء الميكانيكيين والفلاحين، دون ارتباط بمؤهلات تعليمية سابقة أو رسوم دراسية مرتفعة، وأطلق على هذه الجامعات اسم منحة الأرض، لأنها كانت تهدف في المقام الأول إلى تعليم الفلاحين والميكانيكيين أساليب جديدة في رفع إنتاجية الفدان واستخدام الميكنة الحديثة الزراعية.

خبراء التعليم الإعلامي يحددون ضوابط تربوية ومهنية للمناهج وطرق بثها عبر القنوات الفضائية

وفي العام ١٨٨٧م أقيم في الجامعات الأميركية النظام البريطاني في التعليم بالمراسلة وبخاصة جامعة شيكاغو، إلا أن العام ١٨٩١م، شهد عقد مؤتمر قومي حضره المهتمون بقضايا التعليم الذين رفضوا فيه تقليد التجربة البريطانية كنوع من تحقيق الاستقلال التربوي والثقافي عن المجتمع الإنكليزي بعد أن تحقق لهم الاستقلال السياسي والفكري من العرش البريطاني.

ومن هنا بدأت الجامعات الأميركية بالاهتمام بعمل برامج تعليم مفتوحة في كل التخصصات، مستندا إلى فلسفة أن توصيل المعرفة يجب أن تكون للجميع وأن هذه المعرفة يجب أن تصل للناس حتى ولو لم يطلبوها، ومن ذلك فإن المجتمع الأميركي رأى أن تتحمل الجامعات التقليدية مسؤولية فتح فروع للتعليم المفتوح من خلال أقسام دراسية مستقلة في العمليات التقليدية بدلاً من عزل هذا النظام في جامعات متنقلة كما حدث في بريطانيا.

تجربة اليابان

تميزت تجربة اليابان في التعليم المفتوح بأنها استغلت خبرة مؤسسات المجتمع الياباني في تقديم برامج تعليمية للجميع، من خلال الراديو والتلفاز، حيث بدأ استخدام المذياع كوسيلة للتعليم العام ١٩٣٥م، والتلفاز العام ١٩٥٣م، وتم تخصيص قناة تعليمية مستقلة العام ١٩٥٩م.

إلا أن المجتمع الياباني بدأ يفكر وينادي بإنشاء جامعة مفتوحة وبخاصة أن ٤٥٪ من شباب اليابان ملتحقون بالتعليم العالي، ومنذ بداية مايو العام ١٩٦٩م، تشكلت لجنة من وزارتي التربية والتعليم والمواصلات بهدف الإعداد لجامعة مفتوحة أو جامعة الهواء.

وأوصت اللجنة أن تبدأ الجامعة مهامها في أبريل العام ١٩٧١م، على أن تستخدم في بث مناهجها موجات معينة وتتمتع باستقلاليتها كجامعة للتعليم عن بعد وتمنح شهادات معتمدة ومعادلة لبقية الشهادات التي تمنحها الجامعات اليابانية الأخرى بما فيها جامعة طوكيو.

كما أوصت هذه اللجنة أن تكون المواد العلمية مطبوعة في كتاب دراسي عادي لمساعدة الدارسين على عمليات المراجعة، ورغم إسهامات فكرة الجامعة المفتوحة في تأسيس عدد من الجامعات بالمراسلة حتى أصبح في اليابان ١٧ جامعة تقدم برامج للتعليم بالمراسلة.

إلا أن فكرة الجامعة المفتوحة أو جامعة الهواء، ظلت أسيرة برامج معينة استمرت اللجان التحضيرية الخاصة بها من العام ١٩٦٧م، وحتى الافتتاح الرسمي لها العام ١٩٨٥م، ولقد كان المعهد القومي لوسائل الاتصال التربوي المتعددة في العام ١٩٧٨م، نواة لهذه الجامعة، حيث بدأ هذا المعهد في بث البرامج التعليمية وتحديد شروط التعليم فيها، كما ساعد الجامعات الحكومية في تقديم برامجها خارج أسوار الجامعة، وكان الافتتاح الرسمي لجامعة الهواء اليابانية التي تعد أفضل جامعات التعليم عن بعد على مستوى العالم العام ١٩٨٥م، حيث أكد أول رئيس لها أنه يهدف من تأسيس هذه الجامعة الخدمة التعليمية للأفراد في المنازل وأماكن عملهم أو حتى في الجبال، وقال إن التعليم لم يقتصر على سن معين، بل يستمر مدى الحياة وفي كل مراحل العمر.

الجامعة المفتوحة في مصر

كانت نواة التعليم المفتوح في مصر، كما يقول الدكتور علي السلمي وزير التنمية الإدارية المصري السابق ورئيس أول مركز تعليم مفتوح في جامعة القاهرة إن الفكرة بدأت بتقديم برامج تعليمية عن طريق التلفاز العام ١٩٦١م، ومع بداية العام ١٩٦٩م، تم الاتفاق بين المسؤولين في وزارة التربية والتعليم على ضرورة تقديم البرامج التي تصلح تلفزتها في المواد العلمية المختلفة للشهادات العامة.

ومع بداية الثمانينات، تزايد الاهتمام بفكرة التعليم عن بعد، حيث قرر المجلس الأعلى للجامعات بتاريخ ١٩٨٣/٣/١٠م، الموافقة على تأهيل جامعي لمعلمي المرحلة الابتدائية من حملة دبلوم المعلمين والمعلمات نظام السنوات الخمس بعد الإعدادية، كما قرر المجلس الموافقة على أن تعتبر دراسة هذا البرنامج معادلة لدرجة البكالوريوس في التربية والعلوم أو الليسانس الذي تمنحه الجامعات المصرية.

مفيد شهاب وزير التعليم المصري يؤكد أن مصر تضع جميع إمكاناتها لتحقيق هذا المشروع

وكان تدريس البرامج التأهيلية يتم عبر التلفاز كنوع من التعليم عن بعد بهدف رفع مستوى مدرس المرحلة الابتدائية وكان نظام الدراسة طبقاً للساعات المعتمدة والذي يمثل ٢٠٠ ساعة في ٤ أعوام جامعية.

في نهاية العام ١٩٨٩م

تجارب أمريكا وبريطانيا واليابان تؤكد أهميتها في ترسيخ الثقافات

دعا وزير التعليم إلى إنشاء مراكز التعليم المفتوح في الجامعات المصرية، وفي أقل من عام قامت كلية التجارة جامعة الإسكندرية بإنشاء مركز للتعليم المفتوح اعتباراً من العام الجامعي ١٩٩٠/١٩٩١م، للحصول على بكالوريوس التجارة «شعبة المال والأعمال» وفي منتصف العام الجامعي نفسه ٩٠/٩١، قامت جامعة القاهرة بإنشاء مركزين للتعليم المفتوح الأول في كلية التجارة للحصول على بكالوريوس التجارة في المعاملات المالية والتجارية، والثاني في كلية الزراعة للحصول على بكالوريوس تكنولوجيا استصلاح واستزراع الأراضي الصحراوية.

ويقول د. علي السلمي أول رئيس لمركز التعليم المفتوح في جامعة القاهرة: إن التعليم المفتوح كان الهدف منه إنشاء جامعة تتيح فرصة التعليم المستمر للطلاب والعاملين لرفع المستوى الثقافي وتحديث مهارات ومعلومات واتجاهات العاملين بمختلف مجالات الاقتصاد القومي.

ورغم مطالبة معظم الجامعات المصرية بالتوسع في التعليم المفتوح بإنشاء فروع لها، إلا أن الأمر توقف عند هذا الحد.

ويؤكد د. محمد عبدالله الأستاذ في كلية التربية جامعة حلوان أهمية تقويم هذه التجربة على المستوى العربي والإسلامي مشيراً إلى أن وجود جامعة مفتوحة على المستوى العربي سيساعد في التغلب على حال الاغتراب التي تعيشها بعض الشعوب العربية.

أما الدكتور مجيد أمين محمد الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعات في مصر فيرحب بفكرة إنشاء جامعة عربية مفتوحة مشيراً إلى أن المجلس الأعلى قد وافق مبدئياً على التوسع في التعليم المفتوح في مصر باعتبارها دولة رائدة في التعليم يمكن أن تسهم تجربتنا في إفادة تجربة إنشاء جامعة عربية مفتوحة.

ويؤكد الدكتور حامد عبدالرحيم مدير معهد بحوث التراث العلمي أن إنشاء جامعة مفتوحة على المستوى العربي سيساعد في ترسيخ الهوية العربية والانتماء للثقافة العربية الإسلامية مشيراً إلى أن المناهج يجب أن تراعي التراث المشترك للأمة العربية والإسلامية بحيث تعمق الدراسات الإنسانية والتربوية البعد الحضاري، بالإضافة إلى البعد العلمي الذي يجب أن يسمح لأكبر عدد ممكن من المسلمين والعرب للحصول على تعليم مميز.

ويطالب د. عبدالرحيم بعمل استطلاعات للرأي بين جموع العرب على ماهية المناهج التي يجب أن تدرّس في هذه الجامعة المفتوحة المقترح إنشاؤها.

القنوات الفضائية

القنوات الفضائية العربية المنتشرة يمكن أن تكون هي قنوات الإرسال لمناهج الجامعة المفتوحة العربية، كما يؤكد الدكتور محمود علم الدين أستاذ الإعلام ومدير مركز بحوث الرأي العام في جامعة القاهرة قائلاً إن الحكومات يجب أن توفر أجهزة الاستقبال بسعر مناسب للدارسين في البلاد العربية التي ينخفض فيها مستوى الدخل.

ويشير د. عادل فهمي أستاذ الإذاعة في جامعة القاهرة، إلى أهمية دراسة التاريخ بطريقة تكون بعيدة عن الخلافات العربية وفي الوقت نفسه تكرس الانتماء العربي والإسلامي للمواطن العربي المسلم.

ويؤكد د. فهمي أن استخدام الفضائيات العربية كقناة إرسال للتعليم المفتوح على المستوى الجامعي سيسهم في ارتباط المشاهد العربي بالفضائيات العربية والبعد عن الفضائيات الأجنبية.

ويحذّر من تحول هذه القنوات إلى مجرد وسيلة للتسلية مؤكداً أن التعليم من أهم وظائف وسائل الإعلام.

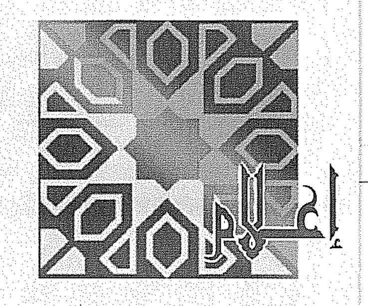
الخطوات التنفيذية

وإذا كان الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، قد أعلن الفكرة على جميع وزراء التعليم العالي في الوطن العربي ونال هذا الاقتراح موافقة الجميع، فهل تبدأ وزارات التعليم في وضع تصور لهذا المشروع لاتخاذ خطواته التنفيذية؟

الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي المصري، يؤكد تحمسه شخصياً لفكرة إنشاء مثل هذه المشروعات التي تدعم وتقرب حلم الوحدة العربية، مشيراً إلى أن مشروع الجامعة العربية المفتوحة لو أنشئ بضوابط ومعايير تربوية جيدة سيساعد على ارتفاع نسبة التعليم الجامعي بين العرب الذي مازالت نسبته أقل من ٢٧٪ في مقابل أكثر من ٤٥٪ في اليابان.

وزراء التعليم العالي العرب يجمعون على أهميتها خلال اجتماعهم بجامعة الدول العربية

ويقول د. شهاب إن مصر تضع كل إمكاناتها التعليمية وخبرات أساتذتها في هذا المجال بالذات «التعليم المفتوح» لإنجاح هذه التجربة مؤكداً أن المهم ليس من يرأس الجامعة، ولكن الأهم أن تصبح حقيقة تساعد على صهر الثقافات العربية في بوتقة الوحدة الشاملة. ■



أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية الإسلامية

بقلم: أ.د محيي الدين عبدالحليم

لايستطيع أحد أن ينكر الدور الكبير الذي يلعبه الإعلان في الصحافة أو الراديو أو التلفاز باعتباره الممول الحقيقي الذي من دون يصعب على هذه الأجهزة الاستمرار في نشاطها الثقافي والإخباري والترفيهي، ذلك أن الإعلان يشكل نحو ٧٥ في المئة من دخل هذه الأجهزة، ولاسيما في عصر الخصخصة، وانتشار القنوات الفضائية والصحف التي يصدرها أفراد وجماعات وهيئات لا تحصل على دعم من الحكومات أو الأجهزة الأخرى، إلا أن هذا لا يعني أن تتحول هذه الوسائل إلى قنوات لبث السموم ونشر الرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية، وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل، والهدى والضلال والخير بالشر، ولا سيما وقد درجت الكثير من أجهزة الإعلام على الحصول على الإعلان بأي شكل أو صورة.

ويتعامل المعلن مع المساحة الزمنية التي اشتراها التلفاز أو الراديو، والمساحة المكانية التي اشتراها من الصحيفة باعتبارها جزءاً من ممتلكاته الخاصة يتصرف فيها كيف شاء حتى لو أدى ذلك إلى تدمير الإنسان والقضاء على فكره السليم، ودفعه دفعاً إلى السلوك غير السوي، وإحداث البلبلة والفتنة بين أفراد المجتمع وجماعاته، وتنمية السلوك الاستهلاكي لدى الناس، وأخطر ما في الإعلان هو تأثيره على السياسات العامة للدولة باعتباره قوة اقتصادية كبيرة تؤثر على صانع القرار، وتدفعه دفعاً إلى اتخاذ المواقف حسبما يريده المعلن.

وقد ظهرت في الفترة الأخيرة في الصحف العربية إعلانات غاية في الغرابة تسهم في هدم البنية الأساسية للإنسان، وتجاوزت هذه الإعلانات كل حدود حتى طالت العقيدة الدينية وتراث الأمة وحقائق التاريخ، فأصبحنا نرى إعلاناً طبياً يزعم صاحبه القدرة على القضاء على مرض العقم بصورة نهائية، وينص الإعلان على أنه: «لا عقم بعد اليوم» متجاهلاً النص القرآني الذي حسم فيه الحق جل وعلا هذا الموضوع في قوله عز من قائل: (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير)، والإعلانات التي تعلن عن «سحور راقص في رمضان»، وكذلك الإعلانات التي تروج لكتب هابطة ومنشورات تسيء لثوابت الأمة وأصولها.

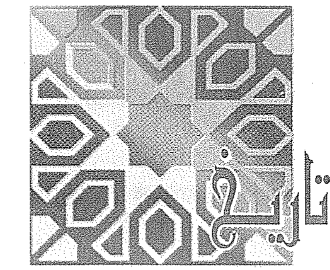
وإذا أضفنا إلى ذلك الإعلانات التي تروج لسلع فاسدة وبضاعة راكدة بهدف ترويجها ولو على حساب صحة الإنسان وحياته ومستقبله، وكذلك الإعلانات التي تعمل على تسويق الخمور، وتعمل على بث الرذيلة والفساد في المجتمع كإعلانات السهرات الليلية والفن المبتذل والطرب الهابط والذي يعمل على الانحطاط بأذواق المشاهدين والمستمعين والقراء.

ووصل الأمر في بعض الإعلانات إلى الاستخفاف بعقول المتلقين ومخاطبة غرائزهم الدنيا وحاجتهم إلى الطعام والشراب والجنس، والتي تشجع على الانفتاح بين الشباب والفتيات، والرجال والنساء تقليداً للمجتمعات الغربية التي حققت أعلى درجات التقدم بسبب إطلاق هذه العلاقة بلا حدود، ومن اللافت للنظر في هذا اللون من الإعلانات إقحام المرأة في كل إعلان، حتى لو لم تكن لها به علاقة كالإعلان عن شفرات الحلاقة والملابس الرجالية، والروائح التي تجذب المرأة إلى الرجل، وتجذب الرجل إلى المرأة، وتجعل منه شخصية محبوبة بين النساء.

وأخطر أنواع الإعلانات هي تلك التي تستهدف الطفل الذي لا يكاد يميز بين الخطأ والصواب أو بين الهدى والضلال، ولكنه ينساق بحكم تكوينه الغريزي نحو المضمون الذي يقدمه له الإعلان، وقد كشفت الدراسات العلمية عن التأثير الخطير الذي يتركه الإعلان على عقلية الأطفال ووجدانهم بفعل غريزة التقليد والمحاكاة التي تلعب دوراً فاعلاً في سلوكهم في هذه المرحلة العمرية، وهكذا يكشف عن خطورة هذا اللون من الإعلانات ولا سيما إذا أدركنا أن الأطفال يقضون أمام التلفاز أربعاً وعشرين ألف ساعة في العام، مقابل اثنتا عشرة ألف ساعة في قاعات الدرس، هذا ما أكدته دراسة لليونسكو أخيراً.

وأخطر أنواع الإعلان هو الذي يسعى للترويج للمبادئ والمعتقدات، والذي يلتبس فيه الأمر، فلا يعرف المشاهد أو المستمع أو القارئ ما إذا كان هذا إعلاناً أو مقالاً، فيخلط بين المادة الإعلامية والمادة الإعلانية، وهنا يتم وضع السم في العسل، فيلتهمه المتلقي دون أن يشعر، وما أكثر الضحايا الذين سقطوا ضحية إعلانات وهمية حتى أن المعلنين أصبحوا في كثير من دول العالم يتحكمون في صناع القرار أنفسهم.

وعلى الرغم من مواثيق الشرف، وقوانين الصحافة والتوصيات التي انتهت إليها الندوات التي طالبت بوضع حد للإعلانات التي تؤثر على سيكولوجية الجماهير وعلى أخلاقهم، إلا أن كل هذه المحاولات لا تزال حبراً على ورق بينها وبين الواقع بون كبير، وهذا يتطلب وقفة جادة لوضع حد لهذا النهم المادي الذي يقضي على الزرع والضرع، ويؤدي في النهاية إلى التأثير على القيم وانحطاط الأخلاق. ■



إطلالة تاريخية على مأساة قوصوه

تشكل منطقة البلقان حتى الآن بؤرة للتوترات والصراعات وتمثل عقدة خطيرة للغاية في أوروبا، عقدة استعصت على الحلول السلمية، وبخاصة أنها تحمل أكثر من سابقة في اندلاع الصراعات العرقية، بل حتى في نشوب الصراعات الدولية، حيث إن ذكرى الحرب العالمية الأولى واندلاع شراراتها الأولى في سراييفوا مازالت عالقة في الأذهان.

بقلم: د. جمال الدين سيد محمد

ومازلنا نشهد حتى الآن استمرار تداعيات المذابح الدموية التي ارتكبها النظام الصربي ضد مسلمي البوسنة تحت رماد اتفاقية دايتون للسلام التي أوهمت مختلف الأطراف بعودة السلام إلى المنطقة بمجرد توقيعها، ونسيان كل طرف ما وقع له على يد الطرف الآخر، وهذا أمر كشفت الأحداث الجارية في المنطقة عن أنه كان مجرد سراب وحلم خيال. ومن هنا جاء الإلحاح المبكر المستمر على الغرب من جانب الألبانيين في قوصوه، «أي كوسوفا»، لكي يتم إنقاذهم من العمليات الوحشية للقمع والتطهير العرقي التي تقوم بها القوات الصربية ضدهم، ولكي يتم مد مظلة حفظ السلام من البوسنة إلى قوصوه.

وبدأ لابد أن نشير إلى أن الصحف والمجلات العربية التي اعتادت على كتابة اسم هذا الإقليم «كوسوفو» نقلاً عن وسائل الإعلام الصربية واليوغسلافية والغربية، ثم بدلته خلال الأحداث الأخيرة إلى «كوسوفا» نسبة إلى النطق الألباني لاسم الإقليم، وأرى أن الاسم الأصح والأقرب إلى الواقع هو الاسم العربي للإقليم «قوصوه»، وهو الاسم الذي سنجده في المراجع العربية والعثمانية القديمة. ومن الطريف أن المصدر الأساسي لاسم إقليم «قوصوه» هو «قوص» وهي كلمة تعني طائر الشحرور، وهو طائر مغرد من فصيلة الشحروريات.

وإقليم قوصوه يقع في الجنوب الغربي من صربيا، وعلاوة على حدوده مع صربيا، له حدود مع مقدونية وألبانيا والجبل الأسود، وتبلغ مساحة الإقليم ١٠,٨٨٧ كيلو متراً مربعاً، ويعيش على أرضه نحو مليون وثلاثمئة ألف نسمة، ٩٠ في المئة منهم من أصل ألباني، وعاصمته برشتينا، وأهم مدنه بيتش، بريزرن، كوسوفسكا ميترفيتسا وجاكوفيتسا.

ويتمتع إقليم قوصوه بمناخ قاري معتدل مع وجود تأثيرات مناخية من منطقة البحر الأبيض المتوسط، وبه أراض زراعية خصبة، كما يمتلك ثروات معدنية ضخمة، ففيه كميات هائلة من الفحم، ويعد منجم تريبتشا أكبر منجم للفحم في يوغسلافيا السابقة وأوروبا، هذا علاوة على إنتاجه لكميات كبيرة من الرصاص والزنك والذهب والفضة والنيكل، أما سكانه فيشتغلون بالزراعة والرعي والتعدين وصناعات الأغذية والنسيج وصناعة الأخشاب والكيماويات. وبالرغم هذا الثراء في الخامات والموارد الطبيعية، إلا أن إقليم قوصوه يعد من أفقر المناطق اليوغسلافية والأوروبية من ناحية الدخل، وأقلها نمواً، فمع نهاية الثمانينات، لم يتجاوز عدد المشتغلين في أعمال منتظمة ١١,٥٪ من إجمالي عدد سكان الإقليم، ويمثل متوسط الدخل في الإقليم ثلث متوسط الدخل على المستوى اليوغسلافي، هذا بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الأمية والوفيات في الإقليم، ولذا فإن الخبراء يرجعون أساساً أسباب التوتر السايسي في الإقليم إلى تردي الأوضاع الاقتصادية فيه، ونحن نرى أيضاً أنه أحد الأسباب الرئيسة.

تاريخ الإقليم

وإذا أردنا استجلاء جذور أزمة قوصوه واستقراء أسباب الموقف الصربي المتشدد تجاه استغلال الإقليم يتعين علينا ضرورة سبر أغوار تاريخ هذا الإقليم من خلال إطلالة تاريخية سريعة يمكن أن تلقي مزيداً من أضواء الحقيقة على الأوضاع السابقة والحالية في الإقليم وعلاقة الصرب بالألبانيين في قوصوه.

وتفيد المراجع التاريخية أنه منذ العصر الحجري وقوصوه مستوطنة بالسكان الأصليين من قبائل الايليريين الذين هزموا الرومان في عامي ٧٥ ـ ٩ قبل الميلاد، وبعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية في العام ١٩٥م، أصبحت قوصوه تابعة لبيزنطة، وفي أواخر القرن السادس الميلادي استوطنها السلاف، ويمكن القول إن هذه هي بداية الصراع بين الألبانيين الذين ينتمون إلى الإيليريين، وبين الصرب الذين ينتمون إلى السلاف، ويوضح هذا قدم الصراع بين الجنسين على الصعيدين التاريخي والنفسي.

وعقب وفاة الأمبراطور البيزنطي ما نويلا في العام ١١٨٠م استولى الحاكم الصربي ستيفان نيمانيا

(١١٦٨م - ١١٩٦م)، بشكل نهائي على منطقة قوصوه وغيرها من مناطق الجنوب مؤسساً بذلك أول دولة للصرب، وحصل على التاج الملكي من روما، كما منحته بيزنطة الاستقلال للكنيسة الصربية.

وينكر الصرب تتابع حقب التاريخ ويقلبون الواقع ويبنون على هذه الحقيقة التاريخية بمفردها ادعاءهم الباطل بأن منطقة البلقان وبخاصة إقليم قوصوه هو موطنهم الطبيعي ومهد حضارتهم ومكان مولد أول دولة صربية ولذا يعتبرون أن لهم فيه حقوقاً تاريخية، وذلك بالرغم من حقائق التاريخ التي تفيد بأنه في عهد الدولة الإقطاعية الصربية كان يعيش في قوصوه سكان من جنسيات مختلفة «الصرب السلاف، الألبان الإيليريون، الغلاس الرومانيون».

وقام الفتح العثماني لمنطقة البلقان بتغيير خرائطها، حيث جرت في أغسطس العام ١٣٨٩م المواجهة الحاسمة بين الأتراك العثمانيين والصرب على أرض قوصوه، ولقي الصرب بقيادة الملك لازار كربليانوفيتش شر هزيمة، وتم أسره وإعدامه، كما لقي السلطان مراد العثماني مصرعه على يد فدائي صربي يدعى ميلوش أوبليتش.

وبناء على هذه المعركة يستند الصرب أيضاً في دعواهم إلى أن قوصوه هي الأرض المقدسة التي ارتوت بدماء أجدادهم في حربهم ضد العثمانيين، وهي دعوى غير منطقية، وهناك العديد من الباحثين والمؤرخين ممن يدحضون ادعاءات الصرب في قوصوه، بل ينعتونهم بأنهم محتلون لأرضها.

ومنذ معركة قوصوه والصرب يتوارثون التطلع إلى قوصوه باعتبارها أرض ميعادهم، ويعتبرون التفريط فيها بمثابة التفريط في أساس وجودهم، ويتناسون أنها في الوقت نفسه أرض ميعاد الألبانيين، وتتجه إليها أنظار كل الألبانيين الموجودين خارج ألبانيا والمشتتين في أنحاء مختلفة من البلقان وباقي دول أوروبا.

وانعكست هذه الهزيمة العثمانية للصرب انعكاساً سيئاً على تاريخ صربيا التي فقدت تماماً استقلالها وأصبحت دولة تابعة للدولة العثمانية، كما تركت انطباعاً عميقاً للغاية لدى أفراد الشعب، وانعكس ذلك أيضاً في مجموعات القصائد الشعبية وغيرها من أجناس الأدب عن هذه المعركة المأساوية.

ولاحظ المتخصصون الأهمية التاريخية والمعنوية والرمزية الكبيرة لإقليم قوصوه في التراث القومي الصربي، باعتباره رمزاً لمقاومة الاحتلال العثماني ومهداً للأرثوذكسية الصربية.

وبعد معركة قوصوه واستيلاء العثمانيين على السلطة في هذه المنطقة، استغل النمساويون «الكاثوليك» سخط



الاسم العربي للإقليم «قوصوه» هو الأصح والأقرب إلى الواقع

الشعب وجذبوا إلى صفوفهم الصرب والألبان الكاثوليك في حروب مضادة للعثمانيين على فترات مختلفة، وفي تلك الفترة نفسها، قام الصرب بهجرة جماعية من قوصوه إلى المناطق عبر نهري السافا والدانوب، وسرعان ما استوطن مكانهم السكان المسلمون وأغلبيتهم من الألبانيين.

ولما انهزم الأتراك العثمانيون في حرب البلقان في العام ١٩١٢م، تم ضم قوصوه إلى صربيا، الأمر الذي تم تأكيده باتفاق لندن للسلام في العام ١٩١٣م.

وخلال الحرب العالمية الأولى، وقعت قوصوه في الفترة من العام ١٩١٥م وحتى ١٩١٨م تحت احتلال الإمبراطورية النمساوية الهنغارية، ومنذ العام ١٩١٨م أصبحت مرة أخرى في إطار صربيا، أو بتعبير أدق في إطار مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين، واستغلت الحكومة البرجوازية لهذه المملكة أصوات الألبانيين في التصويت على الدستور في العام ١٩٢١م.

إلا أن هذه الحكومة لم تف بوعودها، ولم تمنح الألبانيين والأتراك حقوقهم القومية والديموقراطية الأساسية، ونظراً لأن هذه الدولة كانت لا تعترف إلا بوجود ثلاث قوميات فيها، فقد كان الألبانيون والبشانقة المسلمون شيئاً زائداً في هذه الدولة السلافية، وكانوا يشكلون حالاً شاذة في إطارها، وللتخلص من هذه الحال الشاذة، مارست السلطات في هذه الدولة سياسة علنية استهدفت طرد الألبانيين خارج حدودها، وتحولت هذه الدولة آنذاك باعتراف كل المؤرخين إلى بلد نموذجي من حيث الاضطهاد القومي في أوروبا، وتركز الإرهاب على الألبانيين والبشانقة المسلمين مما جعلهم محرومين من أي حقوق قومية وثقافية وذلك بهدف وضعهم في حال تخلف كاملة اقتصادياً وثقافياً لدفعهم إلى البحث عن الخلاص في الهجرة إلى خارج البلاد.

وبعد حرب أبريل واستسلام المملكة في العام ١٩٤١م، قسم المنتصرون (إيطاليا وألمانيا وبلغاريا) قوصوه فيما بينهم، وإبان هذه الحرب تعاون بعض الألبانيين في إقليم قوصوه مع قوات النازيين المحتلين، الأمر الذي زاد الطين بلة، وأضاف نقطة سوداء أخرى في تاريخ العداء بين الصرب والألبانيين، وولّد موجة من الرغبة في الانتقام لدى الصرب بعد انتهاء الحرب، إلا أن الأغلبية العظمى من الألبانيين اشتركوا مع البارتيزان في حرب التحرير الشعبية اليوغسلافية، وتم تحرير قوصوه في أواخر نوفمبر العام ١٩٤٤م، وفي العام ١٩٤٥م أصبحت قوصوه إقليماً ذا حكم ذاتي في إطار صربيا، غير أنه لم يتم تطبيق هذا بشكل عملي، وأكد دستور العام ١٩٦٣م على هذا الوضع.

وفي دستور العام ١٩٧٤م، تم الاعتراف بقوصوه على

أنها وحدة مساوية لغيرها من وحدات الاتحاد الفيدرالي اليوغسلافي، ووفقاً لهذا الدستور، تمتعت قوصوه بنظام سياسي متطور أتاح لها عقد اتفاقات دولية في المجالات الاقتصادية والثقافية وغيرها، واستغل سكان الإقليم هذه الأوضاع في مد جسور التعاون مع الجارة الأم ألبانيا الطامحة إلى إقامة دولة ألبانية كبرى في منطقة البلقان، ونتيجة لذلك نمت المشاعر الانفصالية في الإقليم وإن كانت قد ظلت تحت الرماد بسبب القبضة الحديدية للجنرال تيتو.

إلا أن الأمر تغير كلية بعد وفاة تيتو في العام ١٩٨٠م، فقد أخذت النزعات الانفصالية لدى مختلف القوميات تظهر على السطح، وتصاعد التوتر في إقليم قوصوه بتكرار المظاهرات الانفصالية وصاحبها نمو بعض المشاعر العدائية تجاه الأقلية الصربية في الإقليم، التي هاجمت القيادةالصربية لعدم تدخلها لحمايتها، وفي الوقت نفسه تصاعد التعصب الصربي ونجم عنه تولد تيار قوي لأن يستعيد الصرب دولتهم الكبرى، وأخذ زعماء صربيا المتعطشون للتوسع والسيطرة يحيكون الخطط ويدبّرون المؤامرات لإقامة دولتهم، ودفعهم حقدهم الدفين للإسلام والمسلمين إلى التحرش بمسلمي قوصوه الذين قاوموا هذه المحاولات.

وفي مارس العام ١٩٩٠م وضع الصرب دستوراً جديداً قضوا بمقتضاه على الحكم الذاتي لقوصوه من غير موافقة رئاسة الاتحاد اليوغسلافي وهي القناة الشرعية آنذاك لكل تغيير يراد القيام به، وتم ضم الإقليم إلى الأراضي الصربية وحرمانه من كل الامتيازات التي كان قد حصل عليها خلال حكم تيتو، كما تم طرد الكثير من الألبانيين بزعم أنهم ينتمون إلى ألبانيا، وأرسلت صربيا عشرات الآلاف من رجال الشرطة الصرب لإحكام سيطرتها على الإقليم، وقاوم الألبان هذه النزعة التوسعية وخرجت مظاهراتهم مطالبة بحقوقهم الشرعية، وكان رد الصرب هو استخدام القوة العسكرية وقمع المظاهرات وقتل عشرات من الألبانيين وجرح المئات منهم. وامتد القمع إلى أعضاء برلمان قوصوه، الذين ردوا على ذلك بإعلان جمهورية قوصوه وإعلان دستور جديد في العام ١٩٩٠م.

ومع انهيار الاتحاد اليوغسلافي ونمو الحركات الانفصالية داخله واستقلال وحداته السياسية الفيدرالية اجتمع البرلمان في قوصوه في ١٩٩٢/٩/٢٢م، وأعلن قوصوه دولة مستقلة ذات سيادة وتم إجراء استفتاء خاص على هذا القرار وتشكلت حكومة ألبانية جديدة وأجريت انتخابات رئاسية فاز فيها الأديب د. إبراهيم روجوفا بمنصب رئاسة جمهورية قوصوه، إلا أنه حتى الآن لم تعترف أي دولة باستقلال قوصوه.

كوسوفو

إبراهيم روجوفا

وجدير بالذكر أن د. إبراهيم روجوفا البالغ من العمر ٥٣ عاماً ناقد ومترجم ومؤرخ للأدب، وهو رجل أكاديمي كان يعمل أستاذاً في جامعة برشتينا قبل توليه منصب الرئاسة، كما أنه شخصية تتمتع بصلات دولية واسعة.

وتخرج في قسم اللغة الألبانية وأدابها في جامعة برشتينا وتابع دراساته العليا في باريس، ومنذ العام ١٩٧٢م وهو يعمل في معهد الدراسات الألبانية في برشتينا وله مؤلفات أدبية عدة، وتم في العام ١٩٨٨م انتخابه رئيساً لرابطة كتاب قوصوه.

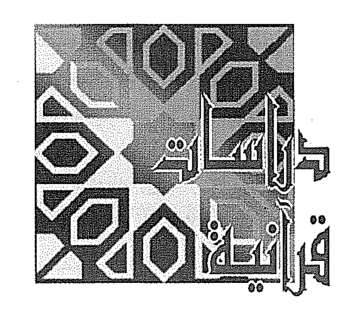
وتجرى في الوقت الحالي حلقة جديدة من حلقات التوتر المتفجرة في هذا الإقليم، حيث يتصاعد العنف الدموي المتبادل بين قوات الشرطة والميليشيات الصربية المسلحة من جهة، وقوات التحرير الألبانية المطالبة باستقلال قوصوه من جهة أخرى، وفي هذا المضمار مارس الصرب ضد الألبانيين في قوصوه كل ألوان التعذيب والقتل والاعتقالات.

والمعن في الأساليب الوحشية التي استخدمها أفراد الشرطة والميليشيات الصربية ضد سكان قوصوه يلحظ أنها لا تخرج عن نمط المحاولات المماثلة السابقة، بل ترقى في رأي البعض إلى حد شن حملة تطهير عرقي ضخمة لاستئصال الوجود الإسلامي من منطقة البلقان بكل صورة ممكنة، ولكنها حتى الآن لم تنجح في تحقيق هذا الهدف. وحتى يجدوا من أوروبا آذاناً صاغية، أشاع الصرب أنهم يعتبرون أنفسهم حماة أوروبا المسيحية في منطقة الحدود الجنوبية الغربية من خطر الأصولية الإسلامية، ومن الإرهاب والتطرف، وصرح زعماء الصرب علناً بأن الصراع في قوصوه ليس بين الصرب والألبان، وإنما بين الإسلام والمسيحية، والحقيقة التي أصبح الجميع يعرفونها أنهم يتهمون المسلمين بالتطرف والإرهاب فقط لإيجاد مبرر للقضاء عليهم.

هناك حملة تطهير عرقي ضخمة لاستئصال الوجود الإسلامي من منطقة البلقان

ومما لا ريب فيه أن من سوء حظ مأساة قوصوه أن الوقائع التاريخية قد اختلطت بالأساطير الخيالية والموروثات والمعتقدات الدينية والأطماع الدفينة بالمكونات النفسية والأحقاد الكامنة، ونجح الصرب في أن يصنعوا من كل هذا توليفة عنصرية لا مثيل لها في التاريخ، وهي التوليفة العجيبة التي تستند إليها مزاعمهم وادعاءاتهم بأن قوصوه تمثل جزءاً مهماً للغاية في ضمير الشعب الصربي وتاريخه.

ومادامت تجيد الكذب وتجد الآذان الصاغية التي تصدقك، فالخطأ ليس خطأك، وإنما خطأ من يصغون إليك ويصدقون أكاذيبك، دون وعي وموضوعية ومنطق، وربما عن عمد. ■



إن المفترض في المسلمين، أن يفوق اهتمامهم بالقرآن كل اهتمام، لأن الاهتمام بالقرآن، يعني الاهتمام بكل شيء في الحياة، حيث إن القرآن قد حوى جميع الأسس العلمية والعملية التي يمكن أن يرجع إليها الإنسان في قواعد سيره، ولكن الذي وقع مع الأسف هو القرآن، أصبح الوثيقة التي تعتبر آخر ما يذكر في الحياة العامة والخاصة، رغم أن الكثير من قضايانا لا يمكن فهمها إلا بالعودة للقرآن، من خلال هذا الموضوع أحاول لفت الانتباه إلى قضية من قضايا القرآن، التي أحسب أن لها خطرها على حياتنا الفكرية والدعوية، وهي محاولة، شأنها شأن كل محاولة تبدأ وتطالب الغير بالاتمام والإكمال.

معجزة القرآن وعجز المسلمين

بقلم : التهامي إبراهيم مجوري

معجزة القرآن بين الأمس واليوم

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون معجزته الرئيسية لخلقه، كما كانت نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حجة عليهم، فهو تلازم غير قابل للانفكاك، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أراد لرسالته الخاتمة الخلود والدوام، غير مرتبطة بزمان ولا بمكان ولا بشخص، بل إن الله امتنع عن ربط النبوات بالمعجزات المادية القابلة للزوال والانطفاء، كما كانت معجزات الأنبياء السابقين، كعصا موسى، وإبراء الأكمه، والأبرص لعيسى، وناقة صالح... وغيرها من المعجزات المرتبطة بزمان أو بقوم أو بنبي (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) الإسراء:٥٩، وشاء سبحانه أن يكون القرآن هو الوحي والرسالة العقدية والتشريعية والأخلاقية والتربوية، إضافة لكونه المعجزة الخالدة التي تحدى بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - قومه، المتضمنة للنبوة ومقاصدها في الحياة.

فقد صدع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن في بداية الدعوة بمكة، وأذعن العرب للمعجزة الجديدة طوعاً وكرهاً، وكان لطرقات القرآن للقلب العربي، ووقعها عليه بادياً ولم يكن خافياً على أحد، ولولا «الأنانية» الجاهلية والاعتداد بالذات لأسلم كل العرب للقوة الفكرية وصلابة الإعجاز اللذين يحملهما القرآن، وقد ظهر شيء من ذلك في قصة سجود المشركين عند سماعهم لأواخر سورة النجم عند قوله تعالى: (أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون. فاسجدوا لله واعبدوا) النجم: ٥٩ - ٦٢.

وبقي هذا الوقع القرآني وإعجازه حتى بعد انتقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة رغم اختلاف الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع المدني عن المجتمع المكي، فقد أسلم كبير أحبار اليهود «ابن سلام» الذي سئل عن آية في القرآن (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فقال: بل يعرفونه أكثر مما يعرفون أبناءهم... وهذه الإجابة إبراز لجانب جديد من جوانب الإعجاز التي يتضمنها القرآن الكريم، حيث إن العرب قبل ذلك وفي مكة على وجه الخصوص قد لا تكون مهتمة بأكثر من الجانب الفني الأدبي دون سائر جوانب الإعجاز، ولذلك نلاحظ في السيرة النبوية أن الكثير من المعجبين بالقرآن وأسلوبه سواء من الذين أسلموا أو من الذين لم يسلموا قد سحرهم القرآن بحلاوته وطلاوته ورفعة أسلوبه كما وصفه عتبة.

فأهل المدينة هم غير أهل مكة، وما تأثر به أهل مكة ليس بالضرورة يؤثر على أهل المدينة، وبالتالي فقد انتبهوا لما أغفله المجتمع المكي، واكتشفوا ما لم يكتشفه أهل مكة لأن معجزة القرآن وخلودها تقتضي أنها تتجدد بتجدد الحاجة الإنسانية وقدراتها العقلية لتقوم الحجة على الإنسان.

ولظروف تاريخية معروفة، مرت بها الأمة الإسلامية، تخلّف المسلمون عن المعجزة الكبرى «القرآن الكريم»، وتخلّف تجدد المعجزة عن المعطيات والواقع الذي وصل إليه الإنسان بسلبياته وإيجابياته، وتحوّل القرآن الكريم من «معجزة» تهز الدنيا ويذعن لها العقل البشري بما أوتي من عطاء علمي وفكري إلى وثيقة يتبرك بها في المآتم والمناسبات الأليمة.... وتحول تبنيه إلى صورة شاحبة تنفث المهدئات والمسكنات لعقل ساكن لا يحرك شيئاً، فأصبح المسلم الذي كان يستنطق «اللفظ» القرآني استنطاقاً لا يتجاوز التغني بأمجاد الماضي وما فعل أجداده وما قام به أسلافه، وفي أحسن الأحوال يبحث في القرآن علّه يجد من الألفاظ ما يؤكد أو يشير إلى كشف علمي جديد قام به أحد من علماء الغرب أو من علماء المسلمين، في حين أن القرآن وما

يحوي من إعجاز أكبر وأقدس وأعلى من أن تستعار له صورة من صور الكشف العلمي حتى يصدق، ولا سيما أن روح الإعجاز القرآني قد تجاوزت التدليل على صحة النبوة والوحي إلى التدليل على صحة الفكرة ذاتها وعلى صحة علاقتها بالله من غير نبي يدعى محمد أو عيسى أو موسى عليهم الصلاة والسلام، وقد ارتقى الإنسان من مستوى الاعتراف بالوحي اعتماداً على المادة إلى مستوى الإيمان بالفكرة الصحيحة مجردة عن الماديات الملموسة، والمعجزة كما جاء بها القرآن الكريم ليست متروكة للصدفة، وإنما هي لاصقة بالقرآن الكريم وبالنبوة، غير منفصلة عنهما، والقرآن لا ينتظر البحّار «كوسطو» حتى يقوم بجولته البحرية ليظهر معجزة القرآن، أو الآية المعجزة، أو غيره من أصحاب الكشوفات العلمية.

علاقة المسلمين بالقرآن

قبل الوصول إلى مدى علاقة القرآن بالسنة، وعلاقة الوحي بالمعجزة، ليتسنى لنا فهم مدى حاجة العالم للقرآن وللمعجزة كما أرادها الله، وإقامة الشهادة التي هي من صفات هذه الأمة ـ أمة الرسالة الخاتمة ـ لابد من النظر في علاقة المسلم المعاصر بالقرآن الكريم، ومستوى تفاعله معه (لتكونوا شهداء على الناس) الحج: ٧٨.

لا يشك عاقل في أن علاقة المسلم المعاصر بالقرآن ضعيفة جداً لا ترقى إلى مستوى وجوب التمسك به وبمقاصده، فضلاً عن إدراك مراميه ومواطن الإعجاز المتجددة فيه، ولا أدل على ذلك مما نشاهده من يوميات المسلم، فهو يقرأ القرآن، ويحافظ على ورده اليومي، ويستشهد به في كثير من المواطن، ويستحضر قصصه، ومع ذلك نجد هذا المسلم بعيداً كل البعد عن روح ذلك القرآن الذي يقرؤه ويستشهد به ويستحضر قصصه.

والسبب في ذلك في تقديرنا هو الضعف الذي اعترى المسلم عبر العصور، بدءاً من عصر توقف الاجتهاد إلى يومنا هذا، حيث سقطت من حساب المسلم الروح الاجتهادية التي تكشف عن مكونات القرآن، التي تغوص في أغواره العميقة، متأثراً في ذلك بالمحيط العام الذي فرض قيمه المتخلفة على الدين والوحي فرضاً.

فاللغة التي نزل بها القرآن الكريم (... بلسان عربي مبين) لم يعد لها وجود في الواقع، إلا في أذهان بعض النخبة، بل إن النخبة لم تسلم من تأثيرات المحيط السيئة، لأن اللغة في أساسها، هي معاني قائمة بأذهان الناس، وليست مجرد ألفاظ تتناقلها الأقلام أو تتقاذفها الألسن، فهي معانٍ قبل ذلك، ولو بحثنا عن معانٍ لألفاظ معينة قرآنية كانت أو حديثية في أذهان المسلمين لوجدناها مشوهة، ولا تعبر عن اللفظ الوارد في القرآن أو السنة، خذ مثلاً لفظ «الحكم» الوارد في كثير من الآيات القرآنية، فإنه في أذهان الناس والخاصة منهم أو النخبة المثقفة لا يعني غير «السلطة السياسية» بالرغم من أن اللفظ عام يشمل كل مستويات الحكم، فقول الله سبحانه: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون... الفاسقون... الظالمون)، لفظ ينسحب على كل من لم يحكم بما أنزل الله سواء كان هذا الذي لم يحكم بما أنزل الله في السلطة أو خارجها، فالذي لا يصلي لا يحكم بما أنزل الله، والمرأة التي لا ترتدي الحجاب، والإمام الذي لا ينصح مأموميه، والقاضي الذي لا يقتضي بما أنزل الله... كلهم لا يحكمون بما أنزل الله، ولكن الظاهر أن غياب السلطة التي تتبنى تحكيم شرع الله هو الذي جعل الأنظار تتجه إلى الاهتمام بحكم السلطان دون غيره، اعتقاداً في أن صلاحه يعني صلاح الباقين، إلى أن انحرف المعنى المقصود عن معناه الصحيح.

وكذلك معنى لفظ «الخير» الوارد في قوله تعالى في سورة آل عمران: ١٠٤: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...)، فما معنى الخير؟ الظاهر من موقعها في الآية، أن لها شأن عظيم ومعانٍ ضخمة، ولكن ما تحمله عقليات المسلمين المعاصرة لا تتجاوز تصورها للجمعيات الخيرية، والتي تهتم بالتطوع والمساعدات بفضول المال والوقت والجهد... أما ما يبني الحضارات وما يضاهي الجهود الكاملة فهو عمل أكثر من الخير، أو هكذا نتخيل الأمور على الأقل، وما قلناه من ضعف في تصور الحكم والخير نقوله عن تصورنا للدين فنقول هذا متدين، في الوقت الذي يكون فيه المتدين مبتدعاً، وغير المتدين قد يكون كافراً أصلاً، أو مقصراً، بل ربما مؤمناً معتدلاً لا يظهر عليه المبالغة في التعبد والزهد وتشوه هذه المصطلحات وغيرها ينعكس سلباً على فهمنا للقرآن وللسنة، لأن اللغات تتأثر بالمحيط الاجتماعي والمحلي، واللغات المؤثرة والصانعة للذهنيات هي مع الأسف اللغات اللاتينية، وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف اهتمامنا بلغتنا، نجد أنفسنا في واقع لا نحسد عليه، ويؤثر حتماً على علاقتنا بالقرآن من خلال سياقاته وفق الأسلوب العربي، فقوله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ...) النساء:٣ فمن خلال هذا السياق القرآني، فإن المتبادر إلى الذهن هو ما علاقة الخوف من عدم القسط في اليتامى، والأمر بالتعدد في الزواج؟ وليس البحث مباشرة في حكم التعدد... وخوفاً من الإطالة والاستطراد، اكتفي بالقول إن المتتبع لأقوال المفسرين، يضع يديه على الكثير من الانزلاقات التي لا يبررها غير الاحتكام إلى التراث الفقهي، بدل من أن يحتكم الفقه إلى القرآن وإلى لغة العرب.

وسبب آخر لضعف علاقة المسلمين بالقرآن، وهو ضعف النظر السنني وكأن قداسة القرآن وقدسيته، ولدا في الذهنية الإسلامية أن الوجود لا يفسر.

وما يصعب من القرآن فهمه يقابل بالإيمان والتسليم ولا يبحث في كنهه، أما الكون، فهو كذلك غير قابل للكشف على خلاف ما كان عليه السلف، كانوا لا يقبلون الأمور هكذا مسلمة، ولعل من أقرب الصور التي أثارتها هذه الذهنية، موضوع النزول على سطح القمر، وإمكانات معرفة جنس الجنين في الأشهر الأولى من الحمل، فقد طال فيها البحث، وقامت المناقشات ولم تقعد ردحاً من الزمان، ولكن الواقع هو الذي فرض نفسه، ولم تعد

هذه القضية من المشكلات، بل إن من يعتبرها مشكلة يعد من الدراويش ومن المتخلفين.

إن هذه الظاهرة تعرف بالخرافية، أو البعد عن السننية، ولو كان ذلك على حساب الواقع المعيش، هي ظاهرة مجانبة للعلم والصواب، لأنها تنكر قضايا ظاهرة وتامة الوضوح نتيجة فهم قاصر للقرآن الكريم، كما مر معنا في قضية جنس الجنين ذكراً أو أنثى في الأشهر الأولى من الحمل، فقد نفاها كثير من الناس ردحاً من الزمان، بحجة أن ذلك يتعارض مع اعتقادنا في «علم الله» والمعنى المراد من قوله تعالى: (ويعلم ما في الأرحام)، ولكن تحت ضغط الواقع، تبخر ذلك الفهم وحل محله فهماً آخر أرشد من الذي كنا عليه، وإذا كنا قد تداركنا الأمر هذه المرة، فإن السلامة لا تحالفنا دائماً إذا لم نؤسس لأنفسنا منهجاً سننياً، ينظر لسنن الله في خلقه، وإلى القوانين التي جعلها الله تحكم الحياة والكون، كنظرتنا لآياته في القرآن الكريم، ولا سيما أن التطور العلمي والكشف عن سنن الكون وعن الحياة قد أجراها الله على أيدي غيرنا من الكفار، وبالتالي فإننا سنجد فهومنا للقرآن مصطدمة مع الواقع الذي كشفت عنه العبقرية الغربية.

إن الله الذي أنزل القرآن، واختاره دستوراً للبشرية، هو نفسه سبحانه وتعالى الذي خلق الخلق وأخضعهم لسنته والكون الذي يعيشون فيه، والمفترض في الفاهم لكتاب الله والحريص على تطبيق آياته، أن لا يعجزه فهم المكتشف من أسرار الكون وهي أسهل من فهم آيات الكتاب، لأن آيات الكون ذات علاقة وطيدة بالحياة وبالدنيا، أما آيات الكتاب فهي نظرية وذات علاقة بالدنيا التي نعيشها وبالآخرة التي لها معادنا، ولذلك عجز الكفار عن إدراك الآخرة مع تمكنهم من التحكم في الكثير من الأسرار والآيات التي تحكم الدنيا (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت: ٥٣.

ورغم التطور الفزيائي الذي أحرزه الغرب، فإنه في أمسّ الحاجة إلى كشوفات المسلمين التي يحملها القرآن في مكوناته، إذا استيقظ المسلم وكشف عن عجزه في التعامل مع القرآن واستوعب المرحلة التي هو فيها، ورفع التحدي بتصحيح العلاقة التي بينه وبين القرآن الكريم، بالإضافة المعجزة التي تعاني من العجز الذي أصاب الأمة قروناً طويلة.

القرآن والنبوة والمعجزة

المعجزة كما عرّفها العلماء هي خارقة للعادة تظهر على يدي نبي أو مدع للنبوة لتيحدى بها قومه، وهو ما ينطبق على القرآن الكريم، فهو خارق للعادة في جملة من جوانبه ومن المعاني التي يحملها، من بشارة مستقبلية، ومن تحدي الله سبحانه وتعالى العرب أن يأتوا بشيء من مثله... إلخ، (وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين...) البقرة:٢٣، (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء: ٨٨، (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) الطور: ٣٣ ـ ٣٤.

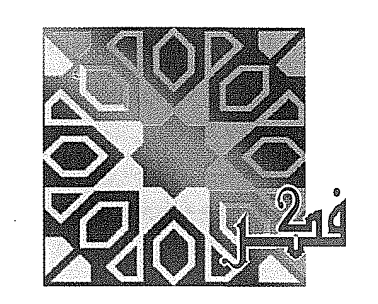
إن وجوه الإعجاز في القرآن كثيرة أهمها أن هذا القرآن يحوي النبوة التي اختفى ظاهرها بوفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك لأن الوحي في الرسالة الخاتمة، هو القرآن المتضمن للأوامر والنواهي، شريعة للبشرية جمعاء، وهو المعجزة التي تحدث بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع قومه، ثم هو النبوة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث لو ظهر نبي الآن لا يزيدنا شيئاً عما ورد في الوحي، كما قال الأستاذ حاج حمد.

إن خلود رسالة الإسلام وعالميتها، يقتضي استمرار النبوة، واستمرار النبوة يتطلب بقاء محمد النبي المرسل بهذه الرسالة، عليه الصلاة والسلام، وهو ممتنع بحكم بشرية هذا الرسول، والذي حل محل الرسول الراحل هو القرآن نفسه الذي لا تنقضي عجائبه، فهو متجدد باستمرار، ومستجيب لكل تحديات العصور وما تجود به من تطورات، ومظاهر التقدم.

لا شك في أن العالم الآن لا يزال حائراً في هذا الكتاب الذي لم يتأثر، والذي لم يفقد قوته، رغم المحاولات المستمرة العاملة على تشويهه، بحسن نية المسلمين كما فعل النصارى مع كتابهم، أو بسوء نية غيرهم كما فعل اليهود، ومع ذلك بقي القرآن على صورته التي أنزله الله عليها، غير قابل لأي تحول أو تغير.

وإن كان الناس منصرفين باهتماماتهم صوب الكشوفات العلمية بحكم تأثرهم بالمادية والفلسفة الوضعية، فإن روح القرآن أوسع وأرحب من ذلك بكثير، وإن كان الإنسان المعاصر وبخاصة المسلم قد بهرته تلك «الظواهر الطبيعية» التي تناولها القرآن، وأشار إليها أو لمح لوجودها، فإن ما هو موجود ولم يكتشف بعد أكثر وأعمق وأدق، وأكثر فقهاً للحياة الإنسانية، وهي الآيات التي وضعت أسس «علم الإنسان»، كما أطلق عليها المرحوم «محمد إقبال» الأجنة القرآنية.

إننا نسمع بين الحين والآخر، أن هناك محاولة لتحريف القرآن، ولكنها سرعان ما تكتشف، وعندما يسمع أياً كان هذا السامع ـ صوتَ مرتلٍ ـ فإنه مباشرة يميزه عن غيره من القراءات والألحان... وعندما نقرأ القرآن، فإننا نقرأ كلاماً عرفناه في معاجم اللغة العربية، ونقرأ معاني نفهمها كما نفهم لغة العرب وأساليبهم، ولكنه كلام ليس ككل كلام، بل إن للقرآن معاني أعمق مما اعتدنا... إنه كلام الله اللطيف الخبير، فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم، وهذا الوحي ليس القرآن فقط، وإنما هو السنة أيضاً «إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه لا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال، فأحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه...» رواه أحمد في المسند. ■



المسلم المعاصر بين القيم الإسلامية والمصالح الشخصية

بقلم : حيدر قفة

يسمع الناس ويقرأون هذه الأيام عن القيم الإسلامية، في مجال الحفاظ عليها، والدعوة إلى ترسيخها وتنشئة الأبناء عليها، في مقابل من يحاول - باسم التطور - تجاوزها، وتبني قيماً أخرى وافدة من الشرق أو من الغرب، في ظل التحذير من رياح السموم التي تهب على هذه الأمة منذ زمن، واشتدت ضراوتها بدخول الأطباق اللاقطة إلى بيوت كثير من الناس، ولن يلفظ القرن العشرين أنفاسه بعد سنوات إلا ويكون هذا الاختراع، «الأطباق اللاقطة» قد دخل كل بيت تحت ألف مبرر ومبرر، مما يدفع الغيورين على هذه القيم إلى الاستنفار للدعوة إلى هذه القيم.

وقد يكتب الكُتّاب، ويخطب الخطباء، ويصيح المصلحون، لكن الكلمة تبقى مبهمة عند كثير من الناس، ولا سيما البسطاء منهم، عندما يسمعون كلمة «القيم الإسلامية»، ما معنى القيم؟ ولماذا يدعو الناس لها؟ ولماذا يحذر العقلاء من فقدانها؟ وما خطورة تجاوزها؟... أسئلة كثيرة في حاجة لتجلية، بوضع النقاط على الحروف، حتى لا يلتبس الأمر على البسطاء والعوام، وتبقى الكلمة مجرد لغز مبهم.

وقبل الحديث عن هذه القيم، لابد لنا من الإشارة إلى بداية تاريخ هذه الأمة، فقبل بعثة النبي - ﷺ - كانت الجزيرة العربية في وضع لا تحسد عليه، والقبائل التي فيها لا تشكل أمة بالمفهوم الحضاري للأمة، فعلى المستوى السياسي كانت قبائل متناحرة تشغلها التوافه من الأمور، لأنه لم يكن لهم هدف عظيم يسعون إليه، فلأي سبب تافه كانت تشتعل الحروب الضروس، وتستمر عشرات السنين، وتأكل الأخضر واليابس، وتورث الأحقاد والثارات والأحزان، مما جعلهم مستضعفين في شبه جزيرتهم، فأطرافها مستعمرة لجيرانها من الفرس والروم والأحباش، بولاءات هذه القبائل لهذه القوى الثلاث، أما على المستوى الاجتماعي، فكانت العلل والأدواء تنهش في كيان القبائل، لكثرة ما في حياتهم من سوءات الربا، والخمر، والبغاء العلني، والاستعباد... إلخ هذه الرذائل، فضلاً عن الداء الأكبر الذي تتولد عنه كل الشرور، وهو الشرك بالله، وعبادة الأصنام، فأنى لقبائل هذه أحوالها أن تقوم لها قائمة، أو تشكل دولة، أو تكوّن أمة؟

بعث الله محمداً - ﷺ - والقبائل العربية على هذه الحال، فدعاها إلى التوحيد، ونبذ كل فرقة واختلاف، وإلغاء كل نقيصة، والتجاوز عن الأحقاد، فلما امتثلوا لذلك، ووحد الإسلام شتاتهم، وألف بين قلوبهم، وارتفع بهم عن سفاسف الأمور، وشغلهم بهمٍّ عظيم ومبدأ كريم، وهو حمل هذه الرسالة إلى العالمين، انطلق جحفلهم، وانداح في الأرض يبلغ رسالة الله إلى الناس، ففتح الفتوح، وأنار القلوب، وبدأت مسيرة الألف ميل في تكوين الأمة الإسلامية، التي عمودها تلك القبائل العربية التي كانت من قبل تضرب في تيه الأرض.

كيف استطاع محمد - ﷺ - أن يفعل ذلك؟ إنه توفيق الله أولاً، ثم القيم العظيمة التي جاء بها، فحملها الناس بقوة، بالتطبيق والسلوك والالتزام، لا بالحفظ والاستظهار والكلام.

فالقيم الإسلامية إذاً، هي تلك المبادئ العظيمة، التي التزم بها المسلمون الأول، فطبقوها سلوكاً عملياً في حياتهم، وألزموا بها أنفسهم وأهليهم وذراريهم، بإرشاد من القرآن، وتوجيه من الرسول - ﷺ - حيث يصحح لهم أخطاء التطبيق حتى استقامت حياتهم على هذه القيم، وأصبحت تجري في حياتهم مجرى العادات. وتطاول الزمان، والقيم الإسلامية في حياة الناس كالعادات، ونسي كثير من الناس أنها قيم إسلامية، وابتدع الناس عادات من عند أنفسهم استحسنوها واستملحوها، فاختلطت العادات هذه بالقيم الإسلامية تلك، ولم يعد أحد يفرق بين ما هو عادة، وما هو قيمة من قيم الإسلام. وبتنا نسمع بعض الناعقين والناعقات، الذين ينادون بمحاربة العادات البالية، والتقاليد الرجعية، دون التفريق الدقيق بينها، فأدخلوا القيم الإسلامية من حيث لا يدرون أو من حيث يدرون!! في الأمور التي يريدون محاربتها وإلغائها وتجاوزها.

وهنا، لابد من التفريق بين القيمة الإسلامية، وبين العادة الاجتماعية أو التقليد الاجتماعي حتى تتضح الأمور. فالقيم الإسلامية تميزها أربعة أمور :

أولاً: إنها مدعومة بنص من القرآن الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت: ٤٢.

ثانياً: إنها تكون مدعومة بنص من سنة المصطفى - ﷺ - قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

ثالثاً: إنها طبقت في حياة النبي - ﷺ - وتحت إشرافه والتزم بها الصالحون من لدن الرعيل الأول، جيل الصحابة «رضوان الله عليهم» الذي شهد الله له بأنه كان خير أمة «جماعة» أخرجت للناس.

رابعاً: إن التاريخ يشهد أن هذه القيم عندما طبقت تطبيقاً سليماً، بعثت العرب من مرقدهم، وأحيتهم من مواتهم، وكونت بهم النواة للأمة الإسلامية التي دالت لحضارتها حضارات الأمم الأخرى حيناً من الدهر.

أما العادات والتقاليد، فتنشأ في ظل أصحاب النفوذ والقوة «مال أو جاه أو سلطان» فيقلدهم لأقل حظاً بدافع الانبهار والاستلاب ظناً منهم أن هذا التقليد يسلكهم في طبقة أولئك الأقوياء أو يقرب الشبه بينهم، ثم تنتقل العادة أو التقليد من فرد إلى فرد حتى تسري في جماعة ما سريان النار في الهشيم، فإذا تطاول العهد، أحلوها محل القدسيات في حياتهم، وهذا باطل، لأن العادة أو التقليد قد تنشأ عن قوي مريض فلا يجارى في مرضه وهوسه، وحتى تتضح الأمور نضرب مثالين من حياة الناس. في الأعياد مثلاً، قد يتباهى قوي «مال أو جاه أو سلطان» بتقديمه نوعاً من الضيافة لزواره، ونتيجة للانبهار والاستلاب اللذان يعاني منهما الأقل حظاً أو رتبة يحرص على تقليده في ذلك، فيصبح هذا الصنف من مستلزمات الضيافة في الأعياد في منطقة ما.

في الزواج مثلاً، قد يتباهى قوى «مال أو جاه أو سلطان» في إظهار قوته وسلطانه وجاهة حباً في التعالي والتميز والتفرد، ورغبة في بُعد الصيت، فيسرف في حفل الزفاف في المكان أو الهيئة أو الحضور أو... أو...، فيأتي الأقل حظاً فيقلده، وقد يدخل حلبة الصراع قوي آخر من باب المنافسة ورد الصاع صاعين، فتتأصل هذه العادة في هذه المنطقة من الأرض. فإذا كان الإسراف، والمباهاة، والافتخار، وطلب الصيت، والتعالي... إلخ، أمراضاً نفسية تأباها العقول السليمة والأخلاق الكريمة، فكيف نجعل ما يصدر عنها من سلوك، أدى إلى عادة أو تقليد، في منزلة قيمة من قيم الإسلام التي صورت عن رب العالمين، وإرشاد رسول أمين، وتطبيق خيرة البشر بعد الأنبياء؟! ولكي تتضح الأمور أكثر، لابد لنا من عرض بعض قيم الإسلام، لنرى كيف أصّلها القرآن والسنة، ورسّخها التطبيق من الرعيل الذي ﷺ : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الفتح:١٨، وجذرتها عمليات الالتزام من الصالحين في الأجيال المتعاقبة.

أولاً: احترام العالم وتبجيله

هذه قيمة من قيم المجتمع الإسلامي، عرف بها، وحرص عليها، فكيف كان تأصيلها وترسيخها؟ فمن حيث التأصيل نجد آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة، نختار منها للتدليل فقط: قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر:٩، ويقول أيضاً: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة:١١.

ويقول رسول الله - ﷺ : «... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء»(١)، وعن أبي أمامة - ﷺ - قال: ذُكر لرسول الله - ﷺ - رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال - ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»(٢)، وعن عبادة بن الصامت - ﷺ أن رسول الله - ﷺ - قال: «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا»(٣). ونلاحظ في النصوص السابقة المنزلة التي اختصها الإسلام للعلماء في الدنيا والآخرة، ولعل في حديث أبي أمامة ما يفيد تحديد فئة العلماء المقصودين بهذه المنزلة «معلم الناس الخير» فتحصرها فيمن نذروا أنفسهم لتبليغ دعوة الله وإرشاد الناس، وإن كنت أميل إلى إدخال أي عالم اخترع أو توصل لشيء ينفع البشرية، لأن النص لا يحجر واسعاً وعلى كل فهو تابع للمعنى الأصلي الذي يتبادر للذهن من العبارة السالفة، ونلحظ أيضاً التهديد الرعيب الذي يتوعده الإسلام لمن خالف هذه التعليمات فأساء للعلماء أو انتقص من قدرهم، فلكأنه يهدد بسحب الجنسية منه «ليس من أمتي» مما يجعل السفهاء يتراجعون عن غيهم. أما التطبيقات التي رسخت هذه القيمة في المجتمع الإسلامي، فهي من الكثرة بحيث يعجز الباحث عن حصرها، وحسبنا أن نشير إلى بعضها.

أ - ركب زيد بن ثابت - ﷺ - فأخذ ابن عباس - رضي الله عنهما - بركابه، فقال: لا تفعل يا بن عم رسول الله - ﷺ - قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرني يديك، فأخرج يديه فقبلهما، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.(٤)

ب - كان المأمون قد وكل الفراء النحوي أن يلقّن ابنيه النحو، ففي ذات يوم أراد الفراء أن ينهض إلى حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء ليقدماها له، فتنازعا، أيهما يقدمها له؟ ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة، وكان للمأمون وكيل على كل شيء خاص، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجه إلى الفراء واستدعاه، فلما دخل عليه، قال له: من أعز الناس؟ فقال: لا أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين، فقال: بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليّا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فرداً.(٥)

ج - مرض أحمد بن حنبل، فجاء الشافعي ليعوده، فوثب أحمد وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فلما قام الشافعي ليركب قام أحمد فأخذ بركابه، ومشى بجوار بغلته يودعه.(٦)

د - قال أبو محمد الجريري: وافيت من الحج فابتدأت بالجنيد فسلمت عليه، وقلت: حتى لا يتعنّى، ثم أتيت منزلي، فلما صليت الغداة، وإذا بالجنيد خلفي، فقلت: يا سيدي، إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتبعني إلى هنا، فقال: يا أبا محمد، هذا حقك وذاك فضلك.(٧)

هذه بعض السلوكيات في غابر أيامنا الرائعة، فماذا نجد في واقعنا المعاصر؟ تلميذاً يأتي من سفر، فيتثاقل عن زيارة أستاذه متعللاً بأن الحق له وعلى الأستاذ أن يأتيه، أو نجد أباً يقدم ابنه من عمله في مكان بعيد، أو يأتيه زائر من سن أولاده، فيتصل هاتفياً بعالم لينبهه لوجود فلان عنده، وليتفضل بالقدوم للسلام عليه!! حتى في يوم العيد، يبدأ الناس بالأغنياء والكبراء والوجهاء وكل من ينفع في الدنيا أو يضر، بينما يؤخر العلماء وأهل الفضل، ذلك أن الأمر عندهم لم يصعد إلى إدراك مغزى التوجيه الإلهي، وربطه دوماً بقوله: (ابتغاء وجه الله) ولو أن المرء أدرك هذا المغزى لعرف أن إرضاء الله وابتغاء وجهه أهم ألف مرة من إرادة الدنيا وابتغاء رضى أهلها.

ثانياً: احترام كبير السن

وهذه قيمة أخرى من قيم المجتمع الإسلامي، وقد تبدو للناظر أنها القيمة السابقة نفسها «احترام العلماء» بيد أنها تفرق عنها في شمول كبار السن سواء أكانوا علماء أو غير علماء، الاحترام لمجرد فارق السن، وتقدم العمر، فكيف أصّل الإسلام هذه القيمة؟ قال رسول الله - ﷺ : «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»(٨)، وقال أيضاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبينا»(٩)، ونصوص أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، أما في مجال التطبيق لهذه القيمة العظيمة في المجتمع الإسلامي فحدث عن الكثرة ولا حرج، بيد أننا سنقتطف بعضاً منها.

أ - عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - يوماً لأصحابه: «أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن» فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البوادي، قال عبدالله: وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم «أي من هم أكبر مني سناً» فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا، قال رسول الله - ﷺ : «هي النخلة»(١٠).

ب - عن قيس بن عباد قال: أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد - ﷺ - ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إليّ من أُبي، فأقيمت الصلاة، فقمت في الصف الأول، فجاء رجل فنظر في وجوه القوم، فعرفهم غيري، فنحاني وقام مقامي، فما عقلتُ صلاتي، فلما صلى، قال: يا بني! لا يسوؤك الله، فإني لم آت الذي أتيت بجهالة، ولكن رسول الله - ﷺ - قال لنا: «كونوا في الصف الذي يليني»، وإني نظرت في وجوه القوم فعرفتهم غيرك، وإذا هو أُبي - ﷺ (١١).

ج - وعن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الثقة، قال: كان العباس إذا مرَّ بعمر أو بعثمان، وهما راكبان، نزلا حتى يجاوزهما، إجلالاً لعم رسول الله - ﷺ (١٢).

د - ولما ولي عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - جاءته الوفود للتهنئة، فقام

غلام ليتكلم عن وفد الحجاز، فقال عمر: كبر... كبر... ليتحدث من هو أسنُّ منك.(١٣)

اغترفنا هذه المواقف من بحر حياتهم الفياض المليء بحكايات سلوكهم الرفيع، فماذا في واقعنا المعاصر؟! التزاحم في الشوارع، ركوب الحافلات في المدن الكبيرة وإصرار الشباب على البقاء في مقاعدهم لأنهم الأسبق أو لأنهم دفعوا الأجرة تاركين عجوزاً أو أكثر يكابد السقوط لأي اهتزاز في المركبة، بل قد يصل الأمر أن يؤثر الناس السلامة بعدم الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر لشباب نزق يرتكب تجاوزات كثيرة مخافة أن يسمع كلمة نابية أو توبيخاً.

ثالثاً: تيسير الحلال

وهذه قيمة عظيمة من قيم المجتمع الإسلامي، حيث دائرة الحلال وساعة ميسرة، ودائرة الحرام ضيقة معسرة، ونحن لا نستطيع في هذه المقالة ذكر مجمل ما يندرج تحت هذا العنوان، ولكننا نأخذ طرفاً منه وهو الزواج مثلاً، كيف عالج الإسلام هذه القضية الحيوية في حياة الناس توسيعاً لدائرة الحلال، وتضييقاً لدائرة الحرام؟ أما في النصوص، فقد قال رسول الله - ﷺ - «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»(١٤)، وقال أيضاً - ﷺ - : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(١٥)، فحصر النبي - ﷺ - الكفاءة في الدين والخلق، ولم ينكر الغنى وسعة المال وغيرها من عروض الدنيا ضمن الشروط، قال عمر ابن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ألا لا تغالوا صَدُقَة النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، وتقوى عند الله، لكان أولاكم بها نبي الله - ﷺ - ... (١٦)، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله - ﷺ - : «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»(١٧). وإذا كانت هذه هي النصوص، فكيف كان تطبيق الصالحين من أمة محمد - ﷺ - بدءاً نقول: إن الصالحين يهمهم بالدرجة الأولى صلاح الحال والتقوى، ولا يهمهم الغنى والجاه والسلطان، لأنهم يريدون الله والدار الآخرة، وهذه نماذج ثلاثة من عصور مختلفة.:

أ - خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنته «الدرداء» فرده، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله، أتأذن لي أن أتزوجها، قال: اغرب ويلك، قال: أتأذن لي أصلحك الله؟ قال: نعم، فخطبها فأنكحها أبو الدرداء، فسار ذلك في الناس، أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه، «فلما بلغ القول أبا الدرداء» قال: إني نظرت للدرداء، ما ظنكم بالدرداء، إذا قامت على رأسها الخصيان، ونظرت إلى بيوت يلتمع فيها بصرها... أين دينها منها يومئذ.(١٨)

ب - ومن عصر التابعين، نجد العلم الفرد أوحد زمانه سعيد بن المسيب - رحمه الله - يزوج أحد تلاميذه «عبدالله بن أبي وداعة» على درهمين، ويرفض مصاهرة الوليد بن عبدالملك، رغم التهديد والوعيد، والإغراء بكل زينة الحياة الدنيا، فلم تلن له قناة، واختار لابنته الأصلح في دينها ولآخرتها.(١٩)

والخير في أمة محمد - ﷺ - إلى يوم القيامة، ولا يخلو عصر من عصور هذه الأمة من رجال صالحين وضعوا الدنيا وزخرفها تحت أرجلهم، وتطلعوا لما يرضي الله فقط، وحسبهم بذلك غنى، وفي جعبتي الكثير عن هؤلاء، ولكني أسوق نموذجاً واحداً، أمثل به للعصر الحديث.

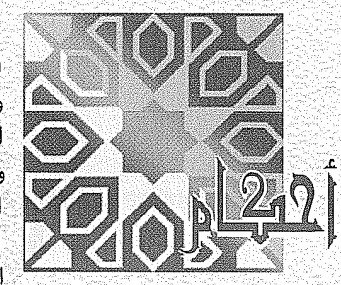
ج - حدثني صاحب الشأن وهو محل ثقتي، أنه خطب إليه أحد شباب الإسلام ابنته، وكان شابا متعلماً امتحن في ذات الله فصبر واحتسب، ولكنه قليل المال، والعروس مازالت صغيرة السن، لكنها صالحة للزواج، فسأله: كم تملك من المال؟ قال: لا أملك إلا راتبي - وهو يسير - لكنه يكفيني وزوجتي إذا قدر الله لنا ذلك؟ قال: كم معك الآن؟ قال: ما تبقى من راتب هذا الشهر بضع دنانير «لا تزيد عن خمسة عشر دولاراً» فقال: امض فاشتر بعض الحلوى «قطع كيك» وادع من شئت من معارفك ليشهدوا فقد قبلت مصاهرتك.

وكان الأمر، ودعوا عشرة من الرجال، وأشهروا النكاح، فلما كان الشهر الذي يليه اشترى الزوج «العريس» فرشتين، ووسادتين، وبطانيتين، وحصيرة، وبعض مستلزمات الطبخ، ولم يكن يملك ثمن ستائر للنوافذ، فستر زجاجها بأوراق الجرائد، ودخل على عروسه، هم «اليوم» أسرة مكونة من الأب والأم وسبعة من الأطفال، وقد وسع الله عليهما فجددا فراش البيت، وملكا من الأثاث والرياش والأدوات كما يملك نظرائهما إن لم يكن أحسن. المجتمع الإسلامي مازال مليئاً بأهل الخير، وأنا على يقين أن فيه مئات من أمثال سعيد بن المسيب، كما فيه مئات من أمثال عبدالله بن أبي وداعة، لكن الأمر يحتاج إلى تنسيق، فليس كل أحد في جرأة عمر بن الخطاب.

وبعد، هذه نماذج لبعض القيم الإسلامية، وهي في صراع مع القيم الاجتماعية من جانب، والمصالح الشخصية من جانب آخر، وما لم يتدارك العقلاء أمر بعث قيم الإسلام وترسيخها في المجتمع، فسنجد أنفسنا ومجتمعاتنا نهباً لقيم وافدة عبر البحار والمحيطات تزلزل كيان الأمة، حتى يُصبح باطن الأرض خير من ظهرها عند أهل المروءة والأحرار من الناس. ■

الهوامش:

١ - حديث حسن، انظر الترغيب والترهيب ج١ ص٩٤، رقم ٧.
٢ - حديث صحيح، انظر الترغيب والترهيب ج١ ص ١٠١، رقم ٣١.
٣ - حديث صحيح، انظر الترغيب والترهيب ج١، ص١١٤، رقم ٦.
٤ - كتاب عبدالله بن عباس للدكتور مصطفى الخن، ص ٧٦.
٥ - كتاب من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان، ص ١٤١
٦ - كتاب الإمام الشافعي لعبدالغني الدقر، ص ١٢٠.
٧ - كتاب عوارف المعارف للسهروردي «ملحق بالإحياء» ص ٢٠٥.
٨ - حديث حسن، الترغيب والترهيب، ج١، ص١١٣، رقم ٢.
٩ - حديث صحيح، الترغيب والترهيب، ج١، ص ١١٣، رقم٥.
١٠ - حديث صحيح، صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٦٥، رقم ٦٤.
١١ - إسناده صحيح، سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ٣٩٦.
١٢ - سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص ٩٣.
١٣ - كتاب عمر بن عبدالعزيز، لعبدالعزيز سيد الأهل، ص ١٣٥.
١٤ - رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، انظر الترغيب والترهيب، ج٣، ص ٤٣، رقم ١٢.
١٥ - رواه الترمذي، وقال الألباني عنه: حديث حسن، انظر مشكاة المصابيح، ج٢، ص ١٦٠، رقم ٣٠٩٠.
١٦ - رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، وقال عنه الألباني، إسناده صحيح انظر المشكاة، ج٢، ص ١٨٩، رقم ٣٢٠٤.
١٧ - رواه البيهقي في «شعب الإيمان، وسكت عنه الألباني، انظر المشكاة ج٢، ص١٦١، رقم ٣٠٩٧.
١٨ - كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ص ١٤١ - ١٤٢.
١٩ - القصة ممتعة، وهي موجودة في ترجمة سعيد بن المسيب، انظر - على سبيل المثال - الطبقات الكبرى لابن سعد.



بقلم : د. أ. أحمد الحجي الكردي



الاختلاط معناه العام هنا، هو: اجتماع الرجال مع النساء في مكان واحد، وهو أمر وارد وواقع في حياة الناس جميعاً، على اختلاف أعرافهم ودياناتهم ومجتمعاتهم، وهو حاصل في الأسواق والشوارع، ويحصل بين المسلمين في صلاة الجماعة، وفي الطواف حول الكعبة المشرفة، والوقوف بعرفة، ورمي الجمرات.... وهو مأذون به شرعاً بشروطه، كما يحصل بين القاضي والشهود والمدعي والمدعى عليه، إذا كان بعضهم من الرجال والبعض الآخر من النساء، وربما صعب على الإنسان حصر حالات الاختلاط التي تعم بين الناس في أعمالهم اليومية.

والاختلاط بمعناه السابق الأصل فيه المشروعية، وفاء بحاجات الناس التي لا مندوحة لهم عنها، إلا أن بعض صوره ينتج عنها أضرار ومفاسد فيمنع لأجلها، هذا إذا لم تقم ضرورة تتطلبه، فإذا تطلبته ضرورة أو حاجة ولم يمكن تلبية هذه الضرورة أو الحاجة إلا بالاختلاط، أذن به في حدودها، تقديماً للأهم على المهم، للقواعد الفقهية الكلية التالية: (الضرورات تبيح المحظورات) و (الضرورات تقدر بقدرها) و(الحاجة تنزل منزلة الضرورة) و(الضرر الأشد يدفع بالضرر الأخف).

ولابد أن نفرق بين الاختلاط المباح والخلوة المحرمة، فإن الاختلاط كما تقدم تعريفه الأصل فيه الإباحة، ولا يمنع منه إلا لمحظور غالب، تيسيراً على الناس في أعمالهم، أما الخلوة فهي وجود رجل مع امرأة أجنبية عنه في مكان واحد من غير أن يكون مع المرأة زوج أو محرم، والأصل فيها التحريم إلا لضرورة أو حاجة غالبة في حدودها، دفعاً للفتنة.

وعلى ذلك نستطيع أن نبين حكم الاختلاط وحكم الخلوة وشروط كل منهما:

فالاختلاط بالمعنى المتقدم - هو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد - الأصل فيه الإباحة بالشروط التالية:

١ - أن يكون مع الحجاب الكامل للمرأة وستر عورة الرجل، لقوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الأحزاب/٥٩.

٢ - ألا تكون المرأة متطيبة أو متزينة بزينة تعلم من وراء الحجاب، لقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) النور/٣١ ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية »، رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد والدارمي.

٣ - ألا يحصل في الاختلاط ملامسة الرجل للمرأة الأجنبية عنه، كالمصافحة مثلاً، لقوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) النور/٣٠ و ٣١، لأن النظر إذا كان ممنوعاً فالملامسة أولى منه بالمنع، وذلك محل اتفاق الفقهاء.

٤ - ألا يحصل بين النساء والرجال الأجانب عنهن حديث فيه تكسر أو إثارة للشهوات، لقوله تعالى: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) الأحزاب/٣٢، بل يقصر الكلام بينهم على الحد الذي تتطلبه المصلحة والحاجة، مع الأدب والاحتشام.

٥ - ألا تتقصد المرأة النظر إلى الرجال الأجانب عنها لغير حاجة غالبة، وألا يتقصد الرجل النظر إلى النساء الأجانب عنه لغير مصلحة غالبة، لقوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) النور/٣٠ و ٣١.

٦ - ألا يقصد كل من الرجال والنساء حين النظر لبعضهم بعضاً - الشهوة أو الإثارة، لأن ذلك مفسدة يُحرمها الشارع، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لاتتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والآخرة عليك» رواه أحمد والدارمي.

٧ - أن يحاول كل من الرجال والنساء التقليل من ساعات الاختلاط بينهم إلى الحد المحتاج إليه دون زيادة، وذلك لما يترتب على الاختلاط في كثير من الأحوال من مفاسد ينبغي التنزه عنها لقوله صلى الله عليه وسلم: «... كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه...» رواه مسلم.

٨ - ألا ينتج عن هذا الاختلاط مفسدة غالبة على ما فيه من المصلحة.

فإذا توافرت هذه الشروط كلها في الاختلاط بين النساء والرجال جاز، وإلا منع منه، لا لأن حكمه التحريم في الأصل، ولكن لاختلال شروطه.

أما الخلوة بالأجنبية - وهو وجود رجل مع امرأة أجنبية عنه في مكان واحد بعيداً عن أنظار الآخرين - فالأصل فيها التحريم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»، رواه الترمذي، ولا تباح إلا لضرورة أو مصلحة غالبة لا يمكن توفيرها إلا بها، كالطبيب في غرفة العمليات الضرورية مثلاً إذا تعذر حضور آخر معه. ■

فقه

من قضايا الطلاق في الفقه الإسلامي

صيغ الطلاق

بقلم: أ. د. محمد الدسوقي

الصيغ جمع صيغة، ويُراد بها ترتيب الكلام على نحو معين صالح لترتب الآثار المقصود منه، ومنه قولهم: صيغة البيع، وصيغة النكاح، وصيغة الطلاق. ويُقال: اختلفت صيغ الكلام، أي تراكيبه وعباراته. وصيغة الطلاق تنقسم باعتبار التقييد والإطلاق ثلاثة أقسام: منجزة، ومعلقة، ومضافة إلى زمن.

والصيغة المنجزة هي التي خلت من التعليق والإضافة، وأراد بها من أصدرها وقوع الطلاق، وترتب آثاره في الحال، كقول الرجل لزوجته: أنت طالق، وهذا هو الأصل في الطلاق، وحكم هذه الصيغة أن يقع الطلاق بها في الحال بشرط أن يكون الزوج أهلاً لإيقاعه، والمرأة محلاً له.(١)

وأما الصيغة المعلقة فهي التي تجعل وقوع الطلاق معلقاً على أمر سيحصل في المستقبل، فهي ترتب وقوع الطلاق على حصول ذلك الأمر بأداة من أدوات الشرط أو ما في معناها: كإن، وإذا، ومتى ونحوها، فيقول الرجل مثلاً لامرأته: إن زرت بيت فلانة فأنت طالق، أو كلما خرجت من دون إذني فأنت طالق. والتعليق نوعان: تعليق لفظاً ومعنى، وتعليق معنى فقط.

والنوع الأول هو ما ربط فيه وقوع الطلاق بحصول أمر في المستقبل بأداة من أدوات الشرط سواء كان الأمر المعلق عليه اختيارياً يمكن فعله، أو الامتناع عنه، أو غير اختياري.

والاختياري قد يكون من أفعال الزوجة نحو إن خرجت من دون إذني فأنت طالق، وقد يكون من أفعال الزوج نحو إن لم أسافر اليوم فأنت طالق، وقد يكون من فعل غيرهما نحو إن لم يسافر أخوك اليوم فأنت طالق. وغير الاختياري كقول الزوج: إن مات ابني فأنت طالق، فالموت لا دخل فيه لأحد من الناس.

فإذا كان المعلق عليه من فعل أحد الزوجين سمي تعليقاً وسمي يميناً أيضاً، لأنه يفيد ما يفيده اليمين من الحمل على الفعل، أو الامتناع عنه.

وإن كان المعلق عليه من فعل غير الزوجين، أو كان أمراً غير اختياري فهو تعليق بالاتفاق، وبعض الفقهاء يسميه يميناً للشرط والجزاء، وبعضهم الآخر لا يسميه يميناً، لأنه لا يفيد ما يفيده اليمين.(٢)

والنوع الثاني من التعليق، وهو التعليق معنى فقط، هو ما يفهم منه التعليق من دون ذكر أداة من أدواته كقول الزوج: عليّ الطلاق، أو يلزمني الطلاق لا أفعل كذا، فإنه في معنى: إن فعلت كذا فزوجتي طالق، وكقوله: عليّ الطلاق لأسافرنّ اليوم، فإنه في معنى إن لم أسافر اليوم فامرأتي طالق. وإذا كان هذا النوع من التعليق يُراد به تقوية العزم على فعل شيء في المستقبل، أو تركه فإنه يُراد به أيضاً نفي التهمة فيما يخبر به أو يفعله الزوج، كأن يقول عليّ الطلاق أن الثمن الذي أبيع به هذه السلعة أقل من ثمن شرائها، أو عليّ الطلاق أني لم أسرق فلاناً أو أضر به. وهذا اللون من التعليق هو الذي يسمى بالحلف بالطلاق، أو اليمين بالطلاق، فهو يفيد ما يفيده اليمين من الحمل على فعل شيء، أو تركه، أو تصديق المخبر فيما يخبر عنه.

حكم الطلاق المعلق

اختلف الفقهاء في حكم الطلاق المعلق، ومنشأ اختلافهم عدم ورود نص من الكتاب(٣)، أو السنة في هذا الطلاق، وعدم ورود النص الشرعي في مسألة من المسائل يفتح باب الاجتهاد، وتعدد الآراء فيها. ويرى جمهور الفقهاء أن هذا الطلاق بنوعيه يقع عند تحقق ما علق عليه، لعدم ورود النص، ولأن الطلاق قد شرّع للحاجة، وقد تدعو الحاجة إلى أن يكون بصيغة التعليق ولأن الزوج يملك إيقاع الطلاق منجزاً فيملك تعليقه، لأن الطلاق من قبيل الإسقاطات كالإبراء من الدين فيصح منجزاً ومعلقاً. وهذا الحكم بوقوع الطلاق المعلق مشروط بأن يكون الأمر المعلق عليه محتمل الوقوع في المستقبل، لأنه إن كان أمراً مستحيلاً كان التعليق لغواً، وإن كان أمراً محقق الوقوع أخذ الطلاق حكم التنجيز(٤)، كما أنه مشروط بأن يحصل هذا الأمر والرجل أهل للطلاق، والمرأة محل له.

وروي عن الإمام علي ـ كرم الله وجهه ورضي الله عنه ـ وبعض فقهاء الصحابة والتابعين أن هذا الطلاق باطل لا يقع به شيء، وذهب إلى هذا بعض الظاهرية.(٥)

ووجهة نظر هؤلاء الذين لا يرون صحة الطلاق المعلق أنه إذا كان لا يصح الزواج بصيغة معلقة، ولا تصح الرجعة كذلك بهذه الصيغة، فلا يقع الطلاق بها أيضاً.

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن الطلاق المعلق الذي بمعنى اليمين غير واقع، وتجب فيه كفارة يمين إذا حصل المحلوف عليه «المعلق عليه الطلاق»، لحنثه في يمينه، وأن الطلاق المعلق على الصفة واقع عند حصول الذي علّق عليه الطلاق، وذلك أن الطلاق المعلّق الذي بمعنى اليمين يتضمن حضاً أو منعاً أو تصديقاً، بخلاف الطلاق المعلق على الصفة، فإنه يقصد به إيقاع الطلاق عند

وقوع الجزاء(٦) ومن ثم لا يقع الأول على حين يقع الثاني.

ولكن لماذا يلجأ الرجل إلى تعليق طلاق زوجته على أمر ما، سواء أكان منها أم من غيرها؟ هل يعد جاداً وصادق الرغبة في مفارقة زوجته؟ إنه لو كان صادق الرغبة في التطليق لما كان في حاجة إلى التعليق، فهو لا يلجأ إليه في الواقع لا ليطلق زوجته، وإنما ليحملها على ما يريد منها، أو ليدفع عن نفسه تهمة الكذب مثلاً، ولم يرد في الكتاب والسنة ما يدل صراحة على أن التعليق في الطلاق يؤدي إلى التفريق بين الزوجين، فكانت المسألة نظرية للاجتهاد فيها مجال ولهذا أميل إلى أن الرأي الذي يذهب إلى عدم وقوع هذا الطلاق أرجح الآراء وأقربها من مشروعية الطلاق، وهذا ما أخذت به بعض(٧) قوانين الأحوال الشخصية المعاصرة، حيث نصت على أن الطلاق الواقع هو الطلاق المنجز فقط، وأن ما سواه لا اعتبار له، استناداً إلى قول كثير من السلف والخلف، ومراعاة لمصلحة الأسرة، ومنعاً لسوء استخدام بعض الأزواج لحقه في الطلاق، والقول إن الزوج يملك الطلاق فيوقعه كما يشاء غير مسلم، لأن على الزوج أن يطلق وفق الشروط والقواعد التي وضعها الشارع وهي كثيرة، ومنها أن تكون الزوجة طاهرة من الحيض، وألا تكون في طهر واقعها فيه، وألا يدخل الطلاق على الطلاق، وأن يشهد على الطلاق على الرأي الراجح، وذلك حرصاً على تقليل الطلاق أو ندرته، فالشيء إذا كثرت شروطه وقيوده عز وجوده، فضلاً عن أن الطلاق ليس أمراً محبوباً ولا مرغوباً فلا يجوز أن نتلمس الأسباب لإيقاعه، وعلينا أن نسد كل المنافذ التي يمكن أن تفرق بين الزوجين، اللهم إلا إذا استحالت العشرة، واستحكمت النفرة وكان الزوج صادقاً في مفارقة زوجته، ولا يرغب في العيش معها، فإن الطلاق يصبح أمراً لابد منه، ويقع طوعاً للضوابط الشرعية.

الصيغة المضافة

الصيغة المضافة هي التي تقترن بظرف زمان بقصد وقوع الطلاق فيه، وهذا الزمان قد يكون مستقبلاً وهو الأغلب، كأن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق في أول الشهر المقبل، وقد يكون ماضياً، كأن يقول: أنت طالق منذ أسبوع. وكما اختلف الفقهاء في الصيغة المعلقة اختلفوا في الصيغة المضافة، فمنهم من يرى أن الصيغة إذا أضيفت إلى زمن مستقبل وقع الطلاق عند حلول الوقت الذي أضيفت إليه، مادامت المرأة عندئذ محلاً للطلاق، ولا يشترط أن يكون الزوج أهلاً للطلاق مادام كان أهلاً له وقت صدوق ما يدل عليه منه.(٨)

ومنهم من ذهب إلى أن الطلاق يقع في الحال، لأن بقاء الزواج من الإضافة إلى المستقبل يجعل عقد الزواج في حكم الموقت، بل قد يكون هذا التصرف ذريعة إلى نكاح المتعة، وهو منهي عنه، ويتعارض مع مبدأ التأبيد في هذا العقد، وذلك بأن يقول الرجل للمرأة بعد العقد عليها مباشرة، أنت طالق بعد شهر. وإذا أضيف الطلاق إلى زمن ماض يقع في الحال لدى طائفة من الفقهاء، بشرط أن يكون الزوج أهلاً لإيقاعه، والمرأة محلاً لوقوعه عند إنشائه فقط، كما يذهب بعض الفقهاء، أو عند إنشائه وفي الوقت الذي أضيف إليه كما يذهب بعضهم الآخر.(٩) والرأي الراجح أن الطلاق المضاف إلى زمن لا يعتد به فلا يقع، لأنه إن كان مضافاً إلى زمن مستقبل ففيه شبهة توقيت عقد الزواج، كما أن هذا الزمن قد يأتي ولا تكون المرأة فيه محلاً لطلاق، بالإضافة إلى ما يدخله على المرأة من ألم نفسي، فكيف تعيش مع رجل حياة زوجية طبيعية، وهي تنتظر اللحظة التي ستنتهي علاقتها به وبحياتها معه، فكل يوم يمر عليها يدنيها من هذه النهاية المؤلمة وليست هناك ضرورة تحمل الزوج على أن يضيف الطلاق إلى المستقبل، وإذا كان قد عزم على أن يطلق زوجته في وقت ما فليمسك عن التلفظ بما عزم عليه حتى يأتي هذا الوقت، فيطلق إذا كانت المرأة محلاً للطلاق وكان هو أهلاً له. إن إضافة الطلاق إلى زمن مستقبل يجعله لفظاً باطلاً، لأن الإنشاء إنما يكون في الحال فقط، ولا يمكن أن يكون في الاستقبال.(١٠)

وأما المضاف إلى زمن ماض فإن الزوجية إذا لم تكن قائمة في الزمن الذي أضيف إليه الطلاق لم تكن الزوجة محلاً له، وإن كانت قائمة فيه فقد اقترن الطلاق بصفة لا يمكن تحقيقها، إذ لا يمكن رفع الحل في الزمن الماضي بعد أن تحقق وترتبت عليه آثاره(١١)، وهذا يعني أن الطلاق المضاف إلى زمن ماض لا اعتداد به، ولهذا لا يقع.

وجملة القول إن الصيغة المعلقة، وكذلك الصيغة المضافة لا تعبر عن جدية أو رغبة حقيقية في الطلاق، وهي تعد لهواً وتلاعباً بالحياة الزوجية التي يحرص الإسلام أبلغ الحرص على حمايتها واستمرارها، ولا يبيح انفصامها إلا عند الضرورة الملجئة ووفق الضوابط والآداب التي قررها، والتي لا يملك الزوج خروجاً عليها، ومن ثم لا يقع الطلاق بالصيغة المعلقة أو المضافة، وإنما يقع حسب الصيغة المنجزة. ■

الهوامش:

١ ـ انظر الفرقة بين الزوجين، لأستاذنا الشيخ علي حسب الله ص ٤٨، ط الفكر العربي ـ القاهرة.

٢ ـ انظر: أحكام الأسرة في الإسلام للشيخ محمد مصطفى شلبي ص ٤٩٥ط، بيروت.

٣ ـ انظر: الطلاق المعلق، هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ص ١٠٥، ط. دار التقوى ـ بلبيس ـ مصر.

٤ ـ التعليق المستحيل كأن يقول الرجل لزوجته: إن دخل الجمل في سم الخياط فأنت طالق، ومثله التعليق على مشيئة الله تعالى لتعذر الوقوف عليها، وكذلك التعليق على أمر محقق الوقوع، فالتعليق في مثل هذا صوري، ويقع الطلاق في الحال.

٥ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٥٠.

٦ ـ انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية المجلد ٣٣ ص ١٤١، ١٤٢، ط. قطر، وإعلام الموقعين (٦٦/٣).

٧ ـ انظر: قانوني الأحوال الشخصية الكويتي والمغربي.

٨ ـ انظر: أحكام الأسرة في الإسلام ص ٤٩٤.

٩ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٤٩.

١٠ ـ انظر: نظام الطلاق في الإسلام للشيخ أحمد محمد شاكر ص ٢٠، ط مكتبة السنة بالقاهرة.

١١ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين ص ٤٩، أي كيف يمكن أن تكون الزوجة مباحة وغير مباحة في الزمن الذي أضيف إليه الطلاق.

تربية

ظاهرة القلق لدى الإنسان المعاصر

بقلم : علال البوزيدي

الإيمان أساس الإشراق الدائم في القلوب والإطمئنان في النفوس والسعادة في الحياة عني الإسلام عناية شاملة بالفرد والأسرة والمجتمع وشملت اهتماماته العمل الاجتماعي بوجه عام وخير مايستدل به الباحث والمهتم في هذا المجال هو ماورد في نصوص الشريعة الإسلامية الخالدة وما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة وباختصار سنحاول التعرض إلى ذلك على سبيل الإلماح، وهكذا تطالعنا في هذا الباب توجيهات الرسول - ﷺ - الذي وصى الضمير الإنساني بالرحمة، التي هي علامة من علامات الإيمان الصحيح، وما أحوج المجتمع الإنساني إلى الرحماء فهم وحدهم القادرون على خلق التوازن واستمرار الحياة في جو من الانسجام والوئام بعيدا عن الصراع والحقد وهم مصدر الأمراض الاجتماعية التي فقدت أو تكاد تفقد السكينة والاطمئنان النفسي والإشراف القلبي مما ضاعت معه على الإنسان في هذا العصر لذة الممارسة لحياته الطبيعية نتيجة ما انتابه من القلق والتوتر والانفعال لأتفه الأشياء ولقاء تأثره بالمذاهب المادية وتهالكه على جمع الأموال وكأنه سيخلد في هذه الدنيا متناسيا المقولة التي تفيد: بأن طالب الدنيا كشارب الماء المالح، كلما ازداد شربا ازداد عطشا، ولعل طغيان هذا السلوك في حياة الناس هو الذي سبب ضياع السكينة وهداءة الأعصاب وأقحمهم في دوامة من التوتر والقلق وجلب لهم الهوس والصداع وما أروع قول النبي الكريم سيدنا محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - في مناجاته لربه إذ يقول : «اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين» وفي قول آخر للرسول - ﷺ - يؤكد فيه مواساة الضعفاء والأخذ بيد المحتاجين، من الأعمال التي يستجاب فيها الدعاء.

من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر ولما كان العمل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية للفرد عملية لها قيمتها الكبرى في ترسيخ البناء المجتمعي وتصحيح الأوضاع الاجتماعية وتوطيد العلاقات الانسانية فقد ارتقى ذلك إلى أن يدخل في اعتبارها ما هو في حساب العوالم الأخرى والصورة المعبّرة عن ذلك هي تلك التي رسمها - ﷺ - في قوله: احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون المتكبرون... وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم.. فقضى الله بينهما... فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء.. وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء.



وتواترت الأحاديث والمواعظ والتوجيهات لتصحيح موقع الإنسان وتعزيز مكانته في المجتمع الإنساني وتم إرساء قواعد البناء الطبيعي للإنسانية على أساس المساواة الحقيقية والديموقراطية الفعلية في المجال الاجتماعي وعلى أساس التعامل الهادف إلى الخير عملا بقوله تعالى: (وتعانوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) [المائدة/٢] والاعتناء بالإنسان كفرد ورعاية شؤونه ورفع مستواه المادي والمعنوي والفكري والأخلاقي والروحي، وانطلاقا من هذه الخصائص المثالية اهتم الفكر الإسلامي بمسألة رفع المستوى الاجتماعي للإنسان العادي الذي لا تتوافر

لديه أسباب الحياة الميسورة عملا بالميزان الذي يزن الله به أعمال العباد وهو ميزان العدل والإنصاف الذي لايبخس الناس أشياءهم والذي لاينفع معه إلا العمل الصالح والقلب المؤمن المشرق الذي لا أثر فيه للغلو والحقد وكما جاء في الأثر: (ان الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). وكم كان الرسول ﷺ يهتم بالفقراء وذوي الحاجات ويسعى الى مساعدتهم وفي هذا يقول: «لأن امشي مع أخ في حاجة احب إليَّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهرا».

النساء شقائق الرجال في الأحكام لهن مثل الذي عليهن بالمعروف

ومن هذا المنظور كان رسول الله ﷺ يعتني كثيرا بالعمل الاجتماعي والانساني وما ذلك عليه ﷺ بعزيز وهو المبعوث رحمة للعالمين والمنقذ للبشرية من الظلمات إلى النور.

ولنورد حديثه في الإشادة بأهمية الأعمال الصالحات التي جعل من ضمنها خدمة الجانب الاجتماعي حيث قال: «إن لله خلفاء خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله».

والفكر الإسلامي يعتبر استمداداً من نفحات النبوة واستلهاماً من نصوص السُنّة والكتاب يرى في العمل الاجتماعي هدفا لرفع مستوى الضمير الاجتماعي واحترام حيويته وفعاليته، ولم يفرق في ذلك بين المرأة والرجل، بل يرى أنه لابد من تكامل العمل وتضافر الجهود بين الجنسين وفي هذا المجال يقول رسول الله ـ ﷺ ـ «إنما النساء شقائق الرجال في الأحكام لهن مثل الذي عليهن بالمعروف».

ومن هنا تأكدت عناية الاسلام بالمرأة بوصفها نصف المجتمع ولاخير في المجتمع اذا كان نصفه مشلولاً ونصفه الآخر متحركاً كما يقال، وقد اتفقت الآراء التي حددها الفكر الإسلامي والتي تقضي بوجوب العناية بالمرأة واحترام وجودها وتعزيز مكانتها في المجتمع بحسن تربيتها وتعليمها واعدادها الاعداد السليم كما هو الشأن لصنوها الرجل، ذلك لأن إهمالها يجعل منها عنصرا هامشيا وإنسانا يستحمل وهو غائب عن المجتمع رغم حضوره بل الأخطر من ذلك آفة من الآفات، كما تشير الى ذلك المقولة المعروفة: المرأة الجاهلة آفة على الاسرة إن لم تكن على المجتمع كله. خصوصا اذا استحضرنا الكثير من الاقوال المأثورة التي جاءت في هذا الباب والتي تشيد بدور المرأة في إصلاح المجتمع

يجب اغتنام الفرص للحفاظ على حرارة الود والتراحم والتواصل

وتنشئة الأجيال باعتبارها المدرسة الاولى وهي وراء كل عظيم ولقد ساعد التطور الذي جاء به العصر الحديث المرأة ان تقوم برسالتها على الوجه المطلوب وتمارس الحياة ممارسة جريئة وصريحة اذا تسلحت بالوعي الاجتماعي، فليس معنى تحررها من الاحتجاب الذي كان يفرض عليها ان تظل حبيسة البيت وأن لا تجعل ذلك مطية الى الاستهتار والانحلال والتبرج والإباحية والتخلص من الأصالة والانسياق وراء تيار المعاصرة بكيفية عمياء، بل ينبغي لها ان تحافظ على أصالتها وتسير على أثر سلفها متحلية بالحشمة والمروءة والحياء حتى تكون للمرأة حرمة ووقاراً وتقديراً وإكراماً مستعملة العقل والضمير في الممارسة والسلوك والتصرف ولنبق في محاولة شرح مفهوم العمل الاجتماعي من منظوره الاسلامي وبحث الكيفية التي عالج بها الإسلام ظواهر التوتر او القلق والامراض الاجتماعية التي يعاني منها الإنسان وتسترشد في هذا السبيل بالمنهج المحمدي الذي يجعل للعلاقات الاجتماعية نمطا شاملا تنتظم به مختلف الحاجيات الفردية والجماعية على أساس الأدب وحسن المعاشرة والمعاملة وطيبة الاخلاق ،ففي الأدب النبوي الشمولية والحكمة فيه وللمجالس آدابها وللصداقة أدبها وللنصيحة وللسير في الطريق وللحديث وللزيارة وللمصافحة ولكل شيء يتصل بالعلاقات الإنسانية العامة والخاصة آدابه حتى في الأكل والنوم والمقابلة والجلوس والتحية، فهذا الأدب الرائع والخالد والصالح لكل زمان ومكان، ينبغي أن يظل مبنيا على علاقات الناس مع بعضهم بعضاً وهو الكفيل بتبديد كل غيوم البغضاء والشحناء والحقد والحسد والاستهتار بالقيم، وهو الذي يوطد الودّ ويعزز الروابط بين الناس كل هذا تحت تعاليم الاسلام إذ يوصي الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالحفاظ على حرارة الود واعتبار كل المناسبات واغتنامها فرصا للتراحم والتواصل وبذلك يتم اندماج الانسان اندماجا ايجابيا في المجتمع بحيث يؤهله هذا الاندماج داخل جماعته للارتقاء بنفسه ويعالجه من عقده ويخلصه من أنانيته وينقله من عنصر سلبي يأخذ ويعمل لذاته إلى عنصر إيجابي يسهم ويعطي بقدر ما يأخذ وأكثر من ذلك نكران الذات وهذه الصفات لابد من توافرها في الإنسان الاجتماعي ومنها على الخصوص: الآثار والأريحية والتطوع والتواضع ونكران الذات والاهتمام بالمصلحة العامة أكثر من الاهتمام بالمصلحة الخاصة وكل هذه الخصائص والصفات نص عليها الأدب النبوي وجاءت في الكتاب والسنة والله يقول الحق وهو يهدي سواء السبيل. ■

دراسات أدبية

اللغة المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب

بقلم:
د. رفيق حسن الحليمي



ماهية اللغة

لم يثبت عند علماء اللغة - على وجه التحديد - أن العالم خضع في يوم من الأيام إلى لغة واحدة، والمعروف أن هناك أمماً وشعوباً تعددت لغاتها - على الأقل في التاريخ القريب حتى يومنا هذا - وقد ورد في الذكر الحكيم أن من آياته تعالى (واختلاف ألسنتكم) الروم: ٣٠.

لقد أصبحت اللغة بما تمثله من طرق كتابة ومفردات ذات دلالة معينة وأداء خاص بأصواتها، أو كما يقول ابن جني في حدِّها بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»(١)، معلماً أساسياً على هوية هذا الشعب من البشر أو ذاك، وهذا يبدو واضحاً قبل أن يبدأ الغزو اللغوي الذي رافق - في العصور القديمة والوسطى - الحركات الاستيطانية المصاحبة للغزو الاستعماري لمناطق مختلفة من العالم. ووقفة عاجلة عند ماهية «اللغة» نجد أنها لا تعدو أن تكون موافقات أو «مواضعات» جماعية على معنى يُعبَّر عنه بصوت لغوي... بحيث يصبح مع التعايش الحياتي لدى هذه المجموعة من البشر أو تلك «كمٌّ» من هذه الأصوات وهذا الكمُّ يصبح مع التطور الاجتماعي واللغوي بمثابة «قاموس» اللغة ومعجمها، كما يصبح لها في مرحلة التطور وسائلها الخاصة وقواعدها وضوابطها، ويأتي يوم تحمل اللغة اسماً خاصاً بها يميزها من غيرها وفقاً لاسم الأمة التي تتحدث بها أو لاسم بقعة الأرض التي تعيش عليها، وهذا هو الغالب في أسماء اللغات، ويتبع ذلك أن تودع هذه المجموعة من البشر أو تلك أحاسيسها ومشاعرها، أفراحها وأتراحها، نظراتها وتصوراتها إلى الحياة في لغتها بحيث تصبح اللغة هي المستودع لآدابها، ويصبح في سجل التاريخ أن هناك أدباً عربياً وأدباً إغريقياً وأدباً رومانياً، وآخر إنكليزياً أو فرنسياً... إلى آخر تلك القائمة لسجل الآداب في العالم، ومن البدهي على سبيل المثال أن هذا الأدب لا يكون عربياً إلا إذا صيغ باللغة العربية وكانت اللغة العربية أداته ووسيلته إلى القارئ والمستمع، ولا يكون الأدب فرنسياً إلا إذا صيغ باللغة الفرنسية وكانت اللغة الفرنسية أداته ووسيلته إلى ... الآخر، وهذا ينطبق على الأدب الإنكليزي وغيره من آداب.

غير أن هذه المقولة تلقى بعض التحفظات التي تظهر من جراء اتساع دائرة المحيط اللغوي خارج نطاق «الوطن» الأم للغة، كاللغة الإنكليزية في أمريكا وكندا وأستراليا وغيرها من المناطق التي هجرت لغاتها الأصيلة، وأخذت بلغة الفاتح، وقد جرى العرف على تسمية آداب هذه البلاد باسم أماكنها ودولها فهناك الأدب الأمريكي والأدب الكندي والأدب الأسترالي... رغم صياغة هذه الآداب باللغة الإنكليزية، وهذا ينطبق على آداب أخرى كتبت بلغات

وافدة عليها... ولكن هذه التحفظات لا تغير من تلك المقولة شيئاً، وهي أن اللغة هي المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب، فتلك الآداب إنكليزية من حيث اللغة أميركية من حيث النسبة إلى الموطن.

اتساع محيط اللغة العربية

عاشت اللغة العربية في مناطق مختلفة عن وطنها الأم، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي ولم تك تمضي فترة زمنية «قرنان أو ثلاثة قرون»(٢) حتى تعرَّب أكثر تلك المناطق والأقاليم وأصبحت العربية هي اللغة السائدة، فيما أخذت لغات تلك الأقاليم الأصلية تنحسر شيئاً فشيئاً مع مرور الزمان، وكانت للغة العربية آدابها المعروفة في وطنها الأم منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، وأصبح إلى جانب ذلك آداب تنتمي إلى تلك المناطق التي اتخذت العربية لساناً، وهي تلك التي تعربت منذ الفتوحات الإسلامية، وهي آداب عربية في جملتها بغض النظر عما نجده في بعضها من خصوصيات تمثل طبيعة الحياة في هذا الإقليم أو ذاك.

وعاشت اللغة العربية في الأندلس مع من عاش فيه من أبنائها، وكانت لهم آدابهم وعلومهم ومجمل كتاباتهم على اختلافها، وهي من غير أدنى شك آداب عربية، لأنها استخدمت العربية أداة للتعبير ووسيلة للكتابة، كما عاشت العربية في بلاد فارس وغيرها مما يليها أو يتصل بها، وكانت هناك آداب عربية ردحاً من الزمان، وعاش نفر من أبناء اللغة العربية في الأميركيتين الشمالية والجنوبية، وكانت لهم آدابهم المعروفة بأدب المهجر، وهو أدب عربي لأنه كتب باللغة العربية.

تصنيف الآداب العربية

كان للباحث العربي ذكاؤه وفطنته حين أدرك هذه الحقيقة وجعلهانصب عينيه ولم يغفل عنها لحظة وهو يصنف الأدب العربي، فراح يصنف آداب تلك الأقاليم على اتساعها وفقاً للعصور التاريخية حيناً، متجاوزاً بذلك الكثير من الخصائص الفنية التي تقوم عليها تلك الآداب، ووفقاً للأقاليم الجغرافية حيناً آخر ووفقاً لمضامينها أو موضوعاتها في أحيان أخرى، فهناك العصر الجاهلي وله آدابه بمحدداتها الزمنية، وهناك العصر الإسلامي والأموي والعباسي وغيرها من عصور حتى العصر الحديث، وهي تقسيمات خاضعة في أكثرها للسياسة وأنماط الحكم المتعاقبة، وهناك أدب عربي في الشام وأدب عربي في الحجاز أو في نجد أو في اليمن أو في الأندلس... وهناك شعر المديح، وشعر الهجاء والرثاء والغزل والوصف... إلى آخر ما هو معروف في هذا الشأن، على أن بعض الدارسين المعاصرين يعترضون على تسمية الأدب بإقليمه أو بموطنه مباشرة فيعترضون على قولنا: الأدب الشامي أو المصري أو التونسي، ويرون أن الأدق أن يُقال: الأدب العربي في الشام، أو في مصر، أو في الأندلس... وهم بذلك يلتقون مع المصنف القديم العماد الأصفهاني في كتابه: «خريدة العصر»... بما قام عليه من تقسمات معروفة للأدب العربي.(٣)

وهذه الآداب العربية على امتدادها مع الزمان طولاً واتساعها مع رقعة الأرض عرضاً، قد شارك فيها أقوام يتحدرون من أصول عربية وآخرون يتحدرون من أصول غير عربية، وقد برز هذا أكثر ما برز في العصر العباسي، حيث امتزجت الثقافات واختلطت الأعراق وكان لأبناء تلك الشعوب التي دخلت في الإسلام نصيب في الإسهام في البناء الثقافي والحضاري للأمة العربية، وقد توهم أحد الباحثين المعاصرين - ممن يفتقرون إلى المنهجية العلمية - أنهم من أدباء تلك الديار وعلمائها قلباً وقالباً فنسبهم إليها اعتباطاً، وكان من الممكن - وفاء للمنهج العلمي - أن يقول إنهم من ثنائيي اللغة أو إنهم من أصول فارسية أو فينيقية أو هندية أو سلجوقية أو غيرها من الأعراق، ولا أحد ينكر أن الحضارة الإسلامية بكل معطياتها ليست إلا نتاجاً لروافد ثقافية مختلفة ولجماعات تتحدر من أصول عربية وأخرى غير عربية... التقت وتمازجت في صعيد واحد، ولكن هذا الصعيد أينما ذهبنا شرقاً أو غرباً شمالاً أو جنوباً كان يستظل باللغة العربية، وأن هذه الحضارة الإسلامية، وما كتب فيها على أيدي العديد من متعددي الأصول والأعراق، إنما كتبت باللغة العربية وليس بلغة أخرى من فارسية أو هندية أو آرامية أو فينيقية أو غيرها من لغات عاشت جنباً إلى جنب مع العربية وعاش الناطقون بها ردحاً من الزمان مع المتحدثين باللغة العربية، وقد تفوقوا فيها وذاع شأنهم وعرف أمرهم بها، ولو أنهم كتبوا بغير العربية لما عرفنا من أمرهم شيئاً ولما كان لهم على أغلب الظن والاحتمال شأن يذكر حتى في مجتمعاتهم التي انحدروا منها، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ما كانت تتمتع به اللغة العربية في عصورها الزاهية من مكانة وظيفية في المجتمع العربي.

ظاهرة النبوغ والإبداع

على أن ظاهرة التفوق والنبوغ التي بدت على نفر غير قليل ممن يتحدرون من أصول غير عربية تستأهل التوقف قليلاً، ولهذا التفوق أسبابه ودواعيه المختلفة عند أبناء الأقليات العرقية التي يقدر لها أن تعيش حياتها كمجتمعات هامشية في وسط مجتمع كبير، فهو لا يبعد أن يكون تحقيقاً للذات وإثباتاً للهوية الجماعية في شخص أو أشخاص ممن يتفوقون وينبغون من أبناء تلك الأقليات، فيبذلون أقصى طاقتهم وأقوى ما في قدرتهم ليحققوا التفوق على منافسيهم، وليصلوا إلى المكانة التي تصبو إليهانفوسهم، وكأنهم بذلك يعيدون للأقلية شيئاً غير قليل من كرامتها واعتبارها أو يعيدون شيئاً كأنه سلب منهم في وسط هذا الخضم الهائج من أبناء المجتمع الكبير، ولعل هذا النبوغ لهذا النفر من أبناء هذه الأقلية فيما لو قدر لهم أن يكونوا في مجتمعهم الأصلي قد لا يكون له هذا الانبهار وهذا البريق الأخّاذ وهذا التميز الفريد، لأن المنافسة قد لا تكون بهذه الحدة والدافعية، وكم من نابه في مجتمعه الأصلي قد لا يجد من يلتفت إليه كثيراً «لأنه يكون - إذ ذاك - في وضعه الطبيعي وفي سياقه الاجتماعي، ينطبق هذا الأمر أكثر ما ينطبق على من عاش من أبناء الفرس في بلاد العرب وفي حاضرة بني أمية وحاضرة بني العباس، على أن هذا النبوغ من جملة تداعياته وعلى الرغم من

خصوصيته العرقية والذاتية، يظل نبوغاً في إطار المجتمع العربي وفي ظل اللغة العربية بكل أبعادها الثقافية ودلالاتها المعجمية والتعبيرية ورموزها الإشارية وسماتها العربية والأعرابية البدوية.

وليس معنى ذلك أن هذا التفوق الذي بدا على نفر من الكتّاب والشعراء والعلماء ممن يتحدرون من أصول فارسية أو غير فارسية لم يكن يوازيه أو يتفوق عليه في كثير من الأحيان تفوق مماثل ونبوغ باهر، لدى أبناء اللغة الأم، وعودة إلى التاريخ في نظرة فاحصة إلى الأعلام من هؤلاء وأولئك ترجح المقولة السابقة، وتؤكد ما ذهبنا إليه.

أدباء من أصول غير عربية

فهذا بشار بن برد الشاعر العباسي المعروف أو كما قيل عنه: رأس المجددين في الشعر، أصله من طخارستان، لكن المعروف أنه ولد ومات في البصرة، ومولده في هذه المدينة يعني شيئاً كثيراً، فقد كانت مركزاً إسلامياً من مراكز الثقافة والأدب والعلم وقد نهل بشار وغيره ممن عاشوا فيها من ينابيع الثقافة والمعرفة، وكان بشار يعب منها بشغف، ونبغ في الشعر وقد علل - يوماً - لعدم ما يقع في شعره من لحن أو خطأ بأنه أقام بين قوم نساؤهم أفصح من رجالهم - مبالغة في فصاحة من أخذ عنهم وأقام عندهم - وكان يحرص في شعره على التمثل الدقيق والمحاكاة التامة للأنماط اللغوية الأعرابية. ويروي أنه أنشد خلفاً الأحمر «الشاعر والراوية المعروف» وقوله :

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجيرِ

إن ذاك النجاح في التبكيرِ

فقال له خلف : لو قلت «بكّرا فالنجاح في التبكير» كان أحسن، فقال له: إنما بنيتها أعرابية وحشية كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرا فالنجاح في التبكير، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف الأحمر وقبّل ما بين عينيه(٤)، وليس هناك في حياة بشار أكثر دلالة من هذه الرواية على مدى انخراطه في الثقافة العربية بكل أبعادها ودقائقها، وبذلك يظل نتاجه الشعري ضمن منظومة الأدب العربي، لأنه جاء بلغة عربية رغم أن بشاراً تحدر من أصول غير عربية.

ومن قبله ابن المقفع «عبدالله» الذي ينتمي إلى الأصل الفارسي، وقد قيل إنه نقل كتباً فارسية إلى العربية، وله مؤلفات بالعربية «كليلة ودمنة - الأدب الكبير - الأدب الصغير»، وإذا كانت ولادته بجوار فارس، فإنه نشأ وتعلم في البصرة، فكان ضليعاً في اللغة العربية حتى قال عنه الأصمعي «أحد علماء اللغة ورواتها»: قرأت أدب ابن المقفع فلم أر منها لحناً إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط «بالكل» فاحفظوا «البعض»، وموضع اللحن إدخال «ال» على كل وبعض، ونحن إذ نقف على ما خلف من آثار أدبية، لا نجد أمامنا إلا أدباً عربياً، مكتوباً باللغة العربية، ولعلنا إذا أمسكنا بطرف هذه السلسلة من الأدباء والشعراء والعلماء والمفسرين، فسيطول بنا المقام والمقال كثيراً.

أدباء عرب مغتربون

الاغتراب عن الوطن الأم أو الهجرة والارتحال إلى مواطن أخرى والاستقرار فيها من الظواهر التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل... ويعنينا في هذا السياق ما قد يترتب على هذه الهجرات من آثار تمسُّ نتاجهم الأدبي وخصوصاً بالنسبة إلى الجيل الأول والثاني من المهاجرين، أما الأجيال التالية فستندمج قلباً وقالباً ولغة في المجتمعات الجديدة التي تستقر فيها، وكل ما في الأمر أنهم في خلواتهم يذكرون أن أصولهم من هنا أو من هناك.

ويأتي في مقدم هؤلاء - تحديداً - أدباء المهجر وأدباء من الجزائر، أما أدباء المهجر، فقد كان في حدود ما نعلم للرعيل الأول إسهاماتهم البارزة في الحركات الأدبية المعاصرة وكان لهم نشاطهم المعروف، وقد ظل أدبهم يحمل سماته العربية وملامحه الشرقية، ففيه حنين إلى الشرق، وتفاعل مع قضاياه، ولا أحد ينكر أن أدبهم ليس أدباً عربياً، ولكن واحداً منهم وهو «جبران خليل جبران ت ١٩٣١م»، الذي كانت له مشاركته في الحياة الأدبية في المهجر كتب إلى جانب ما كتب باللغة العربية مؤلفاً باللغة الإنكليزية وهو كتاب «النبي» الذي يعد من أحسن ما كتب على الإطلاق، إذ تكاملت فيه مواهبه الشعرية والوعظية.(٥)، وهنا يبرز سؤالنا الذي يشترك فيه الكثير من السائلين: هل يمكن أن نعد كتاب «النبي» ضمن الأدب العربي كباقي كتبه، أم أن كتابه ينبغي أن يعد من الأدب الإنكليزي، مع أن مادة كتابه هذا مستمدة من الشرق ومؤلفه من الشرق؟ الواقع الذي لا يقبل الجدل أن كتاب «النبي» لابد أن يسلك ضمن الأدب الإنكليزي «الأميركي» لأنه بكل بساطة كتب باللغة الإنكليزية، رغم اعتزاز الشرقيين بهذا الكتاب وبصاحبه، فقد عرفوا الكتاب وقرأوه كما عرفوا كتبه الأخرى وقرأوها، لكنهم قرأوه باللغة الإنكليزية، ولو ترجم الكتاب لظل ضمن الكتب المترجمة ذات الأصول الأجنبية.

وهناك مجموعة من أدباء الجزائر أتيح لهم أن يعيشوا حياتهم في فرنسا، وأن يبلغوا درجة من إتقان اللغة الفرنسية مكنتهم من كتابة أدبهم بهذه اللغة، وعند تصنيف هؤلاء لا بد أن يدرج أدبهم ضمن الأدب الفرنسي، لأنه كتب باللغة الفرنسية، أما تصنيف ذواتهم فلنقل إنهم عرب ويتحدرون من أصول عربية، وهذا ينطبق على الكثير ممن هاجروا إلى العالم الجديد، وكتبوا ما كتبوا بلغات مختلفة عن لغتهم الأم، فقد تكون أصولهم من أسبانيا أو من البرتغال أو من ألمانيا أو غيرها.

إشكالية المضمون الأدبي واللغة

قد يتذرع من يعترض على هذه المقولة - التي ارتكزت عليها هذه الدراسة - بقوله: إن المضامين وهي المادة الأساسية التي شكلت هذه الآداب، عادة ما تكون شديدة الاتصال بالحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية والتجارب الذاتية التي يعيشها الأدباء والتي تعبر عن خصوصية معينة لهذا المجتمع أو ذاك، ولابد من هذا

الطرح أن يكون لهذه الاعتبارات مكانة ما عند تصنيف هذه الآداب العالمية... ووضعها في سياقاتها الصحيحة، وعلى سبيل المثال فإن الأدب العربي في أي عصر من عصوره يعكس جانباً أو جوانب من الحياة العربية بما فيها من تقاليد وعادات وأساليب معيشية وطرائق مختلفة في الثقافة والفكر... وهذه الخصوصية لابد أن تتجاوز اللغة باعتبارها شكلاً من أشكال التعبير أو ثوباً يلف الجسد ويغطيه، وبمعنى آخر ليست اللغة وحدها التي تحدد هوية الأدب، واستناداً إلى هذا كله يصبح نتاج نفر من أدباء الجزائر الذين كتبوا أدبهم باللغة الفرنسية أدباً عربياً، كما يصبح كتاب «النبي» أدباً عربياً لما تتسم به هذه الأعمال من خصوصية معينة تتصل بالحياة في الشرق، ولأن هذه الأعمال قدّمها أدباء ينتمون إلى الشرق... كل ما في الأمر أنهم اتخذوا اللغة الأجنبية وعاء للتعبير.

وأود أن أذكر أن هذه الدراسة تقوم على دفع هذا الطرح ورده، فإذا كان لكل مجتمع خصوصيته التي أشرت إلى بعضها من قبل ويمكن التشبث بها لدعم تلك المقولة، فإن لكل لغة أيضاً خصوصية تتفرد بها عن غيرها، من رموز إشارية وسمات دلالية ومعجمية تضرب بجذورها في تاريخ اللغة، وليست اللغة مجرد شكل من أشكال التعبير أو مجرد ثوب يمكن أن يغطي الجسم، ففي الأعمال الأدبية تلتحم اللغة مع المضمون ولا تنفصل عنه، أما في الشؤون الحياتية اليسيرة والاحتياجات الضرورية فالأمر قد يختلف.

حين يختار الأديب اللغة التي يريد أن يكتب بها يكون قد تعايش مع خصوصياتها وتفاعل مع ثقافتها وأنماط التفكير السائدة فيها... ولا يكون اختيار اللغة مجرد اختيار عابر أو مجرد اختيار عشوائي مفاجئ، فقد يقتضي الموقف - وخصوصاً عند متعددي اللغات - اختيار لغة ما لتوصيل الفكرة التي يريدونها إلى الآخر، ويدخل ضمن هذا العمل الترجمات الفورية والأعمال المترجمة إلى لغات أخرى، ولكن الأمر يختلف مع الأعمال الأدبية، ولذلك تبقى اللغة هي السمة الأساسية والمعلم الأوحد في تحديد هوية الخطاب الأدبي، على أن في الأعمال الأدبية ما يؤكد ما ذهبنا إليه، فقد نجد أن مادة أدبية معينة تناولها أكثر من كاتب، فماذا نقول حينئذ؟ لابد أن ننسب كل عمل إلى اللغة التي كتب بها.

فقد وردت في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام واستغرقت سورة كاملة تقريباً، ولو نظرنا في أحداثها وأشخاصها وأزمانها لوجدنا أنها تحمل خصوصية تتصل بحياة «إسرائيل» يعقوب وبنيه وجانب من حياة مصر الفرعونية في فترة زمنية قديمة موغلة في القدم، وربما كانت تلك الفترة تتزامن مع بداية تشكل اللغة العربية وبداية وجودها في مكة وما حولها... وأحداث القصة من بدايتها التي تجسدت في حب يعقوب لابنيه يوسف وأخيه من بين إخوته الأسباط... ورؤيا يوسف وما تبعها من تداعيات... حتى نهايتها في تحقق الحلم... جديرة بأن تكون مادة قصصية خصبة تناولها القرآن الكريم وعرضها على مسامعنا منذ قرون بلسان عربي مبين. ولو أن القصة تناولتها لغة غير العربية لكانت ضمن موروثهم وتراثهم الأدبي والديني.

وهناك قصة «كفاح طيبة» للكاتب المصري نجيب محفوظ، استمد أحداثها من الحياة الفرعونية القديمة، فقد سجلت انفجار الثورة على الهكسوس الغزاة، والمعارك التي دارت حتى تحقق النصر، فالمادة القصصية من حيث المضمون والأشخاص والأحداث والزمان والمكان تعود إلى مرحلة تتصل بماضي الحياة في مصر الفرعونية، وعند تصنيف هذه القصة، فإننا نتجاوز مع غيرنا مادتها ومضمونها ونتشبث باللغة التي صيغت بها، فهي من الأدب العربي لأنها كتبت باللغة العربية، ولو أن هذه القصة تناولها كاتب آخر بلغة غير عربية، فلا بد أن تنسب إلى تلك اللغة.

وهناك مادة معروفة وهي شخصية «كليوباترة» السابعة، فقد كانت مادة لأعمال أدبية كثيرة، لعل أشهرها ما كتبه «شكسبير»، و«برناردشو» باللغة الإنكليزية وما كتابه عنها مصنف ضمن الأدب الإنكليزي، وجاء «أحمد شوقي» وكتب مسرحية شعرية: «مصرع كليوباترة»، وهي من غير شك مصنفة ضمن الأدب العربي الحديث.

وهناك أعمال كثيرة تدخل ضمن هذا السياق وهي مادة خصبة للآداب المقارنة التي يكون الحد الفاصل بينها اختلاف اللغة، وهو شرط أساسي لعقد مقارنة بين أدبين أو أكثر، وليس المضمون، لأنه مادة مشتركة، وهو المحك لمجالات التأثير والتأثر، كقصة ليلى والمجنون أو الحياة العاطفية بين الأدب العربي والأدب الفارسي التي قدمها في دراسة مقارنة د. محمد غنيمي هلال، وكذلك الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي دانتي والأصول الإسلامية التي غذتها وأثرت فيها ابتداء من قصة الإسراء ومروراً برسالة الغفران لأبي العلاء المعري وغير ذلك من أعمال، وخلاصة القول: إن اللغة هي المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب. ■

المراجع:

١ - ابن جني، «أبو الفتح عثمان»، الخصائص ج١ ص٣٣، دار الهدى - بيروت - ط الثانية.

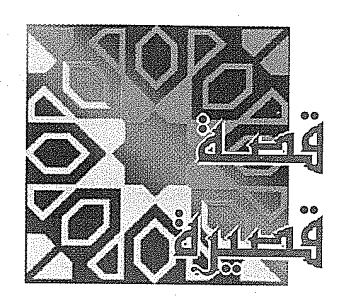
٢ - الدوري، عبدالعزيز، «الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب»، ص٧٥ (مركز دراسات الوحدة العربية ط الثانية ١٩٨٢م) بيروت.

٣ - العماد الأصفهاني، الخريدة «شعراء الشام»، تحقيق د. شكري فيصل، (المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٥٥م).

٣ - العماد الأصفهاني، الخريدة «شعراء العراق»، تحقيق محمد بهجت الأثري وزميله (مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥م).

٤ - الجرجاني، عبدالقاهر، (دلائل الإعجاز) ص ٢٧١، شرح محمد عبدالمنعم خفاجة، (مكتبة القاهرة، الأولى ١٩٦٩م).

٥ - الموسوعة الميسرة ص ٦١١، ط الثانية ١٩٧٢م.



بقلم : عبدالستار خليف



لا تنسوا ولدي !!

أنا أم عجوز، أسر المعتدون ولدي الوحيد، ورحلوا، رحلوا بلا رجعة، تركوا في القلب الكليم، حزناً عميقاً، لا يمحى، إلا بعودة فلذة كبدي، وقرّة عيني، سندي في الحياة!! ترك وراءه زوجة شابة، وأولاداً صغاراً، وترك في قلوبهم لوعة حزن، وفي عيونهم دمعة ألم، وسؤال حائر: متى يعود؟!!

ها قد مرت سنوات طويلة، ومريرة، وحتى الآن... لا أعلم عنه شيئاً!! هل هو على قيد الحياة، حي يرزق، أم مات في ذل القيد والأسر؟! يا حبة القلب ولدي، يا قرة عيني، وساعدي في سنوات ضعفي... يا عكازتي في بقية عمري، وسنوات الوهن المقبلة، أين أنت؟! أود أن أكحل عيني بنظرة منك، قبل رحيلي عن الدنيا؟!

أحفادي - أولادك - دوما يسألونني، أين ذهبت؟ ماذا أقول لهم؟!، غداً ستعود، أو أصمت ولا أجيب؟ أنا لا أعرف أين ذهبت؟! أين أخذوك، وهل قتلوك، يا عمري، أم مازلت ترسف في الأغلال والقيود، بين جدران قاسية صماء، تتعذب - يا قلبي - على يد جلاديك، القتلة!! تموت - في كل يوم - ألف مرة ومرة.

أنا أمٌ، ما زلت أنتظر ولدي المفقود، منذ سنوات، مازلت أنتظر.. عودته، لم أفقد الأمل، سأظل بقية عمري أنتظر، متى ستعود يا نور عيني، أعرف بأنك مازلت على قيد الحياة، وقلبي دليلي، إحساس الأمّ صادق، لا يكذب، ولدي حيٌ، لكنه يعاني مرارة القيد، يعاني شدة الشوق والحنين وعطر الزوجة وابتسامة الصغار.

كل يوم أنتظر، أظل طوال النهار أصيخ السمع لطرقاته الهينة التي أعرفها على باب البيت، يحلو له أن يطرق ببراجم أصابعه، ولا يستخدم الجرس حتى لا يزعجني بصوته الحاد المرتفع، هيه!! يمر النهار ويأتي الليل، وما أطول الليل على الساهر المنتظر، الحالم بعودة الأمل وشعاع الشمس وضوء القمر وراحة البال!! ما أقصر الليل على الراقد قرير العين مستريح البال، وما أطولك أيها الليل على أمّ حزينة فقدت وحيدها وتنتظر عودته بفارغ الصبر، ودموع الأسى التي جفت في المحاجر، فلا ينام الليل إلا من قلبه خلا من الهموم والأحزان، ربما يأتي في المساء، سأظل ساهرة حتى أكون أول من يفتح له الباب، وأكحل عيني برؤياه، ولا أدعه ينتظر طويلاً في الخارج.

وعندما يغلبني النوم، أهبُّ مذعورة، كيف غفلت عيناي دون مشاهدته يدخل من الباب؟! وتمر الأيام وتتحول إلى أسابيع وأشهر، ويمر الشتاء ويأتي الربيع، ويمر الربيع ويأتي الخريف، ثم الصيف، وأنا أنتظر، سوف يعود، أعرف بأنه موجود في مكان ما، أحسّ به وبوجوده وبالضيق الذي يعاني منه ويقيم فيه، بُنيّ، سوف يأتي الفرج، بعد هذه الشدة، فرجه قريب، قريب، لا تقنط من رحمة الله.

أنا في انتظارك، أولادك كلهم يترقبون عودتك، يسألون عنك، اطمئن عليهم، فهم في عيني يا حبة عيني، هم قطعة منك، أشاهدك في وجوههم كل يوم، وحشتني وحشتني، وحـ..شـ..تـ..نـ..ي..

الدموع جفت في محاجري، متى ستعود أيها الغائب الحاضر في كياني؟! لا، لا، إنني أقول لهم غداً ستعود، ويأتي الغد، يمر كالأمس، وأنا لا أفقد الأمل في عودتك لنا، زوجتك في انتظارك، في شوق إلى لقياك، أصبحت يابسة، ضاوية، مشتتة الفكر حائرة، كان الله في عونها يا ولدي، نحن نعاني مثلما أنت تعاني!! تكاد أمّ أولادك أن تفقد الأمل في عودتك، تقول في يأس: طال الغياب يا خالتي!! أقول لها، فرجه قريب. إن معك عذرك في الغياب، عندما يفكون قيدوك ويطلقون سراحك، سوف تأتي، ستأتي كالريح، كالطير، محلقاً، سريعاً، وتحط أمام البيت، فاليوم عيد، وفي كل الأعياد التي مرت علينا، افتقدناك فيها، واشتقنا إلى رؤياك، إلى مجلسك، وجودك بيننا، ابتسامتك التي غابت عنا منذ سنوات.

منذ سنوات مضت، أتذكر هذا اليوم، هذا الصباح، لن يغيب عن بالي، عندما حملت السلاح ودافعت عن البيت والعرض والأولاد، دافعت عن الكرامة، حتى احتاطوا بك عندما نفدت ذخيرتك، وانهالوا عليك ضرباً في أعقاب بنادقهم، منعوني من الدفاع عنك، منعوني من أن أرتمي عليك لأحميك بجسدي، حرموني من تلقي الضربات بدلاً منك، أضاعوا عليَّ أعزّ فرصة في حياتي، يا فلذة كبدي وقرة عيني، جرجروك، نزفت دماؤك الغالية أمام مدخل البيت، وأنا أصرخ وأولادك يبكون وزوجك المسكينة تصيح وتهتف عليك، وأنت، أنت غائب عن الوعي!!

مازال هذا المشهد ماثلاً أمام عيني، لا يفارقني لحظة واحدة، لن يمحى إلا بعودتك، لتعود لنا الحياة، والأمل والحلم.

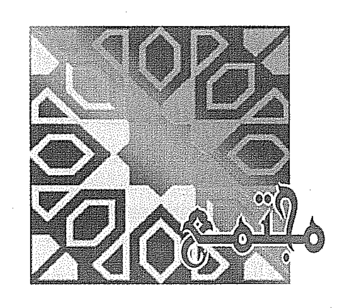
منعونا من الخروج من البيت، حملوك في شاحنة ضخمة مع من حُملوا من رفاق السلاح، وانطلقوا بعيداً، وغاب كل شيء عن الأنظار، الشاحنة، والغادرون، والرجال، والغبار، الحلم، الألم... وأنت يا ولدي.

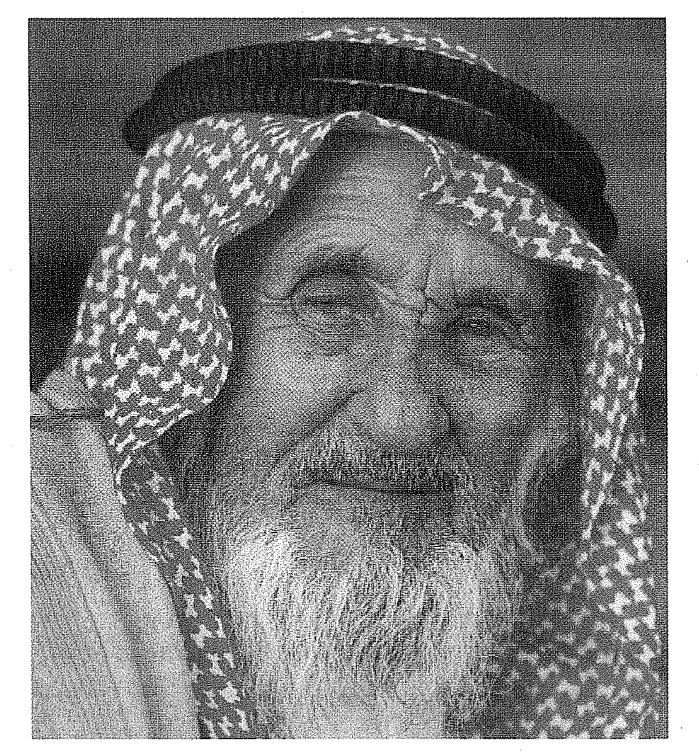
منذ ذلك اليوم المشؤوم ونحن ننتظر، وها نحن ننتظر عودتك بفارغ الصبر، لم نيأس، لم تهزمنا الأيام الصعبة القاسية التي مرت علينا، بلا رجعة، أيام الترقب والحيرة والانتظار، لم يتوقف السؤال عنك في كل مكان، عن أخبارك ومصيرك، لم نصمت، لن نسكت، طرقنا كل الأبواب الموجودة، ودلفنا في كل الطرقات والسبل المفتوحة، ومازلنا نسأل عنك، عن أخبارك، عن كلمة نسمعها تبل الريق الجاف وتوقف الحيرة وتسكن القلب القلق، نود أن نعرف بأنك حي موجود، ولست مفقوداً، لقد حملوك أمام عيني، التي سيأكلهما الدود، حملوك يا روحي وانتزعوك، انتزعوك من بدني، مثل لحظات المخاض القاسية، يا أغلى جزء فيه، يا حبة القلب، أرادوا وأد الحلم الذي أعيش عليه!! أرادوا قتل الحلم الباقي لنا، بأن نستسلم بالأمر الواقع، نقرّ بأنك قد انتهيت، تلاشيت كالدخان في الهواء، لا.. فأنت الجذوة، الجمرة المتقدة في الأعماق، في قلوب الأمهات، يا عذاب الأمهات!! كل الأمهات الثكالى اللائي بذلن العرق والجهد والدم في سبيل تراب الوطن، ولن تتوانى أو تتوقف أو تضعف حتى لا يضيع الحلم ويندثر. أنا أم، وأنت ابن، وصاحب بيت ولك زوجة وفيّة، مازالت مقيمة على العهد، ترعى أولادك وتنتظر قدومك.

الباب، هيه... أحس بطرقات هينة، رتيبة، ليست غريبة على مسامعي، لابد أنه قد عاد، ولدي، افتحوا المزلاج، أين الأحفاد، هيا افتحوا النوافذ والأبواب كلها، ها قد عاد... ولدي، نور عيني، فلذة كبدي، لست أحلم في وضح النهار، إنها حقيقة تعيش بداخلي، ها قد عاد، قلت لكم سيعود، قلب الأم دليلها، أسرع أيها الولد حتى لا يمل أبوك من الانتظار، ماذا؟! ماذا وجدت في الخارج؟! لا يوجد شيء!! كيف... سمعت طرقاته المعهودة، وقع خطواته وهو يرتقي الدرج ويقترب من الباب، رائحة أنفاسه هبت مع رائحة زهور الحديقة التي زرعها بيديه، لم تجده... كانت الريح يا جدتي هي التي تهز فروع الأشجار فتصطك بالأبواب والنوافذ.

هيه... لقد تأخرت كثيراً يا ولدي... ولكننا لن نمل من الانتظار، لن نفقد الحلم الذي نعيش فيه، حتى لا نفقدك إلى الأبد، فأنت مازلت تسري في دمي، في عروقي وشراييني، وأنا مازلت أصرخ، وسأصرخ بأعلى صوتي، ولن أتوقف، حتى يسمع العالم صرختي، صرخة أمّ فقدت ولدها، تقول لكم:

- «لا تنسوا ولدي... فقد طال انتظاره!!». ■





تزخر الحضارة الإسلامية بالكثير من الأحكام الشرعية التي كفلت رعاية المسنين، وضمنت حقوقهم، وبالغت في تكريمهم، انطلاقاً من مبدأ تكريم الإنسان من حيث هو إنسان، سواء طفلاً كان أو مراهقاً، أو شاباً أو كهلاً أو شيخاً هرماً، وذكراً كان أو أنثى.

رعاية المسنين في الإسلام

بقلم : محمد عودة السلمان

وإذا كان علماء الاجتماع الغربيين قد عالجوا مشكلات الشيخوخة في المجتمعات المعاصرة، ومنهم العالم الأمريكي «ليون سيمونز» الذي لم يكتف كغيره من الكتاب الاجتماعيين بتصوير الزوايا السلبية في حياة الشيوخ، تحليلاً لعجزهم عن مواجهة أمور الحياة، بل دعا إلى إحصاء الإمكانات المتاحة للشيخوخة، ونادى بالكف عن تسميتها «لعنة» تصبها الأقدار على الذين طعنوا في السن، وأكد أن في وسع المجتمع العصري أن ينمي قدرات الشيوخ، ويفيد من طاقاتهم الكامنة إذا سلم الجميع بأن الشيخوخة مرحلة طبيعية وعادية من مراحل العمر الإنساني يمر بها عدد كبير من الخلق.

وهناك مع ذلك فارق أساسي بين نظرة «سيمونز» وأشباهه إلى الشيخوخة ونظرة الإسلام إليها، فمجتمع الاستهلاك المعاصر بكل ما يصطرع فيه من روحية الإنتاج، هو الذي يغري الباحثين اليوم بالتصدي لانتقاء أفضل الأساليب لمعالجة مشكلات الشيخوخة، بينما أحاط الإسلام مرحلة الشيخوخة بما تستحقه من رعاية وعناية، غير واقع تحت ضغط الظروف القاهرة التي بات المسنون خلالها كماً مهملاً ونسياً منسياً.

إن القلق على المسنين الذين يزداد عددهم في مجتمعنا المعاصر بشكل ملحوظ، ربما ضاعف عدد الدراسات التي تتناول قضاياهم نظرياً، لكنه لم يخلص الباحثون حتى الآن من عقدة الشعور بالتناقض بين النظرية والتطبيق، ولم يكن سبباً كافياً للتحول من عمق الدراسة إلى مفهوم الرعاية الحقيقية.

وفي هذه الدراسات، يتبين بجلاء مفهوم «العائلة الممتدة» الذي كان النمط السائد في معظم العائلات الغربية قبل الثورة الصناعية ومقارنة أوضاع الشيوخ ومشكلاتهم في المجتمعات الغربية بعد تلك الثورة، ففكرة الانتماء إلى العائلة قبل الثورة الصناعية كانت تكفل يومئذ للفرد، وللشيخ بوجه خاص، كل أسباب الأمن والطمأنينة في مجتمع متكافل، وخلية اجتماعية صالحة تفيض بعواطف المحبة والرحمة وتوقير الطاعنين في السن ببساطة تامة خالية من التعقيد.

وفكرة الانتماء العائلي لم تنحصر في نطاق التوقير والإكبار للمسنين، بل فسحت المجال أمامهم للقيام بوظيفة اجتماعية جليلة في نصح البالغين، وإرشاد أفراد العائلة جميعاً في الأزمات والملمات، في ضوء ما عاناه الشيوخ وعالجوه من المعضلات والمشكلات.

إن هذا الانتماء العائلي، الذي اتخذ في كثير من المجتمعات البدائية شكل الضمان الاجتماعي، واعترف للشيوخ بكيانهم الذاتي الخاص، كان معروفاً في التقاليد والأعراف الجاهلية، وقد أقر الإسلام بعض صوره وأصلح بعض أوضاعه، ولكنه لم يجده كافياً لرعاية المسنين وضمان حقوقهم، ومن هنا كان الإسلام بتشريعاته

الإيجابية أول نظام اجتماعي عادل نسّق بين معاني الرعاية العاطفية ومظاهر العدالة الاجتماعية الحقيقية في تكريم الشيوخ وتحديد حقوقهم وواجباتهم، وتمكينهم من تأدية وظيفتهم وممارسة نشاطهم في جميع الميادين على أكمل وجه.

وعلى هذا الأساس، أقام الإسلام رعايته التكريمية الإيجابية للشيوخ المعمّرين، ولم يأذن لأحد مهما يتوهم في نفسه العجز بالتقاعد عن العمل والكد والعناء بما يناسب عمره من التحرك والنشاط.

وذلك يعني أن رعاية المسنين في الإسلام لم تتخذ شكلها العاطفي السلبي المعروف في المجتمعات الريفية والتقليدية والبسيطة عموماً، والقائمة على أساس «عفوي» بسيط خال من التنظيم، والتي عجزت عن إبراز مكانة الشيوخ وتحديد طبيعتها الفعلية الحقيقية، بل ارتكزت هذه الرعاية في الإسلام على مواقف إيجابية وأحكام قانونية، واستبدلت مفهوم التوقير الإكبار بمفهوم العطف والإشفاق على الشيوخ المعمرين، يدل على ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ليس منَّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا».

ومن توقير الشيوخ بهذا المعنى الإيجابي أن يتعلم الذين دونهم في السن من الغلمان والشبان، بل من الكهول أيضاً، كيف يخاطبونهم، وكيف يتجنبون خدش مشاعرهم، ولو بالكلمة العابرة، ولا سيما إذا كانوا من الآباء والأمهات، أو الأجداد والجدات، وإلى هذا دعت وصية البر بالوالدين والإحسان إليهما في سورة الإسراء: (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

ومن توقير الشيوخ أن يفضلوا على كل من دونهم سناً، حتى على النفس والأهل والعيال، في الخدمة والطعام والشراب واللباس، لكيلا يشعروا بعقدة النقص في المجتمع الذي يعيشون فيه، وحول هذا المعنى النبيل دارت قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، وإذا أول الثلاثة يقول: «اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق عليهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما...».

كل هذا من توقير الشيوخ، ولكن أعلى درجات توقيرهم وأسماها تتجسد في تخفيف وطأة الشيخوخة عليهم، وإشعارهم بأنهم ليسوا عبئاً ثقيلاً على المجتمع، وأنهم على العكس من ذلك قيمة أساسية كبيرة فيه لابد من صونها والاسترشاد بها، وأنهم بخبرتهم الطويلة في شؤون الحياة قادرون على الدخول طرفاً مهماً في شبكة العلاقات الاجتماعية، وإن الذين قدموا منهم في شبابهم أعمالاً جليلة يباهون بها ما انفكوا قادرين على إيجاد بديل جديد يعوضهم عما سلف، وإنهم ليسوا مضطرين حتماً إلى الانكفاء على أنفسهم والاستسلام إلى وحشة العزلة، وأنهم في نهاية المطاف يستطيعون أن يمسكوا بزمام المبادرة في اتخاذ القرارات الملائمة لها، ورسم الخطوط العريضة لأسلوب حياتهم، وذلك ما صنعه الإسلام لهم تحقيقاً لاستقلالهم، وضماناً لحريتهم في التحرك وفقاً لطبيعة الظروف التي تحيط بهم.

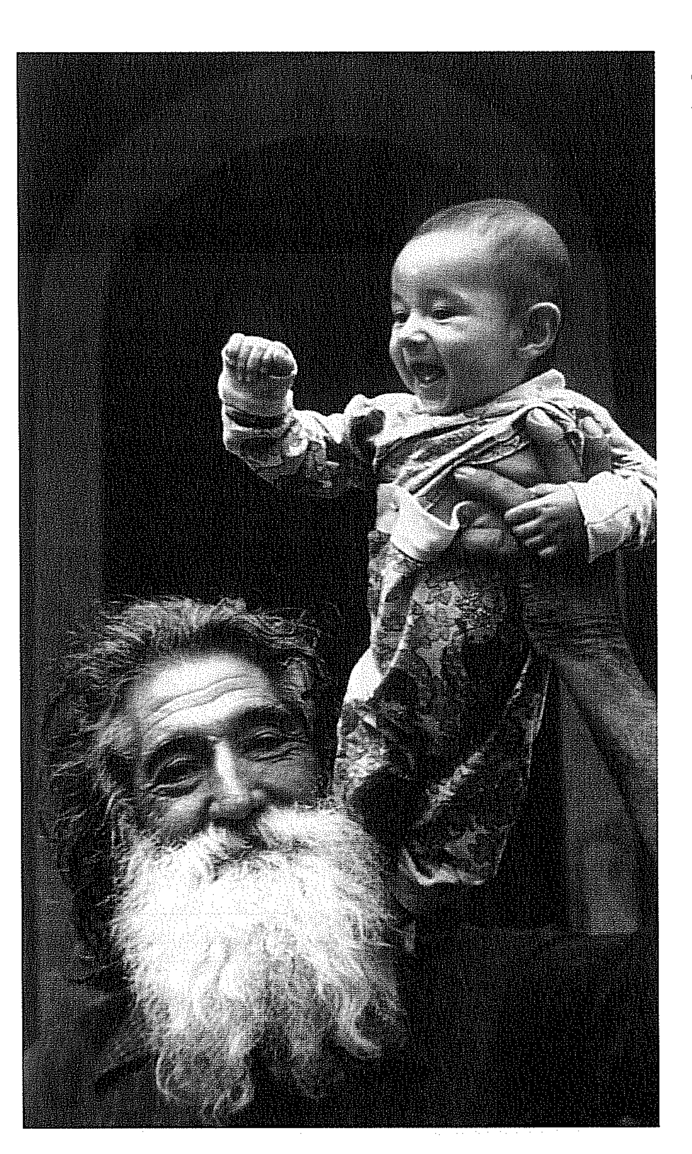
والشيوخ قادرون بلا ريب على طلب العلم ومواصلة التفكير بالمقدار الذي يُتاح لهم، إذا لم يكونوا مرضى أو زمنى، ولأمثالهم وجهت هذه العبارة المأثورة: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، ومن العجيب أن أكثر فقهائنا وأئمتنا استلهموا من مثل هذه الحكمة مزيداً من الحماسة، والاندفاع إلى الإنتاج الفكري عندما تم لهم النضج واستحكمت ملكاتهم العلمية والفنية التي اكتسبوها أيام الفتوة والشباب، ويؤكد بعض الباحثين أن تسمية العلماء بالشيوخ والأشياخ إنما صدرت عن هذا المعيار، على وجه المحاكاة والتشبيه، وهم قادرون على القيادة الدينية، بل هم عليها أقدر من الشبان والكهول لأن هذه القيادة تستدعي مهابة تتاح لطبقتهم أكثر مما تتاح لطبقة الشباب، ولعل هذا هو السر في تقديم الشيخ على الفتى في إمامة الناس بالصلاة، مثلما يقدم العالم على الجاهل، والمقيم على المسافر، وحسن الوجه على القبيح الدميم.

إن إشعار الشيوخ بقدرتهم على التحرك، وعلى التخرج من الإثم والمعصية، وعلى تحمل نوع من التبعات ينسجم مع طبيعتهم، لهو منهج إسلامي متفرد أصيل في التعامل مع هذا النموذج من الناس الذين لا يجوز أن يفضل عليهم الأطفال والمراهقون، إن كان السبب الظاهري ضعفهم أو استضعافهم، ومهما يكن من شيء، فإن حال الضعف أو الاستضعاف، وما يترتب عليها من تخفيف التبعات، ليس هو المعيار الطبيعي السوي، ما دام اللجوء إليه لا يقع إلا في الظروف الاستثنائية أو التخفيفية، ولقد آثرت الشريعة الإسلامية فيما عدا ذلك أن تحمل الشيخ تبعة أعماله وتصرفاته، بل ربما حملته من الشعور بالمسؤولية أكثر مما يطيقه الولدان والشبان، حتى قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».

ومن جهة أخرى، نجد من الزاوية الدينية الخالصة، أن الشريعة أسقطت بعض التكاليف والفرائض عن الشيوخ إذا بلغوا حداً من العجز لا يمكنهم من أدائها، فقد أعفي العجزة ولا سيما إذا كانوا مرضى من صيام رمضان، وخففت عنهم الصلاة قياماً، إذ يؤدونها قاعدين أو متكئين أو مضطجعين على النحو الذي يتيسر لهم، وأذن لهم في الحج بالطواف والسعي على محفة لا سيراً على الأقدام، وكما أعفي الأعمى والأعرج من الجهاد، أعفي منه الشيوخ، وإذا نسي الشيخ أو غفل فأكل في نهار رمضان، ما كان لنا أن ننبهه لأنه ـ كما قال الفقهاء ـ في ضيافة الرحمن.

ومرة أخرى نؤكد أن إسقاط بعض التكاليف عن الشيخ أو التسامح معه في بعض الظروف الاستثنائية، لا يسجل عليه الضعف الذاتي المستقر في داخله، بقدر ما يقرر ناموساً طبيعياً وسنة اجتماعية، يشارك فيها كل شيء تناقص وتراجع حين بلغ تمامه

وتكامل، كما تصرح الآية من سورة يس: (ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون) يس: ٦٨، فإذا قال المفسرون هنا: «إن الشيخوخة نكسة إلى الطفولة من غير ملاحة ولا طرافة ولا إبداع، فإنهم لا يقصدون الغض من قيمة الشيخوخة، بل يومئون إيماء من حيث لا يشعرون إلى أن الشيخوخة بحد ذاتها قيمة أساسية في المجتمع، وهي قيمة تزداد ثقلاً حتى تصبح بذاتها رمزاً للحكمة والوقار، لكن انتكاس الشيخوخة، رمز الكمال المتقلص، يستدعي بهذا المعنى الرعاية والحماية، شرط أن تتما داخل الأسرة وفي نطاق المجتمع، وفي أجهزة الدولة، دون إذلال لكرامة الشيوخ ولا تقليل من أهمية شخصيتهم الفريدة.



إن صفة الشيخوخة وحدها في الأسرة تكسب صاحبها حقوقاً ليست الحماية أقلها، وليست النفقة أكثرها، ولكن أسماها على الإطلاق هو حق التكريم لمن هو به جدير، وفي الحديث، اقتران الإجلال لله تعالى بإكرام ذي الشيبة المسلم، كما في كتاب البر من سنن الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم»، وشبيه بذلك ما ورد في سنن أبي داود مرفوعاً: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله من يكرّمه عند سنه».

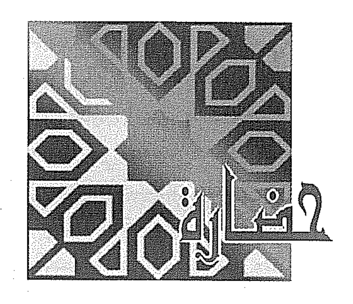
وذلك هو المظهر الخارجي لتكريم الشيخ ذي الشيبة، أما مفهوم التكريم الداخلي العميق له فتبرزه على أكمل والوجوه أحكام النفقة المفصلة أدق التفصيل في كتب الحديث والفقه والتفسير، ويلاحظ أن أحكام الفقه الإسلامي أوسع في باب النفقة والإنفاق منها في سائر الأبواب، وقد تقرر فيه بوضوح أن القرابة التي تستحق بها النفقة هي قرابة الوالدين وإن علوا، فيجب على الولد نفقة أبيه وأمه وجده وجدته، من أي جهة كانوا، مصداقاً لقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) العنكبوت: ٨، ومقتضى الإحسان إليهما تأمين نفقاتهما ودفع الحاجة والفقر والمرض عنهما، وإن كانا قادرين على العمل، لأن إرغامهما على العمل ينافي الإحسان المطلوب منه إليهما، ولا شيء يمنع أن يكون أبواه كافرين أو يؤمنان بدين آخر، فقد وصاه الله بهما في جميع أحوالهما، وأمره عند اختلاف الدين أن يواسيهما ويقوم بحاجاتهما ويصاحبهما في الدنيا معروفاً، قال تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) لقمان ـ ١٥.

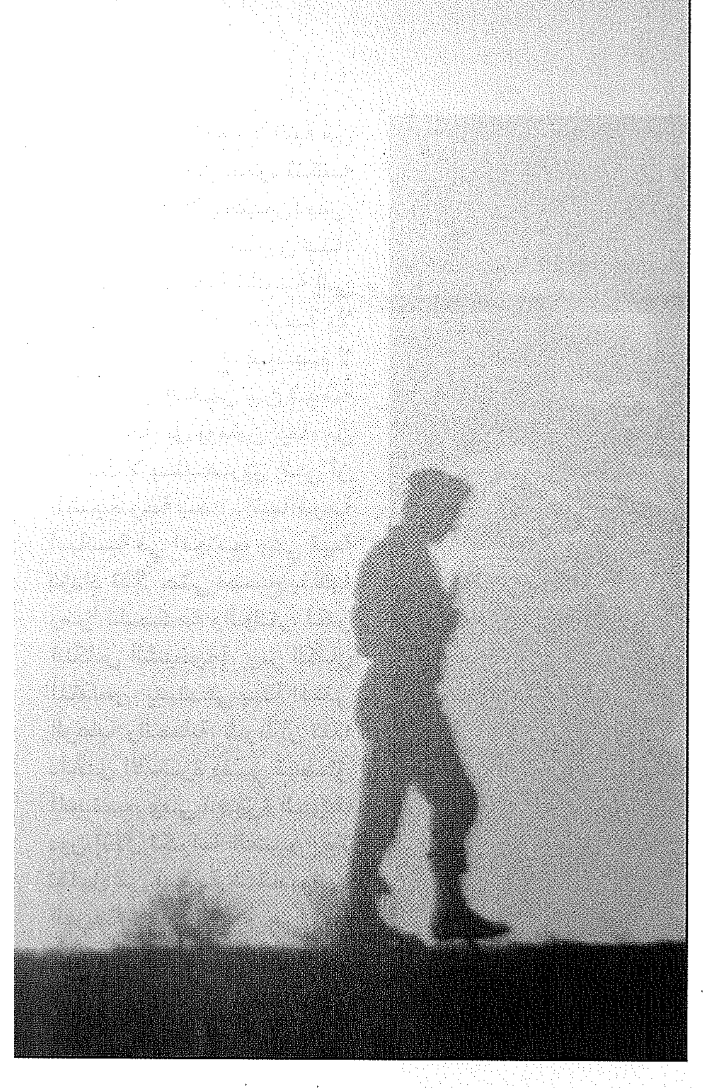
ونفقات التكافل الاجتماعي مؤمنة للشيخ العاجز، ضمن مصارف الزكاة الثمانية، حتى لكأن كل مصرف منها يشمله، بل يتجه بشكل خاص إليه، ولا سيما في الاثنين الأولين فيها، وهما سهم الفقراء وسهم المساكين، وإذا لم تكف الزكاة حاجات التكافل الاجتماعي، ولم يكن في بيت المال ما يسد تلك الحاجات، ولا سيما للمستضعفين وكبار السن، فرض النظام الإسلامي، على كل أهل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويكفوهم الضروري من حاجاتهم الغذائية والمعيشية، كما يقول ابن حزم الأندلسي.

وعندما نضيف إلى هذا كله ما عرفه المجتمع الإسلامي من صور الوقف وأشكاله، وما تضمنه من معونة للعميان والمقعدين، وإيواء لليتامى واللقطاء، وتطبيب للحيوان العاجز المريض «كما في وقف المرج الأخضر بدمشق»، ندرك أمرين:

أحدهما أن حماية المستضعفين وكبار السن من البشر لن تكون فيه أقل شأناً من العناية بالقطط والهرر!

وأما الأمر الآخر، فهو أن الإسلام تسامى بمدلول العدالة العام، ومدلول الرعاية الخاصة بالشيوخ المتقدمين في السن، عن أن تكون مقتصرة على الجانب المادي البحت، أو تكون مجرد أحكام وقوانين تشريعية، فمن أعماق الضمير الإنساني يحاول الإسلام إصلاح ما أفسده الإنسان لأخيه الإنسان، عن طريق التنسيق بين مراحل العمر الإنساني وطبقاته، وبين جيلي الشباب والشيوخ بوجه خاص، ليظل معيار التفاضل بين الجميع قائماً على الإنتاج والبر والعمل الصالح. ■





من الرعب من القنبلة الباكستانية إلى التهويل من خطر الصاروخ الإيراني الجديد، تُثار من جديد مسألة الحوار/ الصراع بين الإسلام والغرب، وبينما يتقاسم الفكر الإسلامي تياران أحدهما ينتمي إلى العصور الوسطى، ويرى في نظره أن العالم دار حرب، ويتشبث بنظرية المؤامرة، ويعتبر الحروب الصليبية مستمرة حتى إشعار آخر، وتحت أسماء شتى، والثاني هو الأكثر حضارة وثقة، حيث يرى أن الإنسانية تشكل أفقاً مشتركاً واحداً للجميع، وأن الحوار الحضاري بين المركز والأطراف بإمكانه أن يبدد الهواجس ويمتص الشكوك ويمد جسوراً للتعاون.

بقلم : د. محسن خضر

الإسلام والحضارة الغربية :

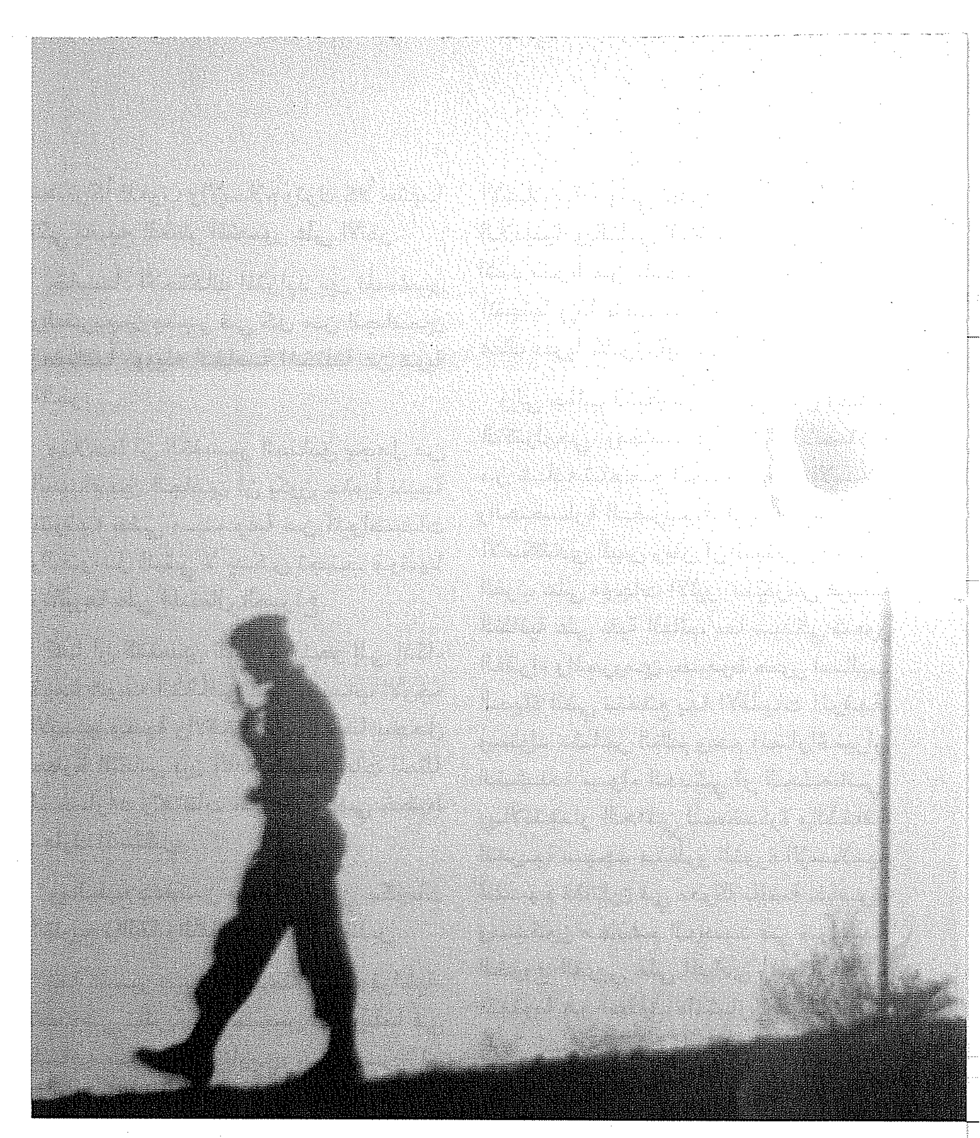
وعلى الضفة الأخرى، تنتشر في الشمال حمى استعداء الإسلام، ويشترك فوكوياما وهينتنغتون وبرنارد لويس في ترويج مقولة الصدام الحتمي بين الحضارتين العربية والإسلامية، وهو ما دفع سكرتير حلف الأطلسي السابق كلايس إلى مطالبة المخططين العسكريين للحلف للتأهب لصراع محتمل ومتوقع بين الشمال والجنوب «هل نرى في رحلات كلينتون وشيراك إلى أفريقيا تحضيراً لمسرح المواجهة المقبلة؟»

وتمثل العولمة، روح فلسفة ما بعد الحداثة، في سعيها الدؤوب لإقصاء الأرقام غير الغربية من معادلة الحضارة، وبالتالي تجد شعوب العالم الثالث أمام خيارين: إما خيار «المكانونلدة أو الكوكلة»، أي خيار التبعية والتهميش والخروج من التاريخ، أو خيار المواجهة والصراع، وكلاهما مر.

وإذا كنا من أنصار الحوار، فمن المهم أن نتخلى عن موقف خاطئ هو موقف الاستحواذ على الطرف الآخر، وإرغامه على التخلي عن موقعه، والانصياع إلى وجهة نظرنا، لأننا نشكو من سعي الغرب إلى جرنا إلى هذا الموقف، وبالتالي ليس من المنطقي أن نكرر الازدواجية.

ومن أخطر ما يجهض نجاح الحوار الثقافي ـ الحضاري بين الغرب والشرق الإسلامي، التشويه الذي يتعرض له الإسلام في الغرب، وهو موقف له جذوره التاريخية من ـ وقبل ـ أن وضع دانتي الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قاع جهنم في «الكوميديا الإلهية»، وقرنه تراث العصور الوسطى بصورة الشيطان ونعته بالدجال، والشهواني، وكلب الجحيم، وتلاحظ آنا ماري شيميل أن شخصية محمد «أثارت أكثر من أي شخصية تاريخية أخرى الخوف والكراهية والاحتقار في العالم المسيحي، ويعبر دانتي ـ في موقعه السابق ـ عن مشاعر عدد لا يحصى من مسيحيي العصور الوسطى».

إن كتباً من عينة «التحدي الإسلامي» لكونزيلمان (١٩٨١م)، «الملأ على ضفاف



بديـــل أو منافـــس؟

الراين. الزحف الإسلامي نحو أوروبا» (١٩٩٤م) تمثل هذه الروح الغربية العدوانية.

ومنذ الثورة الإيرانية اقترنت صفة الإرهاب بالإسلام، بحيث يعتبر كل مسلم متعصباً أو إرهابياً، وتعبر مجلة مثل Bunlo الألمانية عن هذا المناخ حيث تتساءل (عدد ١٩/١/١٩٩٥م) من المجلة المذكورة عما إذا كان مركز التهديد قد انتقل من موسكو إلى مكة.

ويلاحظ مراد هوفمان - المستشرق والدبلوماسي الألماني المسلم - أن الغرب بعد صمود الإسلام ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، خروجاً عن سياق الزمان والتاريخ، بل إنه يمثل إهانة بالغة للغرب، وبخاصة بعد انهيار الغريم الشيوعي، وهو ما أصاب الغرب بمرض زهو انتصار ثقافي أمبريالي غربي.

وتنتقد الرؤية السابقة الفلسفة الحياتية للغرب، ونظاميه الاقتصادي والسياسي، وفرضياته العلمية، وتكنولوجياته، ومفهومه عن حق الشعوب، وغيرها من معطيات الفكر والحياة، بما يمثل نموذجاً إلزامياً لما يسمى بالعالم الثالث.

ويلاحظ أن رسول الإسلام، الذي يحظى باحترام مليار إنسان، لا يتمتع حتى الآن في الغرب بأي حماية قانونية في الوقت نفسه، الذي يتمتع به أتباع البوذية، ومذهب التكهنية الهندوسية، وعابدو الشيطان، واليهود بحماية قانونية، فكل شيء مسموح إلا أن تكون مسلماً.

ويلاحظ هوفمان أنه إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أعلنت في ختام المجلس المحلي الثاني بالفاتيكان العام ١٩٦٥م أنها تتخلى عن تفردها وحدها «بخلاص الأرواح من الذنوب، وأنها تعترف بالإسلام كطريق للخلاص»، إلا أنها لم تتقدم إلى الخطوة المنطقية التي تتبع هذا الاعتراف، وهي الاعتراف بمحمد كقائد لهذا الطريق ومرشد له، «وبالقرآن كوحي إلهي».

ويرى هوفمان أن الإسلام يجرؤ على طرح نفسه كبديل للحضارة الغربية، ويتساءل حول التحامل الألماني على الإسلام «إلى أين سيصل بنا المطاف، إذا ما كممت الأفواه في ألمانيا، لأنها تتحدث عن خصائص لا تتوافق مع أيديولوجية بعينها؟ ماذا سيحل بنا، إذا ما استباح الأساتذة، والعلماء الحق لأنفسهم في إملاء مشاعر بعينها على مليار من البشر (غير المرغوب فيهم)؟

يعترف صمويل هينتنغتون نفسه في كتابه «صدام الحضارات» بأن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت لكليهما تعني الآخر بالنسبة للآخر، وإن صراع القرن العشرين بين الديموقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية، وعبر القرون كانت خطوط العقيدتين تصعد وتهبط من نوبات انبعاث مهمة، فوقفات، وانتكاسات.

ويرصد دلالة الطبيعة العنيفة للعلاقات المتغيرة بين الإسلام والغرب في حقيقة أن ٥٠٪ من الحروب الثنائية بين عامي ١٨٢٠م و ١٩٢٩م كانت حروباً بين مسلمين ومسيحيين، ويفسر هينتنغتون طبيعة الصراع من خلال أوجه الاختلاف والتشابه بين الديانتين والحضارتين، فمن ناحية الاختلاف يأتي مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز ويربط بين

الدين والسياسة، ضد المفهوم المسيحي الغربي الذي يفصل بين مملكة الرب ومملكة قيصر، أما صدور الصراع عن أوجه التشابه فيأتي من أن كليهما دين توحيد يختلف عن الديانات التي تقول بتعدد الآلهة، وكلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية: «نحن» و«هم»، وكلاهما يدّعي أنه العقيدة الصحيحة الوحيدة التي يجب أن يتبعها الجميع، وكلاهما دين تبشيري يعتقد أن متبعيه عليهم التزام بهداية غير المؤمنين وتحويلهم إلى ذلك الإيمان الصحيح.

كما كان مستوى الصراع العنيف بين الإسلام والمسيحية عبر الزمان يتأثر دائماً بالنمو الديموغرافي وهبوطه، وكذلك بالتطورات الاقتصادية والتحول التكنولوجي وشدة الالتزام الديني ويمثل لعامل النمو الديموغرافي بأكبر عملية هجرة في التاريخ تدفقت على أراضي المسلمين منذ القرن التاسع عشر بسبب النمو السكاني الهائل الذي أدى إلى انفجار أوروبي يشبه الذي حدث إبان الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر.

وثمة إشارة برنارد لويس الذي لاحظ أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك وبالنسبة للقرن العشرين يحدد هينتنغتون مجموعة من العوامل زادت مع الصراع من الإسلام والغرب في أواخر القرن العشرين، وهي:

أولاً: النمو السكاني الإسلامي الكبير الذي خلف أعداداً كبيرة من الشبان العاطلين والساخطين الأصوليين الذين شكلوا ضغطاً على المجتمعات المجاورة وخصوصاً بهجرتهم إلى الغرب.

ثانياً: إن الصحوة الإسلامية أعطت للمسلمين ثقة متجددة في قدرة قيمهم مقارنة بقيم الغرب.

ثالثاً: جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي، والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي التي تولد استياء شديداً في صفوف المسلمين.

رابعاً: سقوط الشيوعية أزال عدواً مشتركاً للغرب والإسلام وترك كلاً منهما لكي يصبح الخطر المتصور على الآخر.

خامساً: الاحتكاك المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين إحساساً بهويته الخاصة المختلفة عن هوية الآخر.

ونلاحظ أن التفسير السابق يجعل من الصدام بين الجانبين أن يكون حتمياً نتيجة لترتبه على مجموعة من المواصفات والعوامل التي لا يمكن تجنب قوتها وتأثيرها على اشتغال الصراع.

كما أن التفسير السابق ينحو إلى إذكاء قيمة الوجه الثقافي على حساب الأوجه الأيديولوجية والاقتصادية، مما يجعل خطوط التماس بين الأمم والمجموعات الممثلة لحضارات وثقافات مختلفة - هي خطوط معارك المستقبل.

وبالطبع يتضمن ما هو ثقافي مكونات التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والدين.

ثمة تفسير سياسي مبعثه الديموقراطية، نجده في نظرية فرانسيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ، حيث يرى أن الديمقراطية الليبرالية حققت انتصارها النهائي على الشيوعية، وبالتالي أصبحت النظام السياسي السائد في شتى أنحاء العالم.

وبالطبع يرفض الأصوليون الإسلاميون هذه النظرة فالسيادة الحقيقية ليس مبعثها مبدأ سيادة الشعب الممثلة في الجمعيات التشريعية وعلى أساس مبدأ الإجماع الذي يفسره الممثلون المنتخبون، والقيم المستمدة من حركة التنوير الأوروبي، بل السيادة الحقيقية في الإسلام تقع بين يدي الله وحده حسب الشريعة الإسلامية، وهو ما يعبر عنه قول أبو الأعلى المودودي «إن مبدأ وحدة الله يبطل تماماً مفهوم السيادة القانونية والسياسية لبني الإنسان، فرادى أم جماعات، إن الله وحده هو المهيمن على شؤون العباد وشريعته «هو قانون الإسلام».

ويذهب إلى هذا الاتجاه منظّرون إسلاميون كثيرون يروون في قيم الحضارة الغربية «تسميماً غربياً للمجتمعات الإسلامية»، وفي نظرهم فإن العلمانية اللادينية وبالتالي اللاأخلاقية، هي شرور أشد سوءاً من المسيحية الغربية التي أنتجتها وإذا كانت ثمة «شيوعية كافرة» فإن هناك «غرباً كافراً» أيضاً.

وإلى جانب التناقض القيمي، فإن التطور التكنولوجي، وبخاصة في مجال الاتصالات من شأنه تأجيج الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية، فيرى المفكر الاسكتلندي أليس ريفن أن استمرار سيطرة الغرب على موجات الأثير، سيفرض هيمنته الثقافية على بقية العالم، مما سيذكي شعور الفقراء والمحرومين بضغوط صور أساليب الحياة التي تتمتع بها الأقليات المرفهة، وستولد مشاعر الظلم وعدم المساواة نيران التشدد، سواء الديني أو العلماني، وبالانتشار العالمي للحضارة والثقافة الغربية سيجد منظّرو الثورة الإسلامية أنفسهم مقاتلين في معركة يائسة خاسرة، وسيكون ملاذهم الوحيد في مواجهة الخروج الغربي على المبادئ وانهيار القيم المعنوية هو أسلوب «المشاركة»، وذلك عن طريق إضافة الرؤية المميزة للإسلام بعمقها الديني والتاريخي الغني، وإذا حدث الصدام بين الحضارات، فسيحدث في عالم الالكترونيات «المعلوماتية»، وليس بين الجيوش والكتل الإقليمية، إن الثقافي في الرؤية السابقة سيتضافر مع التقني وبخاصة في مجال المعلوماتية مما يعمق من الفجوة بين العالمين.

ويعيد هينتنغتون صياغة العلاقات بين الإسلام والغرب في فقرة محددة محكمة واضحة بقوله:

«المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية، بل الإسلام: فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته».

المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية الأميركية ولا وزارة الدفاع، المشكلة هي العرب، حضارة مختلفة شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفرقة إذا كانت متدهورة، فإنها تفرض عليه التزاماً بنشر هذه الثقافة في العالم.

وهذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب «إن الحوار، والتشارك، والمراجعة، والاعتراف بالخطأ تشكل في نظرنا مدخلاً لإعادة التوازن بين الحضارتين، وتمهد إلى إيجاد أرضية مناسبة للتلاقي: فالاعتراف بالأخطاء المتراكمة، ونقد الذات، وإبداء الرغبة الحقيقية في التفاعل المتكافئ والتداخل الحضاري المبني على أرضية من التسامح الرحب في مواجهة أنانية الغرب وصلفه التي يعبر عنها ادوارد سعيد في مؤلفه الرائع: «الإمبريالية والثقافة» بقوله: «لقد عززت الإمبريالية خليط الثقافات والهويات على مستوى كوني، غير أن أسوأ هباتها وأكثرها ضدية هي أنها حملت الناس على الاعتقاد بأنهم بيض، أو سود، أو غربيون، أو شرقيون، وكما أن البشر يصنعون تاريخهم الخاص، فإنهم يصنعون أيضاً ثقافاتهم وهوياتهم الأعراقية، ليس بوسع أحد أن ينكر الاستمرار الملحّ للتراثات العريقة، والمساكن المفرزة المتصلة، واللغات القومية، والجغرافيات الثقافية، لكن المضي في الإلحاح على تمايزها وانفصالها يولّد الخوف والتحين، إنه لأعظم نفعاً - وأكثر صعوبة أن نفكر بتعاطف وإحساس بالآخرين بدلاً من أن نفكر بـ«أنفسنا فقط»... بيد أن ذلك يعني أيضاً ألا نحاول أن نحكم الآخرين، ونصنفهم في تقسيمات، ويعني فوق كل شيء ألا نلح على تكرار أن «ثقافتنا» أو بلادنا هي الأولى، إن أمام المفكر قدراً كافياً مما هو قيم ليستغني به عن ذلك».

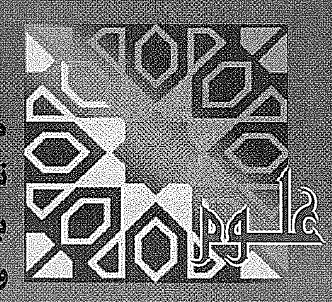
ويستشهد سعيد بعبارة أليوت: «إن الواقع لا يمكن أن يحرم من الأصداء التي تقطن الحديقة».

لا جدوى من المواجهة المحتدمة بين حضارتي الإسلام والغرب، وبخاصة في ظل النية الغربية على إقصاء الآخر، وتغييبه، وتشويهه، بل إن الحوار هو البديل الحقيقي الذي يحقق مصلحة الطرفين، ولا نجاح لهذا الحوار في غياب الشروط المهيأة له وفي مقدمها اعتراف الغرب بالإسلام كهوية متميزة، واحترامه، واحترام أتباعه، وحقهم في الوجود، وهو ما يمكن أن توفره الرؤية المنصفة للآخر، كما نستبعد بدورنا خطأ تكتيل الغرب بوضعه في سلة واحدة، معادية كافرة بالضرورة، ويعبر مفكر إسلامي بارز هو أحمد كمال أبو المجد عن هذا المعنى بقوله: «إن التسامح الحقيقي من الضروري أن يتوافر سلفاً لتحقيق تعددية ذات مغزى، إذاً كوننا نؤمن بإله واحد وبكرامة إنسانية وبالتعددية، فهذه في اعتقادي عناصر مشتركة كافية لتبرير بذل جهود مشتركة لعبور الهوة التاريخية بين العالمين.

إن العالمية الحقيقية - لا المزيفة - تعني وجود أقوام متعددين يحتفظون بالاختلافات بينهم مع سعيهم في الوقت نفسه لإثراء جهودهم المشتركة من خلال العناصر المتضمنة في هذه الاختلافات».

إن كل ما يطلبه المسلمون هو أن تتاح لهم الفرصة لكي يقدموا - بكل تواضع - ما تحتويه ثقافتهم ويمكن أن يفيد إقامة نظام المراكز سلاماً وتقدماً وإنسانية.

ولعلي أستعير عنوان التقرير الأخير لليونسكو - في نهاية هذه المداخلة -: «تنوعنا الخلاّق»، نعم، فالإيمان - واحترام - هذا التنوع بين الكتل الثقافية المختلفة، واحترام هذه التعددية الثقافية، هو الشرط الحقيقي لإقامة حوار ناجح بين الكتلة الإسلامية والحضارة الغربية، ولا غنى عنه أبداً بدلاً من حتمية المواجهة الثقافية التي بشّر بها هينتنغتون وأترابه. ■



الجبل Mont ou Mortagne ... إنه أنموذج طبوغرافي عظيم البنية، شكل طبيعي من تشكيلات الأرض ... تضريس أرضي هو الأكثر ارتفاعاً عن سائر تضاريس الطبيعة ... نظمه الحق تبارك وتعالى، وأقامه ميزاناً في الأرض بعد أن دحاها، يقول جل شأنه : (والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها) النازعات: ٣٠ - ٣٢، وقوله تعالى : (والجبال أوتادا) النبأ:٧، إنه كيان جيولوجي منصوب في وجه المكذبين بوجود الموجود الأعلى الذي أوجده بقدرته، يقول رب العالمين في محكم آياته مخاطباً كل ذي عقل : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية: ١٧ - ٢٠.

والهدف من هذه الدراسة الوقوف على آخر فرضيات علماء الطبيعة، وأحدث مكتشفاتهم المادية حول الجبال ... تلك الظواهر الطبيعية الفذة الدالة على قدرة من أبدعها - سبحانه وتعالى - وكان للقرآن العظيم قصص فيها... فما بين دلالات قدرة الخالق في خلقه الجبل... في ضوء البحوث المستجدة ... وما ورد في الأثر الإلهي الموثوق ... نعرض السطور التالية... ليدرك العقلاء من أهل المادة أن فوق كل ذي علم عليم.

بقلم : د. رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

الجبال
بين علم التكتونية والشريعة الإسلامية



الجبال ونظريات علم التكتونية

علم التكتونية Tectonique «بنيوية الأديم» وهو فرع من علم طبيعة الأرض، يبحث في بنية القشرة الأرضية، وما ينشأ فيها من تغيرات بفعل القوى الباطنة، ويعرف علم طبيعة الأرض: بـ Geophysique ... والجبال عموماً تدرس في كنف التخصصات العلمية المنبثقة عن هذا العلم، كما في علم الجيومورفولوجيا Géomorphologie، ويتناول بحوث شكل الأرض وتطوره، وعلم الجيولوجيا Géologie المختص بدراسة طبقات الأرض وعلم الجيوديزية في مساحة الأرض Géodésie ... ويستعين علماء التكتونيات في معارفهم بنتائج علم «الأراضة الدينامية» Géodynamique - بصفة أساسية - ويدرس هذا العلم تبدل القشرة الأرضية بتأثر العوامل الداخلية والخارجية ... وبصفة ثانوية يعتمد عالم التكتونية على نتائج بحوث علمي الجغرافيا Géogrpahie والطبوغرافيا...

إن التكتونيين شأنهم شأن علماء الطبيعة ينشدون معرفة تاريخ الكرة الأرضية... ووسيلتهم في ذلك فرضياتهم العلمية التي تدور حول معرفة الطريقة التي تتفاعل فيها القوى التكتونية والانجرافية والمنافية لتشكل الجبال، ولأن الشريعة لا تصادر من علوم المادة سوى المتعارض مع أصولها وقواعدها، فإنه من العظة والاعتبار جذب القارئ إلى نتائج الفرضيات العلمية من زوايا الأهمية الجيولوجية والجغرافية المنظومة من نظم الخالق، وقدر لها كيانها الشرعي الفريد... كما سيجيء بإذن الله.

الثابت في أحدث التقارير العلمية(١) أن عملية تشكل الجبال تعتمد على قوى الهدم الانجرافية بقدر ما تعتمد على القوى التكتونية البنائية... يقول العلماء - طبقاً للأبحاث الحديثة - إن الجبال لم تتكون وتتخذ أشكالها فقط بموجب حركات الصفائح التكتونية الضخمة التي تشكل المظهر الطبيعي للأرض، وإنما يتم ذلك أيضاً بوساطة التغيرات المناخية وعمليات الانجراف... ومن هنا تقوم معيارية أشكال الجبال وارتفاعها... وذلك من شأنه تقديم المعلومات التاريخية لتشكل أو هدم السلاسل الجبلية.

وبسبب أهمية تشكل الجبال في تطور الكرة الأرضية، فإن نتائج هذه الأبحاث لها أهمية كبيرة في علوم الأرض، وبالنسبة إلى الجيولوجي، فإن سهول الكرة الأرضية ووديانها العميقة وبخاصة صورة جبالها، تكشف له عن النمط العام وسيرة تطور الكوكب خلال مئات الملايين من السنين، فعبر هذا التاريخ الطويل، تُعد الجبال دليلاً على أمكنة الأحداث التي انتابت القشرة الأرضية، أو بالأحرى تحت هذه القشرة تماماً، مثل أحداث تصادم الصفائح التكتونية التي دفعت هذه الطبقة السطحية نحو الأعلى، وهكذا فإن الجبال هي أفضل مظهر مرئي عن القوى التكتونية الضخمة الفاعلة وعن الفترات الزمنية الطويلة التي من خلالها قامت تلك القوى بمهامها.(٢)

لقد تشكلت الجبال على مدى تاريخ طويل ... هكذا يدرس شراح العلم التكتوني... وكانت الفرضية السابقة المفسرة لكيفية تطور الجبال عبر الزمن، قد أرساها العلماء العام ١٨٩٩، وتُسمى نظرية الدورة الجغرافية The Geolruphic Cycle ... فهناك دورة حياة افتراضية لسلاسل الجبال، بدءاً من نشأة عنيفة سببها نشاط رفع تكتوني قصير الأمد، ولكنه عنيف جداً، إلى تدهور تدريجي نحو «شيخوخة» سببها انجراف بطيء ولكنه مستمر.

ولقد كشفت التكنولوجيا المتقدمة «سواء في مجال هذا العلم أو

العلوم المتصلة بالطبيعة» عن قصور في الفرضية السابقة، فعدل العلماء إلى فرضية أخرى، ففي الستينات، فُسرت طريقة تشكل الجبال، بأن ذلك ناتج عن التحرك الأفقي لكتل ضخمة من الغلاف الصخري الذي لا يمثل الجزء الخارجي الصلب والبارد نسبياً من الكرة الأرضية، وبحسب هذا الإطار العريض، فإن طاقة الحرارة الداخلية تشكل سطح الكوكب نتيجة انضغاط وتسخين وتكسير الغلاف الصخري الذي تتراوح ثخانته ما بين ١٠٠ كيلو متر أو أقل تحت المحيطات، و ٢٠٠ كيلو متر، أو أكثر تحت القارات، ولا يكون الغلاف الصخري على شكل طبقة واحدة مستمرة، بل يكون - بالأحرى - مقسماً إلى عشرات من الصفائح، وهذه الصفائح، مدفوعة بالعمل الحراري الذي تحتها، وتتحرك بالنسبة إلى بعضها بعضاً مفسرة بذلك معظم ظواهر ومعالم سطح عالمنا المألوف مثل الزلازل وأحواض المحيطات والجبال.(٣)

والمستتر عليه علمياً الآن أن تكتونية الصفائح ليست هي الوحيدة كقوة مشكلة للجبال، بل يسهم بتأثير ليس أقل أهمية من عمليات الانجراف والمناخ ... إذن يسهم في تشكيل الجبال الصفائح التكتونية مضاف إلى ذلك الانجرافات الطبيعية وظروف المناخ... وترتبط هذه المركبات الثلاث فيما بينها بارتباطات وعمليات تغذية مرشدة Feedbacks معقدة ومتعددة.(٤)

يقول التكتونيون إن جبال الهيمالايا والأبالاش أكبر السلاسل الجبلية على الكرة الأرضة، قد تشكلتا معاً من تصادم قاري، وجبال الهيمالايا تمتد ٢٥٠٠٠ كيلو متر عبر شمال الهند وجنوب التيبت ملكة السلاسل الجبلية وأعلى جبالها قمة إفرست ٨٨٤٨ متراً، وتمثل جبال الهيمالايا مع هضبة التيبت الواقعة في شمال السلسلة وجنوب غرب الصين أكبر كتلة جبلية على الكرة الأرضية، ويفترض العلماء أن هذا النطاق الجبلي هو أعلى كتلة مرتفعة وصلتها الأرض عبر الألف مليون سنة الماضية، إن كل هذه الطبوغرافيا المثيرة والمتنوعة تطورت خلال الخمسين مليون سنة الماضية، نتيجة لتصادم بين الهند وصفائح آسيا التكتونية، كما أن تشكل جبال الهيمالايا وهضبة التيبت يوضح الكثير من مبادئ نظام تشكل الجبال الغني بالتغذية المرتدة... ويرى العلماء وحدة العمليات الجيولوجية التي شكلت جبال الأبالاش والهيمالايا، ولكن بفارق زمني قدره نحو ٢٥٠ مليون سنة... لقد أعطت السنون الكثيرة والطويلة إلى جبال الأبالاش «الأقدم» مظهراً أقل وعورة من جبال الهيمالايا «الأحداث»، والتي لاتزال ترتفع باستمرار بفعل قوى تكتونية شديدة. إن الجبال كظاهرة طبيعية تحير العلماء، وعموماً هم مستبشرون خيراً في كشف المزيد عن أسرارها لذلك نجدهم يلجؤون حالياً إلى عمليات المحاكاة الحاسوبية إنهم يحاولون تأريخ الجبال جيولوجيا ويرغبون في إدراك تفصيلات أكثر عن الطريقة التي أدت إلى ارتفاع سلاسل جبال الأرض الرائعة وتطورها وانحطاطها.

الجبال في العلوم الشرعية

في مقدم المصادر شرعاً فيما يزعمون فرضياتهم الرامية لتأريخ الجبال، ذلك أن بدايات تشكل الجبال تتصل اتصالاً تاريخياً بمنشأ الأرض في العلوم الغيبية التي لا علم لنا بنظرياتها سوى ما ينبئنا به الحق عز وجل في محكم آياته، فالأرض ... ذلك الكوكب الذي نسكن مسطحه... كان يسكنه الجن قبل ظهور الإنس... بشأن تلك الحقيقة الشرعية في العلوم الغيبية.. ذكر الطبري(٥): «أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن، فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة، حتى سمي حكماً وسماه الله به، وأوحى إليه اسمه، فعند ذلك دخله الكبر، فتعظم وتكبّر، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً، البأس والعداوة والبغضاء، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألفي سنة، حتى أن خيولهم تخوض في دمائهم، ذلك قوله تبارك وتعالى: (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) ق: ١٥، وقول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) البقرة: ٣٠، وعن جيولوجيا الجبال في علم الأرض الغيبي الذي أرّخ فجره المتكبر سبحانه، كانت الجبال قائمة منصوبة، أوتاداً ظاهرة للعيان، تسهم الطبيعة الأرضية في تشكيلها على طول الزمان، شأنها شأن جنس الموجودات على شاكلتها مرتفعة أو منخفضة قريبة من البحار والمحيطات أو بعيد...» روى ابن كثير(٦) عن غيره «كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فبعث الله جنداً من الملائكة فضربوهم حتى ألقوا بجزائر البحور، وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) يقول ساكناً وعامراً يعمرها ويسكنها خلقاً ليس منكم، وقال ابن عباس إن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضاً، قال فبعث الله إليهم إبليس فقتلهم ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه إياها».

إذاً الجبال شهدت حقبتين تاريخيتين منفصلتين، حقبة تبدأ منذ خلق الأرض وحتى نزول الإنسان إليها، وحقبة تبدأ منذ نزول الإنسان وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها... والحقبة الأولى زمنها زمن غيبي علمها عند الله فيها الجبال شاهدة على ما يجريه السكان الأوائل وما يفعلونه والحروب الضروس بينهم وتدخل إبليس على نحو ما سلف ذكره... فإن استطاع التكتونيون والجولوجيون - جدلاً - أن يحددوا تاريخ جيولوجيا الجبال، فإنهم - طبقاً للمنطق العقلاني الصرف - لن يستطيعون التأريخ سوى منذ الوجود الآدمي، وهي المرحلة التاريخية الثانية، أما المرحلة التاريخية الأولى فهي ضرب من ضروب المعرفة يحكمه ناموس علوم الغيب، والجبال موجودات عُظمى وأثر مادي بدأ مع بداية تاريخ ما قبل البشر... بل إنها - أي الجبال - هي التي استقبلت البشر الأول... وفي أكثر من قصص مشوق في روايات الطبري(٧) قال الحسن بن يحيى: «أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض، وكان مهبطه بأرض الهند، وهو قول عمرو بن علي نفسه المنسوب إلى ابن عباس وقول ابن سنان كذلك وأبو همام، وروى الحارث: اهبط آدم على جبل بالهند يُقال له: بَوْذ». فطبقاً لمصادرنا الشرعية ندحض التأريخ الجيولوجي للجبال طبقاً لفرضيات علماء التكتونيا والجيولوجيا وما يقرر شراح العلوم الطبيعية... إذ تقف معارفهم العلمية المادية عند حافة التاريخ الفاصل بين الوجود الآدمي على الأرض وما قبل وجود آدم... وما ملايين السنين المضروبة سوى مجرد تخمينات مستنبطة من الفكر المادي الشاغر من المعلومات الكونية الشرعية، وصدق رب العالمين يقول وقوله الحق: (ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) الإسراء: ٣٧.

وينبغي أن يكون معلوماً أن الشرع يقر جوانب المنفعة في العلوم التكتونية... فهي تضع مؤشرات جيولوجية وتوقعات علمية لا يدحضها الشارع عز وجل بأي حال من الأحوال، ويستمد أي مكتشف علمي يصل إليه التكتونيون قيمته وأهميته من تفاعل العنصر البشري مع ما سخرته الطبيعة له عرفاناً بتكريمه، على سائر المخلوات... ذلك قوله

سبحانه: (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً) الأعراف:٧٤، وقوله تعالى: (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) الحجر:٨٢، وقوله: (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين)الشعراء: ١٤٩، إن البحوث والدراسات التكتونية بفضل ما تقدمه من معارف حول تكوين الجبال ومدى تأثير آليات الطبيعة في حركتها ومعالمها وتضاريسها، تضيف إلى رصيد البشرية احتياطات تحميها وتحمي البيئة الحيوانية والنباتية في المجتمعات المقامة على الجبال، يقول سبحانه وتعالى: (والله جعل لكم مماخلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً) النحل:٨١، وقوله: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) فاطر:٢٧، تنوع إحيائي تشهده البيئة الجبلية، فلا يمكن التضحية ببحوث العلم الذي يكتشف علاقة مسخرات الطبيعة بالجبل، وقد قارب العرش «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) النحل:٦٨.

اعلم أن الله بقدرته لم يوجد الجبال العملاقة على أرضه بخصائصها المشهودة صخرية أو جيرية أو طينية... بل بعزته وجلاله أوجد الجبال الثلجية في القطبين الباردين، وأعلى قمم المناطق الاستوائية، بل جعل في السماء القريبة جبال الثلج تسير مع الرياح، يقول الجبار تبارك وتعالى: (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور:٤٣، إنها معجزات علمية وردت في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، والباب مفتوح على مصراعيه أمام المتخصصين في علوم الطبيعة حتى يعرضوا خلاصة دراساتهم التخصصية مبرزين أوجه الإعجاز القرآني... برد ثلجي جامد مصدره جبل يسبح في السماء حول المعمورة، وقد قال ابن كثير - طيب الله ثراه - في تفسيره الآية(٨): (من جبال فيها من برد) معناه أن السماء فيها جبال برد ينزل الله منها البرد، وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فإن من الثانية عند هذا الابتداء الغاية أيضاً لكنها بدل من الأولى والله أعلم».

لقد شهدت جبال الأرض اطمئنان قلب الخليل إبراهيم عليه حينما التمس من المولى عز وجل التثبت من كيفية إحيائه - عظم شأنه - الموتى، يقول تبارك في محكم آياته: (وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة: ٢٦٠.

والجبل هذا المخلوق الجامد في فكرنا القاصر على علوم الله، من فضل الله علينا أعلمنا بالتوجه الخفي إليه من قبل الجبل... يقول الرحمن: (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال) الحج:١٨، نعم الجبل يسبح الله خالقه الذي أبقاه، يقول المعز: (ولقد آتينا دواد منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد) سبأ: ١٠، وقوله: (وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) الأنبياء:٧٩، وقوله: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق) ص:١٨، إنه الجبل الذي أقامه الله فإنه يخشاه، يقول تبارك وتعالى: (وتخرَّ الجبال هدّاً) مريم:٩٠، وهذا ما شهده موسى عليه السلام، ورأى بعينه، تصديقاً لذكره الحكيم: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربّه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الأعراف:١٤٣. يرى علماء الطبيعة في سلاسل جبال الهيمالايا تضاريس عظمى راسخة تحتاج إلى زمن طويل كي تزال أو تتبدل أو تتغير معالمها، نقول إنه في مقدور المولى أن يصدعها ويطمسها في الأرض بلحظة واحدة، يقول رب العالمين: (وحُمِلَتِ الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة) الحاقة: ١٤، وقوله: (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) المزمل: ١٤، وقوله: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) طه: ١٠٥.

اللهم لا تجعلنا ممن رفض الجبل إيوائه بالهروب يوم الطوفان العظيم، فصدق إذ يقول وقوله الحق: (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) هود: ٤٣. ■

الهوامش :

! 2 Landform Development By Tectonics And Denudation, T. Yoshikawa In Themes In Geomor Phology, Edited By A. Pitty. Croom Helm, 1985.

Erosilnal Control Of Active Campressional, Orogens, C. Beaumont, P. Fullsck And I. Hamilton In Thrust Tectonics, Edited By K.r. Mc Clay, Chapman And Hall, 1992.

@ 2 Megageomorphology. E. A. Keller And N. Pinter In Active Tectonics: Earthquades, Uplift And Land Scape, Prentice Hall, 1996.

٣ - بحث مشترك بين الأستاذين «بنتر» و«براندون» وعنوانه «دور التحات في تشكيل الجبال» منشور في مجلة العلوم، المجلد ١٣ العددان ٨، ٩ أغسطس، سبتمبر ١٩٩٧م، ترجمة فؤاد العجل - إبراهيم الرفاعي... ص ٥٨: ٦٣، مكملة بـ ص٧٤.

٤ - لمزيد من التفصيلات التي تهم المختصون بلعلوم الطبيعية... تراجع فكرة تشكل الجبال كنظام يتكيف مع الظروف system - Oriented View بالمقارنة مع تأثير النشاط البركاني في تشكيل الجبال «ظاهرة الاندساس أو التصادم بين الصفائح»... عملية التوازنية isostasy، وتدفق اللابات Lava واندساس المصل وتكشف الصخور.

Tectonic Forcing Of Lake Cenogoic Climate, R.e.raymo And W,f. Ruddiman In Nature, Vol . 329. No, 6391, Pages 117 - 122, September 10. 1992.

٥ - تاريخ الطبري، لمحمد جرير الطبري، مكتبة التراث الإسلامي، ج٢، ص ١٠٠.

٦ - تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير، دار الحديث، ج١، ص ٦٨.

٧ - الطبرى ج٢، الفقرات من ٢١٧: ٢٢٣ ص ١٢٨ و ١٢٩.

٨ - ابن كثير ج٣ ص ٢٨٧.

ضيف السماء

شعر: محمد عبدالله القولي

يا ربُّ هلْ للمُصطفى نُصَرَاءُ
إنْ تكثُر الأحزانُ والأعداءُ

صَبرتْ علَى كلِّ المصائبِ نفسُهُ
لا يُتمُه أضنَى ولا ضرَّاءُ

لَمْ يثْنِه مِنْ قومِه إعراضُهمْ
لم تحنْه مِن كيدِهم أنْواءُ

مُستعصمٌ بالله ينشرُ دينَه
إنْ شطَّ أعداءٌ وزادَ بَلاءُ

إنَّ أهلَ مكَّةَ سلَّطوا سُفهاءَهمْ
وثقيفُ(١) أشقى حظَّها جُهلاءُ

آذَوا رسولَ الله أجروا دمعَه
أدماه مِنْ أصلابِهم سُفهاءُ

كلَّا فربُّ الكونِ ليس بغافلٍ
والنورُ لنْ تغتالَه الظلْماءُ

عزَّ المضيفُ وتاهت الأجْواءُ
وأتى لأحمدَ نُصرةٌ(٢) ونِداءُ

أَسرى» بأحمدَ مُكرَماً منْ ربِّه
فالركبُ نُورٌ والطريقُ سَماءُ

والنجْمُ يبسمُ بهجةً منْ موكبٍ
والبشرُ فيضٌ في الدنى وعطاءُ

والطيرُ تصدحُ والظلامُ مخيِّمٌ
والنورُ يشرقُ والقلوبُ ظِماءُ

والضيفُ يدعو والملاكُ بقُربه
يطْوي الطريقَ وشأنُه الإرضاءُ

والمسجدُ الأقصَى تألَّق وازْدهى
لما ترامتْ سمعَهُ الأنباءُ

أنَّ الحبيبَ محمداً سيحلُّهُ
والصخْرةُ العُظمَى هِيَ المِرقاءُ

وصل البراقُ إلى الديارِ فأشرقت
راياتُها وتحلّق السُمحاءُ

فالمُرسلونَ يُقدِّمونَ إمامَهمْ
ويُبجِّلون وهكذا الفُضلاءُ

عرَفُوا لأحمدَ قدْرَه وجلالَه
فهوَ الرسولُ الخاتمُ الوضَّاءُ

وهُوَ الحبيبُ إلى الإلهِ وكلُّهمْ
في المُصطفَينَ السادةُ العُظماءُ

في حبِّهمْ لَهُ طاعةٌ لإلههمْ
والمُصطفَونَ إلى الرِضاءِ ظِماءُ

فَهُو الرسولُ إلى الأنامِ جَميعهم
والمرسلونَ لقومِهم نُذَراءُ

لاقَوا بأحمدَ بهْجةً وسعادةً
فهُو الهمامُ وصحبُه كُرماءُ

حتَّى إذا حانَ الرحيلُ تجمَّعوا
مِنْ حولِ أحمدَ والدُّموعُ سَخاءُ

قدْ ودَّعوه على قريبِ لقائه
وقلوبُهم في حبِّه غَنَّاءُ

الصَّخْرةُ العظْمى تشرَّفَ قدْرُها
لكأنَّها منْ نورِه زَهْراءُ

سَعِدتْ بمرقاه وهيَّج وجْدَها
أنْ ودَّعَتْه وعيْنُها سَحَّاءُ

فإذا الملاكُ يُحِلُّهُ مِعْراجَهُ
وإذا المكانُ بلحظةٍ علياءُ

وإذا السماءُ تَفَتَّحتْ أبوابُها
وإذا الفضاءُ مِنَ الهُدى أضواءُ

ومحمدٌ يلقى الملائكةَ العُلا
جادَ الزمانُ فكانَ مِنهُ لِقاءُ

سَبْعُ السماواتِ الطباقُ تهلّلتْ
لِقدومِهِ وتَبَسَّمَتْ أجواءُ

جاءَ الحبيبُ إلى الحبيبِ بدعوةٍ
أزجى بها المولى فجلَّ عطاءُ

فأراهُ مِنْ آياتِهِ مستُورَها
مِنْ أجلِهِ أضحى لهُنَّ جلاءُ

فرأى مشاهدَ في القيامةِ قُدِّمَتْ
مِنْ جَنَّةٍ تزهُو بها الأفياءُ

تُدْني لأربابِ الصلاحِ ثمارَها
يهْنا بها الأبرارُ والشُّهداءُ

أو شِقوةٍ بجهنَّمٍ قد أُكرمُوا
وتنوَّعَ التعذيبُ والبَلْواءُ

باري الوجودِ أعزَّ دعوةَ ضيفِهِ
واللهُ ليسَ لجودِهِ أنْحاءُ

من عَرْشِهِ أدْناهُ دونَ عبادِهِ
وسَماءُ بِهِ مِنْ فضلِهِ إثراءُ

يرقى الرسولُ إذ الملاكُ مؤخَّرٌ
مُتوقِّفٌ قد نالَهُ الإعْياءُ

مستأذِنٌ فإذا خطَوْتُ بقدرِ أُنْمُلةٍ
فَنيتُ وحُرِقَ الأشلاءُ

السدرةُ العُظمى ستلقاها وما
بعد السديرةِ يكرمُ السعداءُ

وقفَ الرسولُ بقُربٍ من فطرِ الدُّنى
متشوِّقاً تهنا به الأرجاءُ

ألقى التحيةَ والفؤادُ مُسبِّحٌ
وصلاتُهُ في صدرِهِ أَنْداءُ

فإذا السلامُ أتاهُ يُثْلِجُ صدرَهُ
وإذا سُرورٌ لفَّهُ وهَناءُ

أوْصاهُ بالخمسِ الفرائضِ تَنْتَشي
من نَهْرِها الأرواحُ والأعْضاءُ

وإذا الملائكُ تزدهي بشهادةٍ
والمُصطفى قد طابَ فيهِ ثَناءُ

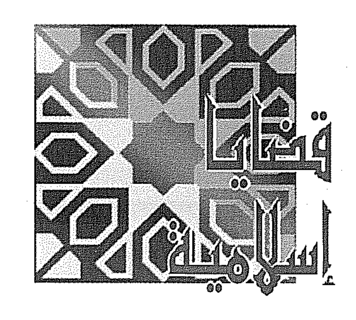
صلَّى الإلهُ على النبيِّ محمَّدٍ
هادي الأنامِ وكُلُّنا شُهداءُ

إيمانُنا بإلهِنا مِعْرَجُنا
ودُعاؤنا لنبيِّهِ إسْراءُ

---

(١) قبيلة ثقيف التي جاءها الرسول ﷺ في الطائف فلقي منها الأذى.

(٢) جاء جبريل عليه السلام بدعوة الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ للإسراء والمعراج.



أهمية العالم الإسلامي

بقلم : سامي الجيتاوي

شاء القدر للإسلام - أن يكون حارس الإنسانية والحرية في وجه الاستعمار، لم يكن للاستعمار منذ نشأته طريق إلى الشرق إلا من خلال بلاد إسلامية.

أراد المستعمرون أولاً أن يصلوا إلى الهند فوجدوا الإسلام قائماً في طريقهم على مفترق القارات الثلاث ممتداً من مصر إلى العراق، ومنهما إلى الأناضول وبينهما سورية وفلسطين... وعلى مقربة من هذه البلاد شواطئ البحر الأحمر وشواطئ البحر الأبيض عند مدخل المشرق من جميع نواحيه، ولما وصل منهم من وصل إلى الهند تارة على السفن التجارية وتارة على سفن الاستكشاف حول القارة الإفريقية، وجدوا الإسلام في الهند عقبة يحسبون حسابها، فوضعوا خططهم على أساس ترويض الهند باضطهاد المسلمين فيها، ودق أسافين الفتنة فيما بينهم.

وأعلن اللورد «ألنبرو شيئاً» من هذه الخطة فقال : «لا يسعني أن أغمض نظري عن حقيقة لا شك فيها، وهي أن العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا، وأن سياستنا الحقيقية ينبغي أن تتجه إلى تقريب غير المسلمين من الهنود».

وجد المستعمرون هذا الحارس المخيف على شواطئ الجزر والبحار وفي كل مكان وصلوا إليه من شواطئ المحيط الهندي المترامية، حيث وجدوه في جزر أندونيسيا، كما وجدوه في خليج العرب، وفي سواحل زنجبار «التي تم هضمها» ولم يكن بعيداً منهم عن شواطئ الهند الصينية والفلبين.

شبح هائل في طريق الاستعمار يلقاه أمامه، حيث سار، وتأخر من تأخر من أفواج الاستعمار، فوجدوه أمامهم، كما وجده المتقدمون من قبلهم ... وجدته روسيا القيصرية في القفقاس، وأذربيجان وآسيا الوسطى، ووجدته فرنسا في أفريقيا الشمالية وأفريقيا الغربية، وليست كلمة «السنغال» إلا كلمة «صنهاجة» قبيلة الموحدين حرّفها المستعمرون قبل أن يطأوا بلادها الأولى بأعوام طويلة، وكانت ألمانيا في أوروبا الوسطى مشغولة عن الاستعمار بولاياتها المتفرقة، وسلالتها الجرمانية المختلطة، فلما فرعت من هذا الشاغل، وصاحت صيحتها: إلى الشرق... إلى الشرق... إذ بالإسلام في الطريق على البسفور بين أوروبا وآسيا... وإذ بالطريق كله قبل ذلك وبعد ذلك في أيدي المسلمين.

ومن المضحكات أو المبكيات، أن الاستعمار الألماني حاول من باب الصداقة ما تعب فيه الآخرون من باب المناجزة والاضطهاد، فأبدى عاهل «هونزلن» أسفه لخلو آسيا الصغرى من السكان على اتساعها وصلاحها لعمران الزراعة والصناعة، واقترح على ساسة الترك أن يعاونهم بمليونين من الألمان يحرثونها ويقيمون فيها دور الصناعة ومعاهد الفنون.

فقبل ساسة الأتراك هذا الاقتراح ... ولكن بشرط واحد... وهو: أن يكون توزيع الألمان بين السكان وفي المناطق التركية المختلفة بإشرافهم، وعلى حسب تقديرهم.

القوى الاستعمارية تعرف قيمتنا منذ قديم الزمان بطريقة أدق مما نعرفها

فأدرك هذا الاستعمار «الصديق» ما وراء ذلك، وأراح نفسه من التوجع لخلو المكان وحاجته إلى السكان والعمران، ثم جاء دور الفاشية الإيطالية أخيراً، فجعلت غزوها لطرابلس الغرب جهاداً صليبياً ضد الإسلام ... ووضعت على ألسنة المجاهدين!! نشيداً لحنوه موسيقياً... يقول في ختامه وهو يخاطب أمه:

«إن سألك السائلون لِمَ لا تلبسين عليه السواد... فقولي إنه مات شهيداً في قتال الإسلام».

فالعداوة بين الاستعمار والإسلام عداوة تاريخية جغرافية نفسية وتلك أصعب العداوات وأعمقها وأعصاها على التوفيق والنسيان... هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فالسياسة سوق تجارية كبرى... على حد تعبير الأستاذ أمين هويدي، فعلى قدر ما في جيبك من نقود يمكنك أن تشتري، إذاً أن تعرف القيمة الحقيقية لما في جيبك شيء مهم، وأن تعرف قيمة ما يمكنك أن تشتريه من السوق التجارية كمقابل ذلك شيء أهم وإلا كسب التاجر الجولة، فقد يعطيك بضاعة كاسدة، أو فاسدة، وقد يعطيك أقل مما تستحق، أو قد يأخذ كل ما في جيبك... دون أن يعطيك شيئاً.

ويبدو أن القوى الاستعمارية تعرف قيمتنا من قديم الزمان بطريقة أدق مما نعرفها - فالمساحات التي يمتد فيها الإسلام كظاهرة مكانية لا يجاوزها من حيث الامتداد المساحي سوى المسيحية.

ومن الناحية العددية، فإن الهيكل السكاني للمسلمين يبلغ حسب تعداد سنة ١٩٧٥م أكثر من (٧٠٠) مليون، وهذا يمثل (١٧.٥٪) من الهيكل السكاني في العالم، وهذا الكم العددي يوزع قارياً إلى (٦٧.٥٪)

من مجموع السكان في آسيا، في حين يتركز (٣٢.٥٪) في أفريقيا.

والإسلام يأتي في المرتبة الثالثة من الهيكل الديني العالمي بعد البوذية والمسيحية ... وتأتي من بعده الهندوكية.

فنحن إذاً بصدد دين عالمي.

بل إن لأقليات المسلمة في كثير من الدول ذات ثقل سياسي يتجاوز مقدارها العددي - وهذا العالم الإسلامي يقع ضمن إطار عالم المصادر الأولية... ففيه النفط - عصب الحضارة المعاصرة - والفوسفات والحديد واليورانيوم والنحاس، وفي الوقت نفسه نظراً لتخلفه وتعداد سكانه، فإنه يعتبر سوقاً استهلاكية ضخمة لهذه القوى الخارجية.

- ومن ناحية المكونات الاستراتيجية، فلا توجد كتلة جغرافية على هذه الدرجة من الأهمية على الصعيدين الاستراتيجي والجغرافي، لأنها تقع في قلب العالم، فهي نقطة التقاء ووصل بين الشرق والغرب، وبذلك فهو مركز حركة المواصلات البرية والبحرية والجوية العالمية... بكل انعكاسات ذلك على الاقتصاد... واستراتيجياً... يضم أهم مجموعة مضائق العالم.

- مضيق جبل طارق حيث يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي.

- مضيق باب المندب الذي يصل البحر الأحمر بالمحيط الهندي.

- مضيق البسفور والدردنيل الذي يصل البحر الأسود بالبحر المتوسط.

- مضيق هرمز ويتحكم في طريق نقل النفط من المنابع إلى الأسواق.

- مضيق ملقا الواقع بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة، حيث هو نقطة الوصل بين المحيط الهندي والمحيط الهادي.

- قناة السويس، تصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط.

هذه المضائق تتحكم في طرق نقل التجارة الدولية، فضلاً عن أهميتها الاستراتيجية.

- وتشكل المسطحات المائية الواسعة التي تقع في الكتلة الإسلامية... في مجموعها محاور الاستراتيجية العالمية بلا منازع.

فقد أصبح البحر المتوسط يدخل في نطاق التخطيط الاستراتيجي والأمني للقوى العظمى، علاوة على أنه يؤدي إلى البحر الأسود وإلى قناة السويس... أقصر طريق إلى المحيط الهندي بكل ما في ذلك من أهمية اقتصادية...

والمتوسط هو أقرب الطرق المائية إلى مخزن الطاقة النفطية في العالم، والبحر الأحمر في موقع متوسط بين القارات، وهو نقطة الوصل بين آسيا وأفريقيا، وهو أحد مناطق مرور النفط، وبذلك فهو يدخل ضمن نطاق التخطيط الاستراتيجي للدول العظمى وأوروبا الغربية، وكلنا قرأ وسمع الأخبار التي تحدثت عن انفجار ألغام بحرية في مداخل البحر الأحمر الجنوبية وفي مداخل السويس.

وكيف هبت الدول الكبرى عارضة إرسال كاسحات الألغام ودوريات التفتيش عن الألغام... مما يدل على أهمية هذا الممر المائي.

- وهنالك الخليج العربي... وهو يشكل القلب النابض للعالم المعاصر... وهو أيضاً قلب العالم الإسلامي «حسب تعبير ماكندر» ومن يتحكم في القلب يتحكم في العالم الإسلامي!!

- وعلاوة على ذلك فإن الكتلة الإسلامية تشكل العمق الاستراتيجي لكل من حلفي «الأطلسي ووارسو»، وكذلك جنوب شرق آسيا... ويعتبر في الوقت نفسه نقطة وثوب إلى الخط المار بجنوب أفريقيا والهند وأستراليا.

وواضح أنه إذا كانت الكتلة الإسلامية تشكل كتلة استراتيجية حيوية... فإن الكتلة العربية تعتبر قلب هذه الكتلة.

والاستعمار والامبريالية لم يركزا هجومهما

حركة الاستشراق تعمدت بث روح الهزيمة في عقول أبناء الأمة

العداوة بين الاستعمار والإسلام عداوة تاريخية جغرافية نفسية

على شعب من الشعوب كما ركزاه لقرون متتالية على العرب المسلمين بالذات... لا للأسباب السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي ذكرناها فحسب، بل لتفتيت شخصيتهم ومقاومة جهودهم من أجل تمكين الفكر الاستعماري الغربي وثقافته المضادة للثقافة الإسلامية وليتمكنوا من اقتلاع جذور المقاومة الحضارية العربية الإسلامية للموجات الاستعمارية المنظمة ضده تدريجياً.

ولذلك فإن الامبريالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً وسياسياً ولكنها نظام سياسي واقتصادي لخدمة هدف استعماري... وهو: سيطرة الحضارة الغربية على شعوب الشرق، وليس نهب مواردها الاقتصادية فحسب بل لكسر شوكة الإسلام في الشرق.. وما وجود اليهود على أرض فلسطين اليوم... إلا تكرار لمحاولة الصليبيين إنشاء مملكة القدس بأسلوب عصري جديد، بوصفها القاعدة المتقدمة للغزاة... من دول أوروبا في القرون الوسطى.

- وأخيراً فإن أهمية المنطقة العربية والإسلامية تهم جميع مراكز القوى في العالم، فإذا درسنا تغيير هذه المراكز بعد مؤتمر «يالطا» نجد أن العالم يتكون من ثلاثة مراكز حضارية:

- دائرة الحضارة الغربية الرأسمالية برئاسة الولايات المتحدة.

- دائرة الحضارة الغربية الاشتراكية برئاسة الاتحاد السوفييتي سابقاً.

- دائرة حضارة الشرق ... وفيها اليابان والصين.

والدائرة الأولى تحتاج إلى النفط ... وهو في الشرق الأوسط.

والدائرة الثانية تحتاج إلى تأمين حدودها ... وتحتاج إلى همزة وصل بين آسيا وأفريقيا ... وذلك في الشرق الأوسط.

والدائرة الثالثة تحتاج إلى النفط ... وهو في الشرق الأوسط.

وتُقدِّر القوى الاستعمارية هذه القيمة البالغة الأهمية للكتلة الإسلامية وقلبها هو الشرق الأوسط... وتتخذ مواقفها وتحركاتها تبعاً لذلك... وبينما هذا يحدث من جانبهم، فإننا بالرغم من وجود الركائز الموضوعية لقيام كتلة إسلامية متحدة... إلا أن هذه الكتلة مقسّمة إلى نظم إقليمية متصارعة مفتتة، وهذا وضع مناسب لتحرك القوى الاستعمارية من أجل السيطرة.

ويمكننا أن نلخص ما أسلفناه في سطور فنقول : إن القوى الاستعمارية تطمع في القارتين الآسيوية والأفريقية وفي هاتين القارتين يسكن المسلمون بمئات الملايين... ولو كان هؤلاء قوة سياسية ليس إلا، لهان خطبهم على الاستعمار بجميع أنواعه، ولكنهم قوة روحية تندفع كالسيل إذا اندفعت وتستقر كالصخر إذا سكنت، وتفارقها قدرتها على الغلبة والسيادة حيناً، ولكن لا تفارقها قدرتها على الصمود والثبات، لذلك لابد من تفتيت هذه القوة... وهذا ما أجمعت عليه القوى الخارجية المستعمرة، وليس في نيتنا في هذه العجالة على الأقل، أن ننبش أوراق التاريخ لنلقي الضوء على أنماط تلك الخطط التي اتبعها الاستعمار بأشكاله لتفتيت القوة الإسلامية والعربية، والتي أسفرت عن استعمار أغلب البلاد العربية والإسلامية، وتقسيمها بين الأفاقين من دهاقنة الاستعمار الشرقي والغربي، وكانت أولى هذه الوسائل هي أن يتعلم الأوروبيون علوم المسلمين التي كانت السبب في قوتهم، وقد نتج عن هذا القرار ذلك الحدث الضخم الذي يعرفه العالم بـ «عصر النهضة»، فأوروبا التي تعلمت علوم المسلمين، وأضافت إليها حتى قويت وسادت العالم قاطبة، لم تلتفت بادئ ذي بدء إلى ثقافة المسلمين وآدابهم إلا في مرحلة تالية، بحيث قرروا فيها أن يتعلموا ويتخصصوا بدراسة جوانب الثقافية الإسلامية ليقدموها بصورة مشوهة حتى ينفر المسلمون من دينهم وحضارتهم،

وهذا ما أطلق عليه الأوروبيون اسم «الصليبية الروحية» وذلك بهدف إقناع العربي المسلم أنه مهزوم تاريخياً في الماضي، كما هو الحاضر، وكما يجب أن يكون في المستقبل، وأنه ليس متخلفاً بحكم ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية، بل هو متخلف بالفطرة ليلهث العرب والمسلمون خلف نفايات الشعارات، وجيف النظريات التي يلقيها الغرب عند شواطئنا، وبين ربوعنا بوساطة من ربّاهم على عينه، وقد قامت حركة الاستشراق بمجملها، والتي تعمدت بث روح الهزيمة في عقول أبناء الأمة وقلوبهم، بإبراز الجانب المظلم من تراث أمتنا الذي دسَّه على التراث تلاميذ ابن سبأ وردِّها كل إيجابيات التراث إلى تراث اليونان الأوروبي، الأمر الذي رسَّب في بعض العقول الخاوية أن أمتنا لم تصنع مجداً غابراً متميزاً، فأنى لها أن تصنع شيئاً من ذلك في المستقبل وهي على ما هي عليه من الضعف الذي بلغ بها إلى حد الهزيمة أمام أبناء الحضارة الأوروبية المنتصرة.

وسارت مراكز التبشير - الدينية والفكرية والتعليمية - بحضارة الغرب على درب الاستشراق في نزع ثقة أمتنا بذاتها، ولقد كانت تلك المراكز كما كانت حركة الاستشراق طلائع للمد الاستعماري الغربي لدرجة أن المبشر «جون فان إيس» أعلن عن وجود إسرائيل قبل أن تعلن إسرائيل عن وجودها بخمس سنوات، وقال إنها ستشمل أرض الجليل وتصل إلى شرق الأردن وخليج العقبة.

وقد نازل المبشرون والمستشرقون عقول أبناء الأمة بالأسلحة الفكرية منازلة الجيوش الاستعمارية لجيوشنا الوطنية سواء بسواء، وكانت جامعات الغرب ومؤسساته العلمية والفكرية المصنع الذي هيأ «الكوادر»

الامبريالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً وسياسياً ولكنها نظام سياسي واقتصادي لخدمة هدف استعماري

المبشر «جون فان إيس» أعلن عن وجود إسرائيل قبل أن تعلن إسرائيل عن وجودها بخمس سنوات

السياسية والفكرية التي أخذت تشارك السلطة المحتلة في إدارة مرافق البلاد، حتى أصبحنا ندرس على أيدي أعداء الإسلام والعروبة هؤلاء كل شيء بما في ذلك اللغة العربية وعقائد الإسلام... وكانت الثمرة لكل ذلك «تيار التغريب» الذي علا صوته فترة من الزمان، حتى انفرد بالساحة في المدرسة والجامعة والصحيفة والكتاب، وكانت «العَلْمانية» واحدة من أبرز ثمار «تيار التغريب»، وأخذ دُعاة هذا التيار من العلمانيين يحاولون فرض أيديولوجية الحضارة الأوروبية على المسلمين، ومحاولة إقناعهم بأن عصر أيديولوجيتهم الإسلامية قد انتهى... إذ لا يمكن للقرن العشرين أن يستلهم قيماً من حضارة ونماذج إنسانية عاشت في القرن السابع، وذلك بعد أن قامت - الجهات المختصة - بتلميعهم ودفعهم إلى واجهات المجتمعات العربية والإسلامية الثقافية والسياسية ليقيموا ستاراً من الجهل والتجهيل بين الجيل الحاضر وتراثه، وماضيه ليقتلعوه من جذوره، لأن الغزاة القراصنة يعرفون أن أمة بلا ماض، هي أمة بلا مستقبل، والذين لم يكتب أسلافهم تاريخاً يعتزون به لن يكتبوا هم ولا أحفادهم شيئاً في سفر التاريخ.

لذلك عملوا على صرفنا عن الاهتمام بتراثنا والسخط عليه والخجل منه وتحميله كل ما ينزل بنا من كوارث حتى أصبحت كلمات مثل التجديد والعصرية التي تنطلق من أفواه المتشدقين والثرثارين لا تعني إلا نبذ التراث والسخرية منه... ونحن عندما ننادي بالاعتزاز بتراثنا وحضارتنا الإسلامية لا نستهدف إلا استلهام قيمه ومُثُله الخالدة، لكي نصوغ بوحيها وعلى هديها مستقبلنا، ولن نتمكن من بناء مستقبلنا المشرق إلا إذا آمنا بأننا حفدة أولئك الذين منحوا البشرية عصراً من أزهى عصورها. ■

البيت المسلم

العدد ٣٩٥ - الوعي الإسلامي - رجب ١٤١٩ هـ - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨ م

رعاية الأمومة والطفولة في التراث الطبي الاسلامي

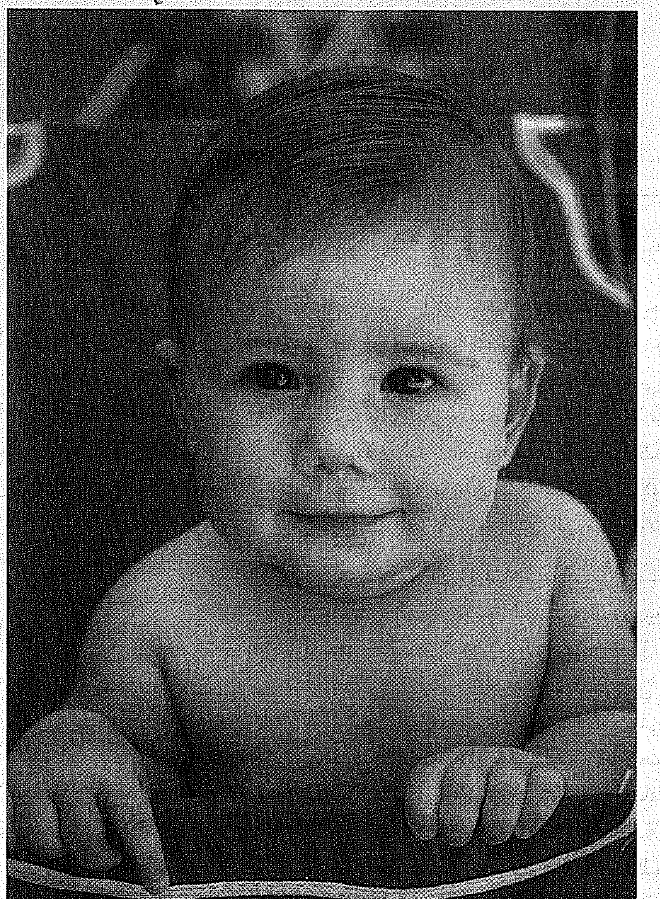
أطفال المشركين في الجنة هم أم في النار ؟

عبارات خطيرة

يجب أن تكون الأول دائما !

حقوق الجنين في الإسلام

اختيار الوالدين الصالحين



العنوسة : هل تعود أسبابها إلى المغالاة في المهور ؟

لا تترددي ولا تتأخري في تلبية احتياجات طفلك

الطريق العصري ذو الإتجاهين

تردد الأمهات ـ وربما الآباء ـ عبارات متوارثة منوعة أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام، ومعلومات خاطئة تؤثر على المفاهيم والقيم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية ـ وربما المشاعر الإنسانية ـ لأولادنا لتسبب لهم آثاراً نفسية سيئة، أو مفعولاً سلبياً أو سلوكاً معادياً... فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلنتنبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

عبارات خطيرة (٣)

يجب أن تكون الأول دائماً

بقلم: عابده المؤيد العظم

تربية

في كل بيت ـ تقريباً ـ طلاب وطالبات في مراحل دراسية مختلفة، منهم من جعل التفوق هدفاً وغاية لأن من ورائه آباء وأمهات لا يقبلون بغير «الأولية» ولا يرضون إلا بأعلى الدرجات. من أجل ذلك يبدأ هؤلاء الطلاب المتفوقون عامهم بالتوتر وينهونه بالتوتر وهم مترقبون حذرون، قد وضعوا عبارة والديهم: «يجب أن تكون الأول دائماً» نصب أعينهم، فعملوا لها ودأبوا عليها وانكبوا على الكتب ـ على الغالب ـ من أجلها، فحفظوا المناهج دون فهم، ودرسوا المعلومات دون تعمق لأن هدفهم وغايتهم أن يتفوقوا وأن يكونوا الأوائل، فكانت هذه هي النتيجة الأولى الخطيرة لهذه العبارة: «الدراسة من أجل التفوق لا من أجل الفهم والاستزادة من العلم».

وبتأثير هذه العبارة: «يجب أن تكون الأول دائماً» صار هدف الطالب أن يكون الأول على طلاب صفه أو مدرسته، فهو يهتم جداً بلقب «الأول» ويسعى إليه قدر استطاعته، لكنه لا يأبه كثيراً أن يصل إلى أعلى مستوى ممكن ولا أن يحصل على أعلى مجموع، إنما يعتمد على مقارنة نفسه بطلاب سنته الدراسية ثم يجتهد بالقدر الذي يؤهله للتفوق عليهم، لأن عبارة والديه: «يجب أن تكون الأول دائماً» تحتم عليه أن يسبق هؤلاء دون غيرهم فهذا هو مجال التنافس وهذه هي حلبة التفوق، فإن تفوق عليهم ـ ولو بمجموع قليل وجهد يسير ـ كان نجيباً ورائعاً، وقد فاز طالب بلقب «الأول» مع أن مجموع درجاته ما تجاوز التسعين بالمئة! ففرح فرحاً عظيماً، وحزن آخر حزناً شديداً لأن زملاءه تفوقوا عليه وقد تجاوز تقديره النهائي ستاً وتسعين من المئة بثمانية أعشار! فبتأثير هذه العبارة تغيرت المفاهيم وتبدلت الحقائق، وكانت هذه النتيجة الثانية الخطيرة: «الرضا والفرح بالمجموع القليل إن أدى إلى لقب «الأول». والحزن والهم من الدرجات العالية إن لم تؤد إلى لقب «الأول»!

وأدت هذه العبارة: «يجب أن تكون الأول دائماً» إلى التنافس الشديد بين الطلاب الذين يسعون للأولية، فكلهم يسعى إلى مرتبة «الأول» ولن ينالها على الأغلب إلا واحداً منهم، وهنا يكمن الخطر الحقيقي في هذه العبارة؛ إذ جعلت التنافس بين مجموعة من الطلاب على مرتبة واحدة لا غير، فأصبح اهتمام كل طالب متفوق منصباً على إزاحة الباقين للتفوق عليهم، الأمر الذي جعل المنافسة غير شريفة وغير إنسانية، حيث أفسدت المنافسة المحمومة العلاقات الاجتماعية بين الطلاب وأوجدت الحقد والحسد والكيد والكراهية بينهم. وإليكم ما قالته لي أم لواحد من هؤلاء المتفوقين في هذا المقام: «إن ولدي يقضي أيام الامتحان كلها بالدعاء على منافسه على «الأولية» بالمرض الأليم الذي يقعده عن الدرس، أو بحادث خطير يصرفه عن حضور الامتحان، أو بالموت المحقق حتى يتخلص من منافسه إلى الأبد»، وقد ورد هذا في كتب علم النفس: «التنافس بطبيعته يحمل في ثناياه قدراً كبيراً من الكراهية المدمرة، وبهذا يكون عامل هدم وتحطيم للعلاقات الإنسانية الطيبة في الصف أو المدرسة بأسرها... الواقع أن التنافس هو في جوهره صراع يستهدف الانتصار والتفوق على الغير، ويتضمن إحباط نجاح الغير وجهوده، أي يتضمن تعارض المصالح. وكثيراً ما

يرى المتنافس في منافسيه أعداء له، أو على الأقل حجر عثرة في سبيل تقدمه، وقد يصبح التنافس محقق الضرر وباعثاً على الحسد والبغضاء وثبوط الهمة في أحوال معينة... «ولذلك فليس غريباً أن يكون الأوائل ـ على الأغلب ـ غير محبوبين، لأنهم متكبرون ومتعالون على إخوتهم من الطلاب».

ومن خطورة هذه العبارة «يجب أن تكون الأول» أيضاً أنها ذهبت بروح التعاون والمشاركة والاهتمام بالغير والذي يجب أن يتوافر في كل مكان حتى في المدرسة بين الطلاب، وألغت إغاثة الملهوف، وتفريج الكرب وغيرها مما أمر به الإسلام؛ فنرى «الأول» ـ على الأغلب ـ مستأثراً بكتبه ودفاتره لا يطلع عليها أحداً، ولا يساعد زملاءه على فهم ما صعب عليهم، ولا يشرح لهم ما استشكل خوفاً من تفوقهم عليه. فلنمتنع ـ إذاً ـ عن ترديد هذه العبارة «يجب أن تكون الأول دائماً» ولنستبدل بها عبارة أخرى: «يجب أن تفهم المنهج جيداً. ويجب أن يكون مجموع علاماتك في أعلى مستوى ممكن»، وبذلك يتحول الأمر من تنافس بين الطلاب بعضهم مع بعض إلى تنافس بين الطالب وبين المجموع النهائي، فتقل الأحقاد بين الطالب وإخوته الطلبة، ويصبح الصراع بين كل طالب وبين الدرجة العليا، فيسعى الطالب إلى المعالي بدل أن يسعى إلى إزاحة إخوته الطلاب، ويكون التحدي بهذا المسلك أبعد عن المشاحنة والبغضاء والكراهية. ثم لنجتهد ـ بعد ذلك كله ـ في حث أبنائنا الطلاب على حب الخير للآخرين بالفرح لما يفرحهم وبالسرور لما يسرهم، فيتمنون لغيرهم كما يتمنون لأنفسهم، ويهنئون من تفوق عليهم بغبطة وبهجة لا بحسد وحقد.

وأخيراً لنعلّم أولادنا أن يبذلوا غاية جهدهم فيجتهدوا ويدرسوا ويراجعوا، ثم يتركوا الأمر لله فلا يحزنوا ولا ييتئسوا إن فاتتهم «الأولية» لأن الأمر كله بيد الله. والله هو الذي ييسر الخير والدرجات لكل طالب بحسب علمه وحكمته، وبحسب نية الطالب، ثم بمقدار توكله ودعائه.

أيها الآباء (آباء الطلاب المتفوقين)... نهنئكم على تفوق أولادكم، وإنه لشيء رائع أن تكونوا آباء للمتفوقين، لكن الأروع منه أن يتفوق أولادكم في علمهم، وفي علاقاتهم الاجتماعية مع إخوتهم الطلاب بكسب ثقتهم ومحبتهم واحترامهم، وفي دينهم وخلقهم الإسلامي الرفيع فيتمنوا الخير لغيرهم كما يتمنونه لأنفسهم، ويذروا ما يؤدي إلى التحاسد والتباغض، وإن هذا لهو التفوق الحقيقي، وإن هذه لهي أعلى الدرجات.

كثير من الناس يعتبرون كلمة «الأولوية» صحيحة بمعنى الأولية، وهذا خطأ شائع، والصحيح أن نقول «أولية» مراعاة للفصحى. ■

صحافة

فتاة الغلاف..!! ورسالة لم تنشر

الموضوع الذي نحن بصدده هو «فتاة الغلاف»، الذي لا شك في أنه يضايق كل مسلم غيور، ولكنها فرصة للتذكير بأننا كثيراً ما نتحدث عن الغربيين، وأنهم يتاجرون بالمرأة، ويستغلونها في الدعاية، وننسى أن مجتمعاتنا تغص بكميات هائلة من المجلات التي تصرّ على وضع صورة فتاة على الغلاف، وقد سئل رئيس تحرير مجلة عربية معروفة عن السر في وضع صورة فتاة في الصفة الأخيرة من جريدة كذا (...)، أو صفحة الغلاف من مجلة كذا (...)، فأجاب باختصار: لـ«ضرورات التسويق»! مما ينبهنا إلى أن أصحاب المشاريع التجارية في مجتمعاتنا ـ إلا من رحم الله ـ يقلدون الغربيين في أساليبهم في أكثر الأحيان، ولولا أن في مجتمعاتنا بقية من الخوف من الله، وهناك قوانين أكثر تشددا، لرأينا في أعمالهم التجارية أساليب أكثر جرأة على حدود الله.

المهم أن هذه الرسالة قد أرسلت ـ قبل بضع سنوات ـ إلى مجلة معروفة، وهي من المجلات التي يشتريها الناس حتى لو لم تكن على غلافها صورة فتاة، ومن هنا كانت الدهشة على هذا الإصرار العجيب. وكانت هذه الرسالة:

سعادة رئيس تحرير مجلة (...)، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أنا من القراء المواظبين على قراءة مجلتكم، أكتب إليكم هذه الرسالة معاتبا، وأرجو أن يلقى عتابي أذنا صاغية، والنقطة التي أعتب عليكم فيها هي إصراركم على وضع صورة فتاة على الغلاف. إن مجلتكم مجلة متميزة، ومجرد وضع صورة فتاة على الغلاف يزيل عنها هذا التميز حيث تصبح مجلة كغيرها، تلهث وراء زيادة عدد القراء بمختلف الأساليب. وأنا أعلم ـ كما يعلم غيري ـ أنكم لستم بحاجة إلى ذلك. لن أكتب هنا موعظة دينية، بل سأكتب عن بعض الخطوط العريضة للحرفية الإعلامية والإبداع الصحفي، ومن ذلك أن يكون المقال مناسبا لمقتضى الحال، وتكون الصورة أو الكلمة في مكانها الصحيح، بحيث تسهم في بيان المعنى المراد، ونقل مزيد من حيثيات الواقع المراد إيصال صورة منه إلى القارئ. وقد طبقت هذا على مجلتكم، فكان هذا ما رأيت.

في الثاني من أكتوبر ١٩٩٠م أعلنت وحدة ألمانيا، وكان حدثاً عالمياً، رصدته وتابعته كل وسائل الإعلام، ولكن العجيب أن مجلتكم تجاوبت مع الحدث بطريقة مخيبة لآمال كل عربي ذي عقل رصين، فقد رمزتم لهذا الحدث الكبير بأن وضعتم صورة فتاة شقراء على الغلاف، على أساس أنها ألمانية، وليس هناك ما يدل على أي علاقة لها بألمانيا، بل يمكن أن تكون أي فتاة شقراء في بلدكم. وحتى لو كانت ألمانية، فما كان لصورتها المنشورة أن تعطي القارئ أي إحساس بالحدث المقصود، أو الانعكاسات السياسية والاقتصادية العالمية المترتبة عليه. بل أقول لكم الحق بأني تساءلت عن مدى جدية مجلتكم في معالجة أمر كهذا.

في المقابل، فإنني أرجو أن تنظروا إلى مجلة عالمية توزع أسبوعياً ما بين أربعة إلى خمسة ملايين نسخة، وهي مجلة تايم الأمريكية، ماذا وضعت على الغلاف؟ لقد وضعت صورة للنسر الفولاذي، رمز ألمانيا الموحدة، وكان هذا أفضل وأولى، من الناحية الصحافية البحتة، وبغض النظر عن أي اعتبارات أخرى. حيث إن القارئ كان يلتقط المجلة، وهو يشعر بأن لديه مصدراً للمعلومات يجيب على تساؤلاته، وربما كان مصدرا أوثق وأكثر جدية في التصدي لهذا الموضوع.

هل تحتاج مجلتكم إلى وضع صورة فتاة على الغلاف لتزيد من مبيعاتها؟ أم أنكم قمتم بتعيين موظفين حديثي التخرج في مدرسة الصحافة والإعلام، فقاموا بتطبيق ما تعلموه حرفياً؟

هذا هو النص التقريبي للرسالة، كما حفظته الذاكرة، وليس من المؤكد أن تكون كل كلمة أو جملة قد وردت كما هي بالضبط، لكن المؤكد أن الرسالة لم تنشر...

بقلم : حسن بن حسين المهنا

من حقوق الجنين في الإسلام ٤

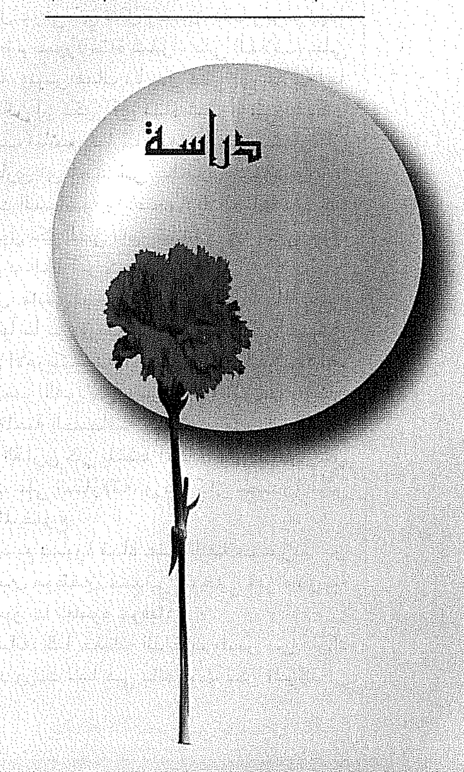
اختيار الوالدين الصالحين

قال تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرا) (الفرقان/٥٤) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني اعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي» (رواه أبو داود) وجاء تفسير (شر المني) بأن يضعه في حرام.

من هنا كانت عناية الإسلام بالأجنة والحرص عليها من أن تختلط في أنسابها، أو تتعرض للتزوير بأن ينسب لغير أصحابها الشرعيين، أو أن يعتدى عليها في أي مرحلة من المراحل.

وفي خضم الحديث المعاصر عن الأجنة، والتلقيح الصناعي والاستنساخ يتصدى عدد من علماء المسلمين لإبراز أحكام الفقه الإسلامي، وحفظه للنسل وللجنس البشري كله والأستاذ / عمر محمد إبراهيم غانم في مقدمته هذه عن وسائل رعاية الإسلام للجنين يبين اهتمام الإسلام بالإنسان من قبل ولادته على أن يتبع ذلك دراسات عن حقوق الجنين ومنها الإجهاض والاغتصاب مما ابتليت به المجتمعات المعاصرة.

بقلم : عمر محمد إبراهيم غانم



اختيار الأم الصالحة والأب الصالح

من حق الجنين على أبويه أن يحسن كل منهما اختياره للآخر، ولهذا وردت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ التي تحضّ الأزواج على حسن اختيار زوجاتهم منها:

(أ) ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»(١).

(ب) وروى الدار قطني عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قوله ﷺ : «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة» (٢).

(ج) حذر رسول الله ﷺ الأزواج من الاغترار بالمظهر والحرص عليه، بقوله ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء» (٣).

(د) اعتبر رسول الله ﷺ أن المرأة الصالحة هي خير مكسب للزوج الصالح بقوله ﷺ : «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة،، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (٤).

(هـ) بين رسول الله ﷺ للأزواج القاعدة التي يجب أن يستند إليها زواجهم واختيارهم لزوجاتهم، فقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه : «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٥).

فقد اشتمل هذا الحديث على المرغبات المادية والمعنوية، كالمال بأنواعه، والحسب وما يعنيه من وضع اجتماعي للمرأة أو لأسرتها، أو الجمال الظاهر للمرأة، ولكن دين المرأة هو حجر الزاوية في هذا الاختيار، الذي إذا سار عليه الأزواج صلح أمرهم في الدنيا والآخرة بإذن الله، لأن المواصفات الأخرى ليست ثابتة، فالمال ظل زائل معرض للنفاد، والحسب كذلك، فلا وزن لحسب دون التقوى، وقد قال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٦)، وكذلك الجمال فهو شيء نسبي ووقتي، يختلف من إنسان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، وبخاصة أن وضع المرأة يتبدل ويتغير بعامل تقدم السن والحمل والولادة، وتعرضها للآلام والأمراض، فلم يبق من تلك الصفات سوى صفة الدين، فهي التي تعصمها وتعينها على تحمل نوائب الدهر إذا تعرض لها زوجها وأسرتها، وهي بتلك الصفة أمينة على تربية أولادها، وعلى مال زوجها، وعلى عرضها كذلك، مصداق قوله ﷺ في الحد يث الرابع: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل...».

(و) وقد رغب ﷺ الأزواج باختيار ذات الدين في حديث آخر، حيث قال ﷺ فيما رواه

عنه عبدالله بن عمرو بن العاص: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (٧)، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل» (٨).

يقول الدكتور علي حسب الله: «ولما كانت المرأة رئيسة البيت لأنها راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، وهي عماد نظام الأسرة ومبعث سعادتها، فإذا كانت صالحة أقامت بيتها على نظام وطيد، وملأته بأسباب السعادة، وعنيت بتربية أولادها فبثت فيهم كل خلق حميد وعودتهم كل عادة حسنة، وجنبتهم سيئ الأخلاق وقبيح العادات، وإذا كانت فاسدة بذرت فيهم بذور الفساد وزودت أولادها للحياة بأسوأ زاد» (٩).

ويؤيد هذا الكلام قول الدكتور محمد عقله في كتابه «نظام الأسرة في الإسلام»: «إن حاضر الأمة ومستقبلها، يعتمد على نوعية أجيالها وناشئتها، والأسرة هي المسؤول الأول عن تحديد نوعية أولئك الناشئة قوة أو ضعفاً، ولما كانت المرأة هي نصف المجتمع، وأحد عمودي الحياة الإنسانية، فإن إحسان اختيارها يضمن تربية جيل صالح، يبني الحياة الفاضلة، بما تزرعه من حميد الأخلاق وكريم الخلال، وإلا بذرت فيهم بذور الفساد، مما يفضي إلى انحلال الأمة وسقوطها» (١٠).

ولأهمية الاختيار بالنسبة للجنين، أذكر قول أبي الأسود الدؤلي لبنيه: «لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها» (١١).

وقد سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما حق الولد على أبيه؟ فقال: «أن ينتقي أمه، ويحسن أسمه، ويعلمه القرآن» (١٢).

ولهذه الأهمية نهى القرآن الكريم المؤمنين عن الزواج بالمشركات، أو تزويج المشركين للمؤمنات، بقوله سبحانه وتعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) (١٣)، والسبب الذي لأجله كان النهي بينته الآية (أولئك يدعون إلى النار - والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه).

أما الزواج من الكتابيات - يهودية كانت أو نصرانية - فلأن لها كتاباً سماوياً، فهي في الأصل مؤمنة قبل التحريف والتبديل الذي فعلته الأيدي الآثمة في كتب الله المنزلة، وكما أنه يرجى بالزواج منها أن تتعرف إلى الإسلام، وتسمع عقيدة التوحيد الصافية، التي لم ولن تتطرق إليها يد البشر، وكان هذا الأمر بيناً واضحاً يوم أن كان الإسلام له قوته وعزته، صولته وجولته، أما وقد تبدلت الأيام، وضعف حال المسلمين، وتشتت أمرهم، وفقدوا عز دولتهم وسلطانهم، ولم يعد لكثير من الرجال من أمور نسائهم شيء، فإنني أرى ألا يتردد أهل الفتوى بمنع أبناء المسلمين من الزواج من الكتابيات، وذلك لتغير الزمان وتبدله، حيث أصبحت النساء الكافرات من أهل الكتاب يعملن على صبغ أبنائهن بطابع حياتهن المنحرفة، والتي هي بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام.

أضف إلى ذلك أن قوانين البلاد الكافرة تلحق الأبناء بأمهاتهم، فإذا حدث طلاق أو وفاة بين الزوجين، عاد الأولاد إلى أمهاتهم، وفي هذا تكثير لسواد الكافرين، وزرع النطفة المسلمة في أرحام كافرات، لا يرجى فيهن خير، وفي المسلمات غنى عن الكافرات، مع ملاحظة أن أغلب نساء أهل الكتاب في هذا الزمان أصبحن ملحدات وثنيات في معظم الأحيان.

ولهذا المعنى ولغيره رأى الفاروق عمر رضي الله عنه بحكمته وفطنته، أن يطلق حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل امرأة له نصرانية، ولما سأله حذيفة رضي الله عنه: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها يا أمير المؤمنين، فقال: «لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن» (١٤).

فهذا الأمر لاحتمال أن يكون بين نساء أهل الذمة من تكون مومساً، وذلك في زمن الفاروق، فما بالك بزمن ندر فيه من لا تكون مومساً من نساء أهل الكتاب، وقد تكون حاملة للأمراض الخبيثة كالايدز فتنشره إلى زوجها وأبنائها وإلى المجتمع المسلم من بعدهم.

اختيار الأب الصالح

كما أن الجنين بحاجة إلى أم صالحة ذات دين ترعاه ويتربى في رحمها، فهو كذلك بحاجة إلى أب صالح يتعهده ويتعهد أمه، وهنا تقع المسؤولية على أهل الزوجة ووليها، أن لا يزوجوا ابنتهم لأي خاطب، فلابد من التأكد من سلامة هذا الخاطب في معتقده، وبخاصة في زمن كثرت فيه التيارات المنحرفة والأفكار الهدامة، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بزواج الخاطب صاحب الدين والخلق، بقوله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (١٥).

يقول العلامة المباركفوري في شرحه لهذا الحديث: «وذلك لأنكم إن لم تزوجوها إلا من ذي مال، أو جاه، ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الإفتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار فتهيج الفتن والفساد، ويترتب عليه قطع النسب وقلة الصلاح والعفة» (١٦). ويقول صاحب كتاب (دستور الأسرة في ظلال القرآن): «وأي فتنة أعظم وأي فساد أشمل وأعم على الدين والأخلاق في الأسرة والمجتمع، حين توضع الفتاة المؤمنة بين يدي رجل متحلل، أوزوج ملحد لا يعرف معنى الشرف والغيرة والعرض، يكرهها على السفور والاختلاط، وقد يجبرها على شرب الخمر ومراقصة الرجال، ويهزأ من دينها ويحملها على التفلت من عصمة دينها وأخلاقها» (١٧). ومما لا شك فيه أن من حق الولد على أمه أيضاً أن ترفض الزواج إلا من صاحب الدين وأن لا يمنعها الحياء من استمتاعها بهذا الحق الذي أكرمها به الإسلام.

فهذه أم كلثوم بنت أبي بكر ترد خطبة أمير المؤمنين وتقول لها أختها عائشة حين قالت لها معترضة: «أتردين أمير المؤمنين؟، فأجابتها بما يجعلها ترفض الزواج منه بقولها: «إنه خشن العيش، شديد على النساء» (١٨)، وليست هذه هي المرأة

الوحيدة التي ترفض الزواج من أمير المؤمنين الفاروق عمر، فهذه أم أبان بنت عتبة أخت هند بنت عتبة ترد خطبة عمر بقولها: «إنه يغلق بابه ويمنع خيره ويخرج عابساً ويدخل عابساً» (١٩)، واختارت طلحة دون عمر وعلي والزبير رضي الله عنهم أجمعين.

بل أكثر من ذلك كانت المرأة المسلمة تشترط على زوجها، فهذه عاتكة بنت زيد القرشية يخطبها عمر، وتشترط عليه ألا يمنعها من الخروج إلى المسجد فيجيبها على كره منه.

ويعقب المرحوم عمر التلمساني على هذه الحوادث بقوله: رئيس الدولة يتقدم خاطباً وتفضل المرأة غيره عليه، أفلا يكون في ذلك مثار العجب؟!، لأنها استمتعت بحقها الذي يقرها عليه الإسلام، «فعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بسلفها، ولا تتزوج إلا بصاحب الدين الذي ترتضيه صيانة لها ولذريتها» (٢٠).

صحيح أن العرف يجعل الرجل هو الذي يبحث عن شريكة حياته ويختارها، وما ذلك إلا لحياء المرأة وعفتها التي تمنعها من التصريح وإبداء الرغبة في الزواج من شخص ما ولكن ليس في الشريعة الغراء ما يمنع المرأة المسلمة من مزاولة هذا الحق الذي مارسته سلفها من الصالحات كما رأينا في الأمثلة السالفة.

يقول الدكتور محمد عقلة: «وكلنا أمل أن تقتدي المرأة المسلمة في عصرنا هذا بأمها وأختها من سلفها الصالح، حيث كانت المرأة مثالاً يحتذى في الأمومة والزوجية والجهاد والعطاء، نتمنى أن تعود بعض المسلمات اللاتي استبدلن الجرأة في الحق والشجاعة في طاعة الله بالجرأة على الباطل، والتمادي في الخروج على حرمات الله، وتعدي حدوده، بفعل غواية شياطين الأنس والجن، في حين استكانت وتقاعست عن ممارسة حقوقها التي منحها إياها دينها، والتي هي عنوان استقلال شخصيتها ومظهر رقيها وتحضرها الفعلي، ولن يكون ذلك إلا بأن تستلهم تعاليم دينها، وتترسم خطا هديه، وليس ذلك على الله بعزيز» (٢١). ■

الهامش :

(١) سنن ابن ماجة - دار الكتب العلمية - بيروت - ج١ ص٦٣٣ - كتاب النكاح، سنن الدار قطني - علي بن عمر الدار قطني - عالم الكتب - ط٤ ج٣ - باب النكاح ص٢٩٩، قال عنه السيوطي في الجامع الصغير - حديث صحيح، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - دار الفكر - مجلد ١ ص٥٠٣. وقال عنه الألباني حديث صحيح، صحيح سنن ابن ماجة - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت ط٣ ١٩٨٨ - ج١ ص٣٣٣ - حديث رقم ١٦٠٢.

(٢) سنن الدار قطني ج٣ ص٣٩٩.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والافعال - للعلامة علاء الدين علي المتقي الهندي - مؤسسة الرسالة - بيروت طبعه ١٩٧٩ - ج١٦ ص٣٠٠ - رقم ٤٤٥٨٧ - جاء في كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني نشر مكتبة التراث الإسلامي حلب ج١ ص٣١٩: رواه الدار قطني في الافراد والرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي في الكامل عن أبي سعيد مرفوعاً وقال عنه الدار قطني لا يصح من وجه، وقال القاري لا يكون موضوعاً سواء كان موقوفا أو مرفوعا، وورد عن عمر موقوفا.. قال في اللسان - دمن - الدمن: البعر، دمنت الماشية المكان: بعرت فيه وبالت. ودمن القوم الموضع: سودوه واثروا فيه بالدمن، الدمن: جمع دمنة: وهو الموضع القريب من الدار.

إياكم وخضراء الدمن: شبه المرأة الحسناء بالمنبت السوء بما ينبت في الدمن من الكلأ يرى له غضارة وهو وبيء المرعى منتن الأصل - لسان العرب ج١٣ ص١٥٧.

(٤) أخرجه ابن ماجة في باب أفضل النساء، وقال عنه الالباني حديث ضعيف، انظر ضعيف سنن ابن ماجة - محمد ناصر الدين الالباني - المكتب الإسلامي بيروت - ط١ سنة ١٩٨٦ ص١٤٤.

(٥) البخاري - كتاب النكاح - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - باب الأكفاء في الدين - ج١١ ص٣٦.

وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين - ج٢ - ص١٠٨٦ حديث رقم ١٤٦٦ سنن أبي داود للإمام أبي سليمان بن الاشعث السجستاني - دار الفكر للطباعة - بيروت ج٢ ص٢١٩ حديث رقم ٢٠٤٧ والنسائي ج٦ ص٦٥ - سنن النسائي - أحمد بن شعيب النسائي - دار الكتب العلمية بيروت - وابن ماجة حديث رقم ١٨٥٨ - سنن ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - دار الكتب العلمية بيروت ج١ ص٥٩٧. قال في اللسان: حسب: في أسماء الله تعالى الحسيب: وهو الكافي. الحسب: الكرم، الحسب: الشرف، الثابت في الآباء، وقيل هو الشرف، في الفعل، الحسب: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، والحسب: الفعال الصالح، وماله حسب ولا نسب: الفعال الصالح، والنسب: الأصل. وقال أنشد تغلب: ورب حسيب الأصل غير حسيب: أي له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو، والجمع: حسباء. والحسب: الدين (لسان العرب - ابن منظور - مجلد ١ ص٣١٠ باب حسب). وقال في اللسان في معنى «تربت يداك» ترب الشيء بالكسر: أصابه التراب، وترب الرجل صار في يده التراب وقيل لصق بالتراب من الفقر ويقال: تربت يداه وهو على الدعاء: أي لا خيراً، قال: ويرون - والله اعلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر، ولكنها كلمة جارية على ألسن العرب يقولونها وهم لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر بها، وكثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح كقولهم: لا أب لك، ولا أم لك، ولا أرض لك ونحو ذلك، ويقال أترب الرجل فهو مترب: إذا كثر ماله، فإذا أرادوا الفقر قالوا: ترب يترب. ج١ ص٢٢٨ - ٢٢٩.

(٦) سورة الحجرات آية ١٣.

(٧) صحيح مسلم ج٣ ص٦٥٦ كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء.

(٨) سنن ابن ماجة - ج١ ص٥٦٧ كتاب النكاح - باب تزويج ذات الدين - ضعفه الالباني - انظر ضعيف سنن ابن ماجة - ص١٤٤ - حديث ٤٠٩.

قال في النهاية: خرم: أصل الخرم الثقب والشق، الأخرم: المثقوب الأذن والذي قطعت وترة أنفه أو طرفه شيئاً لا يبلغ الجدع. وقد انخرم ثقبه: أي أنشق - النهاية في غريب الحديث والأثر - ج٢ ص٢٧.

(٩) الزواج في الشريعة الإسلامية - علي حسب الله - دار الفكر العربي - القاهرة، ص١٧.

(١٠) نظام الأسرة في الإسلام - الدكتور محمد عقلة - مكتبة الرسالة الحديثة - عمان - ط٢ سنة ١٩٨٩م - ج١ - ص١٦٣.

(١١) الزواج في الشريعة الإسلامية - علي حسب الله - ص١٧.

(١٢) تربية الأولاد في الإسلام - عبد الله علوان ج١ ص٤٠ - دار السلام - بيروت - ط٣ ١٩٨١.

(١٣) سورة البقرة آية ٢٢١.

(١٤) القرطبي - مجلد٣ ص٦٨، أخبار عمر وعبد الله بن عمر للطنطاويين «علي وناجي الطنطاوي» - دار الفكر - بيروت ط٣ سنة ١٩٧٣ ص٢٠٤.

(١٥) ابن ماجة - كتاب النكاح - حديث رقم ١٩٦٧ ج١ ص٦٣٢، الترمذي - في كتاب النكاح ج٣ ص٢٩٤، رقم ١٠٨٤ - سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - دار الفكر - بيروت ط٣ سنة ١٩٧٩ ج٤ ص٢٠٤.

(١٧) دستور الأسرة في ظلال القرآن - أحمد فائز - مؤسسة الرسالة ط١ سنة ١٩٨٠م ص١١٦.

(١٨) نظام الأسرة في الإسلام - دكتور محمد عقله - مؤسسة الرسالة الحديثة - عمان - ط٢ سنة ١٩٨٩ - ج١ ص١٧٠ نقلاً عن كتاب صور من حياة الصحابة ١/٩٩.

(١٩) عيون الاخبار - ابن قتيبة - ج٤ ص١٨ - ١٩ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢٠) شهيد المحراب عمر بن الخطاب - عمر التلمساني - مكتبة دار الأنصاري - القاهرة ص٢٠٨.

(٢١) نظام الأسرة في الإسلام ج١ ص١٧١.

الطريق العصري ذو الاتجاهين

بقلم : محمد منذر الشعار

يعرف كل الناس اليوم أن الطريق الحديث في العالم للسيارات يكون قسمين: فواحد للذاهبين والثاني للراجعين، فلكل طريق عصري اتجاهان، معروف هذا في داخل المدن، وبين المدن، والمناطق والبلاد كافة، تسهيلاً وتأميناً، وإن كان طريق واحد للذاهبين والعائدين... أي طريق واحد للاتجاهين معاً، فهو خطر، ويضايق السائقين، ويكون مظنة أكثر للحوادث «أي يظن أكثر أن تقع فيه حوادث تصادم»، وهذه الطريقة، في الطرق، لا يعرف أحد في العالم اليوم أن مبتكرها ومخترعها: طفل كان في السادسة من العمر.

نعم...

طفل صغير هو مبتكر هذه الطريقة في أن يكون للطريق العام اتجاهان، تسهيلاً على الناس، ومنعاً للتصادم.

فمن ... هذا الطفل العجيب؟

إنه سابور ذو الأكتاف، كسرى الفرس، في الزمن القديم، وهو سابور بن هرمز، توفي أبوه، هرمز وكان من أكاسرة الفرس العظام، وسابور في بطن أمه جنين، وأحس بذلك الوزراء والكبراء في المملكة، أن إحدى نساء الملك الراحل حامل.

ابتكار

وقد وصف مؤرخونا هرمز ذاك بقولهم: كان عدلاً في القضية، متحنناً على الرعية... فلما مات جزعوا وليس له وريث، وإنما الممالك بالرأس، لكن «مويذ موبذان» وهو من يشغل أعلى منصب ديني عندهم، وإليه يرجعون في الملمات «أي الأحداث الكبار» أستأذن على نساء هرمز الراحل، فأذن له، فقال لهن :

- هل تحس إحداكن، كما سمعنا حملاً؟

قالت إحداهن : أنا.

فاطمأن إلى اتصال ذرية الملك، لكن بقي أن يكون الجنين ذكراً، فقال لزوج الملك الحامل :

- إن المرأة الحازمة تفطن من أمارات جنينها، «أي علامات جنينها» إلى أنه ذكر أو أنثى، على الظن والاحتمال، فماذا تحسين؟

قالت :

- إني أرى من نضارة لوني، وخفة حملي، وقوة تحرك الجنين في بطني، وميله إلى شقي الأيمن، ما يدلني على كونه ذكراً في أغلب ظني.

فبنى «موبذ موبذان» على هذا الظن القوي، والاحتمال المبني على أمارات معروفة موقفه ورأيه، فذهب فبشر أهل المملكة، وجاؤوا فعقدوا التاج عى بطن المرأة، وولوا جنينها العهد، ودانوا له بالطاعة، فلما وضعته كان بتقدير الله تعالى ذكراً، فنصبوه ثانية، حتى إذا بلغ ست سنوات، كان منه ما هو صُلب قصتنا.

وذلك أنه في بعض الأيام، كان نائماً في النهار، وكان الناس يعبرون على جسر دجلة، متزاحمين مختلطين، يتدافعون ويتصادمون، ومعهم دواب وأحمال ونساء وأطفال، فعلا صياحهم ولغطهم وشجارهم حتى وصل إلى مسامع سابور الطفل وهو نائم، فاستيقظ مزعجاً وسأل:

- ما القصة؟ ولِمَ هذا الصياح؟

قالوا:

- الناس مزدحمون على الجسر، ذاهبون وعائدون، يتصادمون فأطل سابور من نافذة قصره، فرآهم، فقال للحاشية:

ولِمَ هذا العناء؟ ابنوا جسراً آخر قرب الأول، واجعلوا أحدهما للذاهبين والآخر للعائدين، وتنتهي المشكلة، ففعلوا، وهذا أول اقتراح في الدنيا لاتجاهي الطريق المعمول به - بقوة - في هذا العصر.

ولا يظن أحد أن ما قاله سابور الصغير سهل يسير، يقوله كل إنسان... لا

فقد بيّن علماء التاريخ، في كل الأمم، أن أشياء في مسيرة تقدم البشرية كانت يوم اقترحت لأول مرة فتحاً عظيماً، مثل أول من ابتكر السلّة... في عمر البشرية، كان فعله عظيماً، وكذا أول من اخترع العجلة، ودل عليها، وكذلك الآن سابور الذي ابتكر اتجاهي الطريق، والجديد في الموضوع أن مبتكر هذا العمل الأخير، كان طفلاً.

وإن المسلمين هم الذين رووا هذا الأمر، وهذه الحادثة، عن سابور وهرمز وموبذ موبذان، التقطوا ذلك من أخبار من سبقهم، ولو كانوا غير مسلمين، فحيثما وجد المؤمن سمواً وسلوكاً عالياً، وحكمة... أسرع إليها، وقد روينا هنا من سابق: «الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها»، وإن نجابة الأطفال عند العرب من الحكمة. ■

لا تترددي ولا تتأخري في تلبية احتياجات طفلك

د. رضوان بيطار



عندما تعودين مع طفلك من المستشفى إلى البيت، ستنشغلين مباشرة بإطعامه، وتبديل حفاظاته، واستحمامه، والحرص على راحته، فهو يحتاج منك كل اهتمام ورعاية، فاقضي وقتاً طويلاً مع مولودك قدر الإمكان.

إن الاتصال الوثيق بين الأم وطفلها يتوطد بالرضاعة الطبيعية، فضلاً عن أن حليب الأم يزود الطفل بالتغذية المتوازنة وبالوقاية اللازمة من الأمراض.

إذا بكى طفلك فلا تترددي بحمله وتهدئته، وإذا بدا يقظاً وراغباً باللعب فاحمليه وداعبيه حسب ما ترغبين، فإذا بدا نعساً أو راغباً في التحديق فيما حوله فضعيه ثانية في سريره.

ماذا ينبغي توفيره في غرفة نوم الطفل؟

نوم الطفل

إن الأطفال في الأسابيع الأولى يميلون إلى قضاء معظم اليوم نائمين ما عدا الوقت الذي يحتاجونه فيه إلى إطعامهم واستحمامهم وإلباسهم.

وقد يقضي بعض الأطفال فترات أطول وهم مستيقظون دون مشكلة

، ويبدي الطفل عادة سلوكاً يظهر فيه عدم ارتياحه عندما يشعر بالنعاس، أما إذا كان نشيطاً فهو غير مستعد للنوم مهما كان الوقت من الليل، وعادة ما يتعلم الأطفال النوم طوال الليل خلال الأشهر القليلة الأولى بينما يستيقظون في الصباح الباكر ليأخذوا قسطاً من النوم أثناء النهار.

غرفة الطفل

يجب أن تكون الغرفة التي جُهّزت لطفلك نظيفة، مريحة وآمنة، وأن تبقى درجة حرارتها معتدلة، ومن الضروري تأمين سرير أو مهد مريح لطفلك لينام عليه، واختاري فراشاً صلباً نسبياً ليضمن له وضعاً جيداً ومن الأشياء التي ستحتاجينها لغرفة الطفل والتي يفضل شراؤها قبل الشهر السابع من الحمل:

- شراشف قطنية.
- بطانيات (قطن أو صوف تبعاً للفصل ولحال الطقس).
- حوض استحمام.
- مناشف حمام صغيرة وكبيرة.
- دلو للحفاظات.

إلباس الطفل

أثناء الحمل ويفضل قبل الشهر السابع أن تشتري الملابس التالية للطفل:

- «أوفارول» عدد ٤.
- قمصان ويفضل النوع الذي له أربطة على أحد الجانبية عدد ٦.
- حفاظات قماش مع دبابيس آمنة وكبيرة الحجم، أو من النوع المستخدم لمرة واحدة عدد ٢٤.
- سراويل مطامية إذا كنتِ ستستخدمين حفاظات القماش.
- صدرية عدد ٤ - ٦.
- قبعة للرأس للوقاية من أشعة الشمس.
- زوجين من الجوارب.
- بطانية أو أغطية عدد ٢.

وفي الشتاء قد يحتاج طفلك إلى قبعة صوفية، وحذاء (جورب) صوفيا وقفازات من نوع خاص تكسو الأصابع الأربع معاً وتكسو الإبهام منفرداً.

وغالباً ما تميل الأمهات إلى إلباس أطفالهن ولفهم وتغطيتهم أكثر مما يجب، فإذا تعرق الطفل واحمر وجهه، انزعي عنه طبقة من الثياب، لكن إذا كانت غرفة النوم باردة جداً في الليل فسيحتاج ثياباً لتغطية يديه وقدميه.

إن تحريك الطفل لأطرافه وتمرينها تحفز عمل الدورة الدموية لديه والعمليات الحيوية (الأيض والبناء)، ولكي يستطيع تحريك ذراعيه وساقيه فمن الأفضل أن تكون ملابسه من النوع الذي لا يعيق حركته وأن تكون أغطية سريره خفيفة نسبياً، وبهذا تمنحين طفلك مجالاً كافياً ليشعر بالراحة.

كيف تلبسين طفلك

١ - ضعي الطفل على حصير على الأرض أو على ركبتيك وانتبهي أن لا تلبسيه على طاولة أو سرير فقد يتدحرج ويسقط على الأرض.

٢ - شدي فتحة عنق قميص الطفل لتتسع وبحذر أدخلي رأسه فيها وانتبهي ألا تجري معها أنفه أو أذنيه أو تجري رأسه.

٣ - افتحي كم القميص بإبهامك وإصبع السبابة وأمسكي أصابع الطفل ثم اسحبي الكم بيدك الأخرى فوق ذراع الطفل، والبسي الكم الآخر بالطريقة نفسها، ثم اسحبي القميص للأسفل.

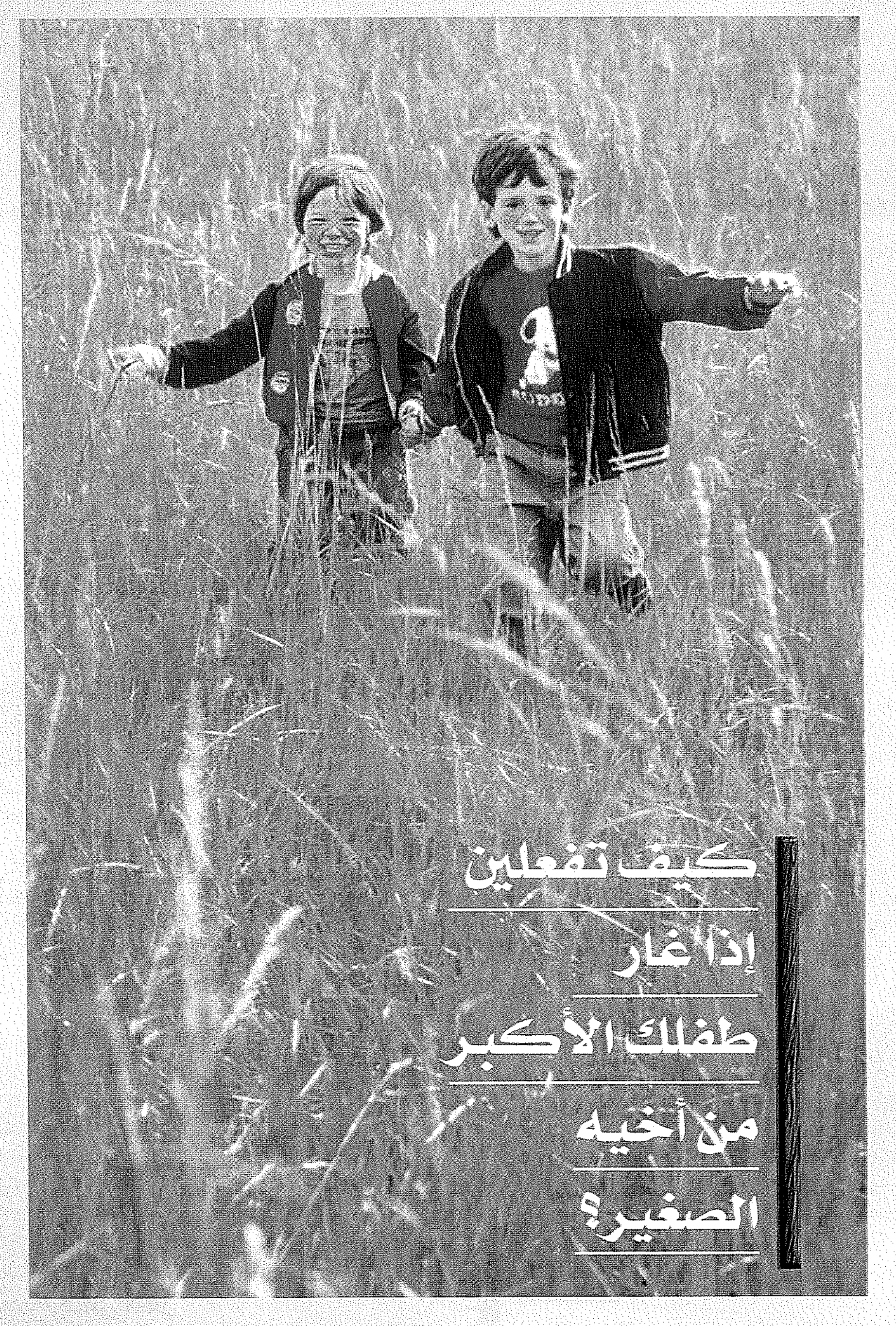
٤ - إذا وجدت صعوبة في إلباس القميص لطفلك الصغير فربما تجدين من الأسهل استعمال قميص من النوع الذي يلف حول جسم الطفل.

٥ - انتبهي عند إلباس الطفل «الأوفارول» أن لا تجري ذراعي أو رجلي الطفل، وإنما اسحبي الكم فوق ذراع الطفل بدلاً من جر الذراع خلال الكم، وكذلك وبالطريقة نفسها البسي الرجلين ثم زرري «الأوفارول» من الأمام.

العلاقة بين الأم ووليدها

بعد ولادة الطفل تقلق بعض الأمهات لأنها لم تشعر بذلك الحب الذي كانت تتوقعه من نفسها ولعل السبب أنها منهكة أو متألمة أو مضطربة بسبب قلة النوم ومهما يكن السبب فإن هذا

هل يضيق زوجك من اهتمامك بطفلكما؟



كيف تفعلين إذا غار طفلك الأكبر من أخيه الصغير؟

الشعور سيزول في مرور الأيام والأسابيع ويحل محله إحساس بالحب والحنان نحو الطفل.

مشاعر الأب نحو طفله

تختلف مشاعر الآباء تجاه أطفالهم فقد يكون الأب فخوراً أو مسروراً، وعلى العكس قد يكون ساخطاً أو غاضباً وبخاصة إذا لم يكن راضياً عن الحمل منذ البدء أو كان يعاني من مشاكل مالية مما يجعل ولادة طفل جديد يشكل عبئاً مالياً إضافياً.

وبعض الآباء يجدون صعوبة في بناء علاقة وطيدة مع مولود حديث الولادة، ربما لإحساس الأب بالغيرة وبرفض المولود ولكن هذه المشاعر تزول عندما يكبر الطفل فيبدأ الأب بالاهتمام أكثر بطفله ويشعر بالارتباط به أكثر يوماً بعد يوم.

لا تهملي طفلك الأكبر

إذا كان لديك طفل آخر فقد يشعر بأنه قد فقد الاهتمام الذي كان يحظى به ويشعر بالاهمال عند مقدم المولود الجديد، وبخاصة إذا كان عمره لم يتجاوز ثلاث سنوات بعد، لذلك هيئيه في الأوقات المناسبة لمقدم المولود الجديد، وبعد ولادة الطفل أشغليه قدر الإمكان عنك أثناء اعتنائك بالمولود، وانتبهي ألا تتركيهما معاً وحدهما، واجتهدي أن تخصصي جزءاً من وقتك كل يوم له خاصة وأخبريه كم تتطلعين إلى هذا الوقت وكم تكونين سعيدة معه، فهو يحتاج إلى تطمين دائم بأنك مازلت تحبينه، وهو بدوره سيظهر حبه لك وللمولود الجديد.

لا تنسي الاهتمام بنفسك

لن تعودي إلى شكلك الطبيعي السابق فجأة فور ولادتك، ولكن إذا لم تأكلي كثيراً فسيعود وزنك إلى ما كان عليه سريعاً، لأن جسمك سيتخلص من السوائل التي تراكمت في فترة الحمل خلال الأيام القليلة الأولى لما بعد الولادة، كما أن إرضاع طفلك من ثدييك سيساعد على الانطمار السريع للرحم وعودته إلى حجمه الطبيعي، ولا داعي لأن تأكلي كثيراً (من أجل اثنين) إذا كنت ترضعين طفلك إرضاعاً طبيعياً، وكل ما ستحتاجينه أن تشربي كمية من السوائل أكثر، وقد تتحسن شهوتك للطعام قليلاً. وإن عضلات البطن التي ارتخت أثناء الحمل والتي تجعل بطنك تبدو مترهلة، ستصبح أقوى مع الوقت وبإمكانك تسريع هذه العملية بالتمارين المناسبة المنتظمة.

اهتمي بنظافتك الشخصية وبخاصة خلال فترة النفاس وعليك زيارة طبيبتك في الأسبوع السادس بعد الولادة للتأكد من انطمار الرحم وعودته إلى وضعه الطبيعي. ■

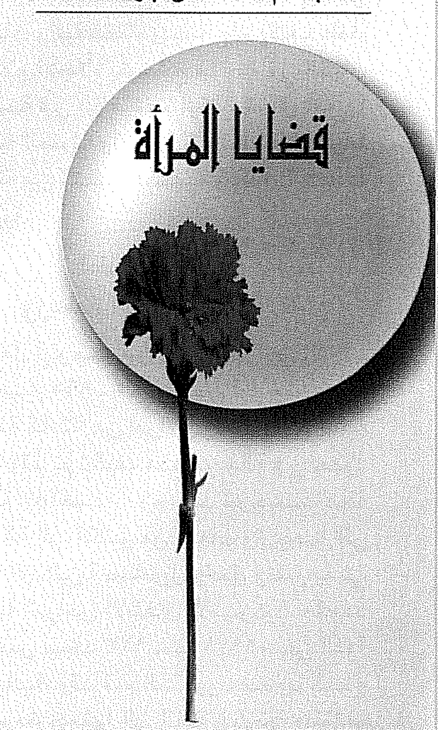
العنوسة: هل تعود أسبابها إلى المغالاة في المهور؟

اهتم الإسلام بتكوين الأسرة، لأنها جزء أساسي من نظام الحياة الإنسانية، وهي حجر الزاوية في بناء المجتمعات، والقاعدة التي يقوم عليها كيان الأمم، لذلك نظّم أحكامها أكمل تنظيم، ورعاها بالتشريعات الضامنة لاستمرارها في أمن وطمأنينة، وحباها بيسره وسماحته، في سبيل تقوية بنيانها واستدامة وجودها.

ومما شرعه في ذلك رؤية الخاطبين بعضهما بعضاً، فقد حث الإسلام على ذلك، ليتعرف كل طرف على ما عند الطرف الآخر من ملامح خلْقية بدنية، وخُلُقية نفسية، فيقدمان على الزواج بقناعة ورضا، بعيداً عن الاحتمالات والمفاجآت الناشئة من عدم النظر والرؤية.

أخرج النسائي وابن ماجة والترمذي أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» أي: رؤيتكما أدعى للألفة ودوام العشرة، وأبقى لكيان الأسرة.

بقلم: د. حسن أبو غدة



أما المهر: فإن الإسلام لم يجعل له حداً أعلى لا ينبغي تجاوزه، لكننا إذا تصفحنا نصوص ما شرع فيه وجدنا الآفاق الرحبة والسماحة الندية، لأولئك الشباب الذين يتضورون من العادات السيئة، والشكليات المعقدة، المعمول بها في أمر المهر وهدايا الزواج المكلفة.

أخرج أحمد وابن ماجة والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة».

أي: ما ليس فيه تكلف أو مغالاة أو دَيْن، يكبل الزوجين ويجبرهما على وفائه في فترة قد يطول أمدها.

وأخرج الترمذي عن عمر - رضي الله عنه - قال: لا تغلوا مهور النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى في الآخرة، كان أولاكم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما علمته أصدق امرأة من نسائه، ولا أُصدقت واحدة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية، أي ما يساوي خمسمئة درهم فضي تقريباً، وهو مقدار يسير إذا قورن بالمهور التي يجري العمل بها في زماننا.

لقد حرص الإسلام على ألا ينقلب المهر إلى عبء وثقل ومغرم، يخيف الشباب - ضعاف الحال - فيعجزهم عن إرواء مطالبهم الجسمية والنفسية من خلال الزواج المشروع، وتكوين الأسرة وإنجاب الأبناء وتحصيل الاستقرار والطمأنينة والسعادة.

وإن كثيراً من حالات عزوف الشباب عن الزواج وانتشار العنوسة بين الفتيات، يعود سببه إلى المغالاة الفاحشة في المهور وتكاليف الزواج وشكلياته الاجتماعية، وذلك أمر لا يبشر بخير على صعيد المستقبل.

هذا، ولأن الزواج في الإسلام عقد مقدّس وميثاق غليظ، أمر الأزواج بإحسان معاملة الزوجات، والتسامح معهن، والصبر عليهن، ومعاشرتهن بالمعروف، والابتعاد بهن عن أدنى خلاف، قد يفسد العلاقات الزوجية، ويعرّض الأسرة إلى التفكك والتمزق، يقول الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩.

وقد أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بعض صور هذه العشرة بالمعروف، ودعا الأزواج إلى التسامي عن أخطاء الزوجات، وإلى التسامح معهن فقال: «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر» أخرجه مسلم وأحمد، ومعنى لا يفرك: لا يبغض ولا يكره كرهاً يؤدي إلى الطلاق.

حيث جعل الطلاق ثلاث مرات، يراجع الزوج نفسه في كل مرة، ضمن الفسحة التي أعطيها، بعيداً عن الانفعالات النفسية والغضب.

بل عدّ الإسلام إيقاع الطلاق الثلاث دفعة واحدة، تعجلاً غير محمود، بل هو تصرف سيئ ولعب بأحكام الله، وإعراض عن هديه.

روى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أُخبر عن رجل طلق زوجته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان ثم قال: «أيُلعب بكتاب الله، وأنا بين أظهركم؟ فقام رجل فقال: يا رسول الله، ألا أقتله».

إن الإسلام لا ينفك عن إحاطة الحياة الزوجية بأسباب الاستمرار والديمومة، ومما شرعه في ذلك أنه فتح الطريق لمعاودة الحياة الزوجية بعد الطلقة الأولى والطلقة الثانية، فشرع الرجعة، مادامت الزوجة في عدتها، وذلك من غير حاجة إلى مهر جديد ولا عقد جديد، بل شرع للزوجين العودة إلى بعضهما بعضاً حال البينونة - ولو بعد الطلقة الثانية - بعقد جديد ومهر جديدين.

وهكذا يتضح مدى حرص الإسلام على مراعاة التيسير والسماحة في تكوين الأسرة، لضمان وجودها واستمرارها، خلية فطرية، تمدّ المجتمعات بالأسباب المثلى للبقاء. ■

تعتبر الرعاية الصحية للطفولة والأمومة من أهم منجزات الطب في العصر الحديث، ولا شك أن رعاية الطفولة التي تشكل نسبة عالية من السكان في العالم النامي ومنه البلاد الإسلامية «عربية وأعجمية» تعتبر حجر الزاوية في الرعاية الصحية الأولية والطب الوقائي... ففي البلاد الإسلامية «باكستان، وبنغلاديش وإندونيسيا... إلخ»، والبلاد العربية «مصر - العراق - السودان - المغرب - الجزائر - اليمن - السعودية»، يشكل الأطفال أقل من ١٥ سنة نحو ٤٥ في المئة من السكان... وتشكل الأمهات اللائي لديهن أطفال «أقل من ١٥ سنة»، أو هن في مرحلة الحمل ما لا يقل عن ٢٠ في المئة من السكان في هذه المناطق. وهذا ببساطة يعني أن رعاية الطفولة والأمومة تمثل رعاية ما لا يقل عن ٦٥ في المئة من جميع السكان.

رعاية الأمومة والطفولة في التراث الطبي الإسلامي

بقلم : د. محمد علي البار

تراث

لهذا نجد أن الإسلام بتعاليمه الشمولية قد اعتنى عناية فائقة برعاية الأمومة والطفولة عناية لا تدانيها النظم الحديثة على ما قدمته هذه النظم من إنجازات باهرة في القرن العشرين خاصة. ولذا نجد أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع في الإسلام قد اعتنى عناية فائقة بالأمومة والطفولة ووضع التشريعات التي التي تكفل حقوقهما في إطار تشريعات الأسرة... ولم يكتف القرآن الكريم بوضع هذه التشريعات التي تلزم المجتمع والأفراد بتنفيذها وهو ما يعرف لدى الفقهاء بوجوبها قضاء «أي أن التقاعس في تنفيذها يجعل الحق للقاضي في تنفيذها عنوة»، بل تعدى ذلك إلى ما يمسّ شغاف القلب فوضع تشريعات تلزم المجتمع بتنفيذها ديانة، أي أن التقاعس عن تنفيذها يؤدي إلى المساءلة في يوم الحساب العسير... وهو أمر يضطرب له كيان كل من داخل الإيمان شغاف قلبه.

كما نجد المصدر الثاني للتشريع وهو السنة المطهرة حافلة برعاية الأمومة والطفولة، حاثة على تنفيذ ما جاء بها من تعليمات راقية قضاء وديانة. ولم يكتف علماء الإسلام الأجلاّء بتوضيح ما جاء في الكتاب والسنة في مؤلفاتهم الكثيرة، بل أفردوا لرعاية الطفولة والأمومة كتباً كاملة أو أبواباً كاملة من كتبهم الفقهية والدينية العامة والطبية.

أطباء المسلمين ورعاية الأمومة والطفولة

ولعل أبو بكر بن زكريا الرازي (٢٥٢ - ٣١٣هـ/ ٨٦٥ - ٩٢٥م) كان أول من ألّف رسالة كاملة عن أمراض الأطفال والعناية بهم، وقد تمّ تأليف هذه الرسالة في حدود سنة ٢٨٧هـ - ٩٠٠م، وقد ترجمت هذه الرسالة إلى الكثير من اللغات وترجمها إلى اللغة الإنكليزية صاموويل رادبل ونشرها في مجلة أمراض الأطفال الأميركية «العدد الخامس مجلد ١٢٢ سنة ١٩٧١»، عن اللغة الإيطالية، وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بترجمتها إلى اللغة العربية «المؤتمر

القطري للطفولة ٩ ـ ١٣ كانون الأول ١٩٧٩م بغداد»(٣).

كما أفرد الرازي فصولاً ضافية لرعاية الطفولة والأمومة في كتابه الموسوعي الحاوي الذي قالت عنه المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»، إنه ظل المرجع الأساسي للطب في أوروبا لمدة أربعة قرون.

وجعل الرازي المقالة الرابعة من كتابه المنصوري في تدبير الأطفال حيث تكلم فيها عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والنظام واختيار المرضعة وتدبيرها... إلخ.

وألّف الرازي أيضاً كتابه المشهور: كتاب في الجدري والحصبة الذي ترجم إلى اللغات الأوروبية منذ عهد بعيد، وكان هذا الكتاب كما تقول زيغريد هونكه «آية من نوعه، وقد نشر في أوروبا أربعين مرة ما بين الأعوام ١٤٩٨ وحتى ١٨٦٦»، وفي هذا الكتاب الذي لم يتجاوز ٦٨ صفحة من القطع الصغير فرّق الرازي تفريقاً تاماً بين الحصبة والجدري، وكان بذلك أول من استطاع التفريق بينهما.

وقد سبق الرازي مجموعة من الأطباء كتبوا عن طب الأطفال ورعاية الأمومة، ولكنهم لم يفعلوا مثله بأفرادها بكتب مستقلة نذكر منهم علي بن سهل الطبري المروزي «ومدينة مروفي تركمنستان في الاتحاد السوفييتي السابق»، كان ـ يهودياً ـ فأسلم على يد الخليفة العباسي المعتصم فقربه إليه وجعله من خاصته، وقد اشتهر باسم ابن ربن الطبري نسبة إلى جده، وله كتاب فردوس الحكمة الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب باللغة العربية.

وقد خصص ابن ربن الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة عن تربية الأطفال وحفظ صحتهم... وله أيضاً كتاب حفظ الصحة وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب في ترتيب الأغذية، وفي هذه الكتب تحدث عن الحامل والمرضع وغذائهما كما تحدث عن أغذية الأطفال المناسبة لهم.

وقد عاش ابن ربن الطبري في القرن الثاني والثالث الهجري ١٥٣ ـ ٢٤٧هـ (٧٧٠ ـ ٨٦١م، وكان مقرباً للمعتصم ثم للمتوكل واشتهر بالحكمة والطب.

ويعتبر يوحنا بن ماسويه (١٦١ ـ ٢٣٤هـ) (٧٧٧ ـ ٨٥٧م) المعاصر لابن ربن الطبري أحد الأطباء القلائل الذين أفردوا الجنين بمقالة مستقلة، وتعتبر هذه المقالة أول مؤلف مستقل في علم الأجنة باللغة العربية، وتبدأ الرسالة بهذه الجملة: «إن أول ابتداء الإنسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة»، وهذا أمر لم يكن معروفاً في الطب، حيث كان الاعتقاد السائد هو أن الجنين إنما يتكون من دم الحيض، كما كان أرسطو يقول: والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما اللذان أوضحا بكل جلاء أن الجنين إنما يتكون من نطفة الرجل ونطفة المرأة حينما يمتشجان ويختلطان، فيكون بذلك النطفة الأمشاج.

وكتب ثابت بن قرة المتوفى سنة ٢٨٨هـ ـ ٩٠٠م مجموعة من التآليف المتعلقة بطب الأطفال وهي:

١ ـ جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

٢ ـ رسالة في الجدري الحصبة.

٣ ـ مقالة في صفة كون الجنين.

٤ ـ الذخيرة في علم الطب وفيه فصل عن أوصاف الحليب وحفظ الصحة ابتداء من الجنين إلى المولود فالطفل فالصبي فالبالغ.

ويعتبر حنين بن اسحاق العبادي (١٩٤ ـ ٢٦٠هـ ـ ٨١٠ ـ ٨٧٣م) أحد العلماء الأعلام الذين قربهم المأمون واشتغلوا له بالترجمة والتأليف، وقد كتب في طب الأطفال كتباً عدة منها كتاب المولود لسبعة أشهر وكتاب فيمن يولد لثمانية أشهر ومقالة في كون الجنين وكتاب في اللبن.

وقد أسهم أحمد بن محمد الطبري (٣٢٠ ـ ٣٦٦هـ) بكتابه المسمى «المعالجات البقراطية» نسبة إلى أبي قراط، الذي أسهم في الكتابة عن رعاية الأطفال وعلاجهم، وقد تحدث في كتابه هذا عن علل الأطفال وتدبيرهم حين يولدون وآداب المرضعة، وتحدث عن أنواع الجرب الذي تصيب الطفل... ويعتبر أول من اكتشف حشرة الجرب حيث يقول: «اعلم أن الجرب أنواعه كثيرة: منها رطب يسيّل يده وصديدي وأكثر حدوده للرأس... شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان «أي مثل صبيان القمل» وهي مختلفة الصور... ويتحدث عن حالات صرع الأطفال وأنها قابلة للبرء والشفاء بعكس حالات الصرع في الكبار التي تكون مزمنة، وتحدث كذلك عن الكزاز «الاصطكاك» وهو التتانوس ووصفه وصفاً جيداً في الأطفال.

وقد قسّم الطبري حالات استرخاء الأطفال إلى نوعين مكتسب ووراثي، كما تحدث عن مختلف الأمراض التي تصيب الأطفال بدءاً من الجهاز الهضمي وحتى الجهاز التنفسي إلى الأنف والأذن إلى أمراض العيون حتى النواحي النفسية... إلى غذاء الطفل في مختلف مراحل عمره منذ ولادته حتى تنبت أضراسه. وظهر ابن الجزار القيرادني «أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد»، كأحد الأطباء البارزين في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري (٢٨٥ ـ ٣٦٩ أو ٣٧٧هـ)، وله كتاب سماه «سياسة الصبيان وتدبيرهم»، وهو من الكتب المهمة في رعاية الطفولة، وقد حقق هذا الكتاب ونشره الدكتور محمد الحبيب الهيلة العام ١٩٦٨م، وقد قال ابن الجزار في مقدم كتابه هذا ما يلي: إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر ولم أر لأحد من المتقدمين المرضين من ذلك كتاباً كاملاً شافياً، بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى، وقد قسّم المؤلف الكتاب إلى اثنين وعشرين باباً تناول فيها تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم، ثم صفة المرضعة وصفة لبن الظئر، وأطعمتها وأشربتها وسبب قلة لبنها وكيفية تدبيرها، ثم تناول الأمراض التي تصيب الأطفال حسب أعمارهم والأمراض الخلْقية وأنواعها، وأنهى كتابه بالتحدث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

وقد وضع عريب بن سعد الكاتب القرطبي الذي عاش في عهد المستنصر بالله (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) كتابه «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين» وذلك العام ٣٥٣هـ بإشارة من المستنصر بالله.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التي جمعت رعاية الأمومة في فترة الحمل والرضاعة ورعاية الطفولة منذ بداية الحمل إلى الولادة ثم مراحل الطفولة المختلفة. وقد نشر هذا الكتاب بوساطة كلية الطب

والصيدلة بالجزائر سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، وحققه وترجمه إلى الفرنسية الأستاذان نور الدين عبدالقادر وهنري جاييه.

وكتب علي بن العباس المجوسي (المتوفى سنة ٤٠٠هـ - ١٠١٠م) كتابه المشهور باسم كامل الصناعة الطبية وخصص فيه ثلاثة أبواب لطب الأطفال وهي الباب العشرون ويبحث في تدبير أبدان الأطفال، والباب الحادي والعشرون ويبحث في تدبير الظئر، «المرضعة»، والثاني والعشرون، ويبحث في تدبير الصبيان الذين جاوزوا الرضاع وكيفية العناية بهم حتى سن الثانية عشر.

ملحوظة: لم يكن علي بن العباس مجوسياً بل كان على ذلك وغلب عليه اللقب، وكان هو وأبوه مسلمين.

وظهر أحمد بن أبي الأشعث في الموصل واشتهر كطبيب، ومعلم وله في طب الأطفال كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء، وكانت وفاة ابن أبي الأشعث في سنة ثلاثمئة ونيفاً وستين للهجرة. ويعتبر أحمد بن محمد البلدي العراقي من مدينة بلد «إسكي موصل الحالية» من أبرز تلامذة أحمد بن الأشعث المتقدم ذكره، ويتميز البلدي بأنه كان أحد القلائل الذين اهتموا برعاية الطفل منذ فترة الحمل الأولى ويعتبر كتابه «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم» من أهم الكتب التي أسهم بها الأطباء المسلمون في رعاية الأمومة والطفولة، وقد قام الدكتور محمود الحاج قاسم بتحقيق الكتاب، ونشره في العام ١٩٨٠م عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية «دار الرشيد للنشر» وكانت وفاة البلدي العام ٣٨٠هـ، وتنبه البلدي إلى أهمية الرضاع من الأم، حيث يقول: «وفي ملائمة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ صحتها». وقد اهتم أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (٣٢٥ - ٤٠٤هـ - ٩٣٦ - ١٠١٣م)، أعظم جرّاح في القرون الوسطى وصاحب الكتاب المرجع في علم الجراحة لقرون عدة «التصريف لمن عجز عن التأليف»، اهتم الزهراوي بجراحة الأطفال وأفرد لها فصولاً خاصة من كتابه العظيم. واشترك أحمد بن عبدالرحمن بن مندويه الأصفهاني المتوفى سنة ٤١٠هـ - ١٠١٩ بمؤلف في طب الأطفال أسماه رسالة في أوجاع الأطفال.

ويعتبر ابن سينا «أبو علي الحسين بن عبدالله» بحق أشهر أطباء المسلمين وأكثرهم نبوغاً وتأليفاً، حيث بلغت مؤلفاته ٢٧٦ كتاباً في مختلف فنون المعرفة ابتداء من اللغة مروراً بالفلسفة والفقه والشعر وانتهاء بالطب، ويعتبر القانون في الطب أشهر مؤلفات ابن سينا، ولقد بقي هذا الكتاب الفذ المرجع الأول للأطباء لمدة سبعة قرون في معظم جامعات العالم بما في ذلك جامعات أوروبا.

وابن سينا من مواليد بخارى في أوزبكستان، وأبوه من بلخ في شمال أفغانستان، ولقد عاش ابن سينا في القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٧٠ - ٤٣٢هـ - ٩٨٠ - ١٠٣٦م)، وكانت حياته مليئة بالاضطراب حيث تولى الوزارة في همدان «إيران» ثم ثار عليه الجند واستقر في أصفهان وتفرغ فيها للعلم والكتابة والتأليف فأثرى المكتبة العربية والإنسانية أيما إثراء.

وقد خصص ابن سينا فصولاً عدة من كتابه الموسوعي في الطب «القانون» لرعاية الأطفال وجعل في الجزء الأول من القانون أربعة فصول لرعاية الطفولة وهي:

فصل في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض.

فصل في تدبير الإرضاع والنقل.

فصل في الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجها.

فصل في تدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا.

ثم اتبع ذلك بقسم آخر سماه «التدبير المشترك للبالغين وهو سبعة عشر فصلاً، معظمها في الرياضة والغذاء وبدأ ذلك بقوله: لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو أن يمارس الرياضة ثم تدبير الغذاء ثم تدبير النوم وجب أن نبدأ الكلام بالرياضة»

وفي الجزء الثالث من القانون وضع ابن سينا فصلاً في الحصبة والجدري وآخر في الحميات وفصلاً في تشنج الأطفال.

وذكر ابن سينا أهمية الرضاعة من الأم فقال: «أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم، ولابن سينا لفتات لطيفة في رعاية الطفل حيث يقول: «فإنه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقا والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال».

ولابن سينا أيضاً أرجوزة في الطب عدد أبياتها ١٣٢٦ بيتاً خصص منها أربعين بيتاً للأم والطفل هي الأبيات ٩١٣ إلى ٩٥٢، وقد قسمها أيضاً، كما فعل في القانون إلى أربعة أقسام:

١ - تدبير الطفل في بطن أمه: حيث يتحدث في ارجوزته عما يجب على الحامل من الاحتياط في تناول الطعام ومنع من فصد دم الحامل، كما منع من إعطاء الحامل مسهلات قوية، وإذا كان لديها إمساك فعليها بالملينات الخفيفة.

٢ - تدبير المخاض والولادة: وفيها ينصح ابن سينا بتدليك الحامل قبيل الوضع في حمام ساخن ويأمر بالغذاء الجيد والمرق الدسم، ويحذر من إزعاج الحامل، ويأمر القابلة بأن تجعل الحامل تقوم بتمرينات رياضية قبل الوضع حتى تقوى عضلات البطن.

٣ - اختيار الظئر «المرضعة»: ويصف فيها صفات المرضعة الجيدة من امتلاء للجسم وتوسط للسن غير مترهلة معتدلة المزاج، خالية من الأمراض، كما يصف تغذية المرضع وعدم إزعاجها وتفريغها لمهمة الإرضاع.

٤ - تدبير الطفل في خاصته: ويشرح فيها ابن سينا كيفية العناية بالطفل حديث الولادة من حيث دهن جلده والتوسط في إرضاعه، وكيفية تنظيفه وشد قماطه، ومعاملته لينام نوماً هادئاً ثم تغذية الطفل بإضافة العسل كما ينصح بمناغاة الطفل بصوت منغم ملحن ويتحدث عن تأثير الموسيقا عليه، كما يتحدث عن أهمية تعليمه الكلام.

ولا يكتفي ابن سينا بذلك، بل يتحدث عن التشوهات في الجنين والمولود ويرجعها إلى الرحم الرديء أو ماء الرجل أو الولادة السيئة، أو نتيجة سوء رعاية المولود من ناحية تقميطه أو وقوع الطفل حيث تتكسر ساقه أو يده، ثم يتحدث ابن سينا بعد ذلك

عن ارتخاء العصب والتشنج، وميل الرقبة، ويختم ذلك بأثر الأورام والقروح في إفساد الشكل الظاهري للأعضاء.

وقد ترجمت أرجوزة ابن سينا إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي... ونشر الدكتور محمود الحاج قاسم الأبيات الأربعين المختصة برعاية الأطفال والحوامل في مجلة العربي العدد ٢٧٢، كما نشرها كذلك في كتابه القيم: تاريخ طب الأطفال عند العرب.

ولم يكتب ابن سينا بذلك كله، ولكنه وضع رسالة في سياسة الرجل ولده وقد شملت هذه الرسالة ما يلي:

١ ـ اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة، حيث يقول: إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاهة.

٢ ـ تأديب الطفل وعقابه منذ الصغر.

٣ ـ تعليم الطفل واختيار المؤدب الصالح: حيث يقول: وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً غير كز ولا جامد، بل يكون حلواً لبيباً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة.

ويقول: ينبغي البدء بتعليم القرآن، وصوِّر له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين، وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم القصيدة، ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وما حث على بر الوالدين، واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

ويحث ابن سينا على تعليم الصبي مع أقرانه لا منفرداً، فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه آخذ وبه آنس.

كما يهتم ابن سينا بميول الصبي وتوجيهه بعد إعطائه الثقافة الدينية الأولية حسب رغباته وميوله، حيث يقول: «وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يُراد أن تكون صناعته فوُجه لطريقه، فإذا أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه ذلك وطروح الحساب، ودخل به الديوان، وإن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدبر الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه... فلذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزيد أولاً طبع الصبي وسبر قريحته ويخبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك، فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا؟ وهل أدواته وآلاته مساعدة عليها، أم خاذلة، ثم يبتُّ العزم».

وبهذه الطريقة الفذة يكتب ابن سينا عن رعاية الأمومة والطفولة في مراحلها المختلفة رعاية شاملة كاملة، وإن كان ذلك متفرقاً في كتبه ورسائله.

ولذا فإن من أتى بعد ابن سينا وبخاصة من الأطباء كان عالة عليه إلى حد كبير، ولم يأتِ بالجديد منهم إلا القليل وبخاصة في موضوع رعاية الطفولة والأمومة الذي نحن بصدده، أما الفقهاء وعلماء الدين فقد توسعوا في هذا الباب من زوايا كثيرة لم يطرقها ابن سينا وإن طرقها لم يتوسع فيها كما توسعوا.

وسنكمل أولاً ما أضافه الأطباء إلى رعاية الأمومة والطفولة ثم نلتفت بعد ذلك إلى ما كتبه علماء الدين والفقه.

يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ ـ ١٠٩٧م

لم يضع يحيى بن عيسى بن جزلة كتاباً مستقلاً لرعاية الطفولة والأمومة، ولكنه تناول ذلك بشيء من الإسهاب في كتابه: «تقويم الأبدان في تدبير الإنسان» وفي هذا الكتاب فرق بين أمراض الأطفال والشباب والشيوخ وكيفية علاجها وقارن بينها مقارنة جيده.

علي بن رضوان المتوفى سنة ٤٥٣هـ ـ ١٠٦١م بمصر، وقد كتب في موضوع طب الأطفال ما يلي:

١ ـ مقالة في أن جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ظن قوم.

٢ ـ رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الأسد.

أبو الحسن علي بن هبل البغدادي المتوفى سنة ٦١٠هـ ـ ١٢١٢م صاحب كتاب المختارات في الطب الذي عقد في الجزء الأول منه أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الأطفال، ووضع فصلاً بعنوان «خلق الإنسان» لخص فيه معلومات علم الأجنة إلى زمنه.

أبو مروان عبدالملك بن زهر الأندلسي ٤٨٧ ـ ٥٥٨هـ/ ١٠٩٤ ـ١١٦٢م.

ورغم شهرة ابن زهر في الطب، إلا أنه لم يفرد طب الأمومة والطفولة بشيء من تأليفه، بل تحدث عن ذلك باختصار في كتابه الأغذية، حيث ذكر ما يحفظ الأجنة في الأجواف ثم القول في تدبير الطفل.

ابن النفيس «علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي المشهور بابن النفيس» ٦٠٧ ـ ٦٨٧هـ/ ١٢١٠ ـ ١٢٨٨م

أحد أعلام الطب البارزين في التاريخ الإسلامي، صاحب التصانيف الكثيرة في الطب والفقه وغيرهما... وأشهر كتبه في الطب شرح كتاب التشريح من قانون ابن سينا وموجز القانون، ولم يكتف فيه بإيراد وأقوال ابن سينا وجالينوس وغيرهما من الأطباء، ولكنه انتقد بعض أخطائهم، ويعتبر ابن النفيس أول من وصف الدورة الدموية الصغرى، كما كان أول من وصف الشرايين التاجية المغذية للقلب وأول من أوضح أن القلب له بطينان لا ثلاثة، كما زعم ابن سينا، وأول من كشف خطأ جالينوس في قوله: «إن الجدار الفاصل بين البطينين في القلب له فتحة ومسام».

ورغم أن إسهامات ابن النفيس في الطب كانت رائدة ومهمة، إلا أن إسهاماته في طب الأطفال ورعايتهم كانت محدودة برسالة في أوجاع الأطفال، ويبدو أن المنية عاجلت ابن النفيس، حيث لم يتم سوى ١٨ جزءاً من كتابه الموسوعي الشامل في الطب الذي كان يرفع كتابته في ثلاثمئة جزء.

ابن القف «أبو الفرج بن موفق الدين بن إسحاق بن القف» كان جده من نصارى الكرك بالشام، ثم أسلم وصار أبوه من أعلام الدين ولد سنة ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٢م، تتلمذ على ابن أبي أصيبعة صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء وترجم له.

وله من الكتب الشافي في الطب وشرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا في ست مجلدات، وله مقال في حفظ الصحة، وكتاب العمدة في صناعة الجراح وهو كتاب فذ في علم الجراحة.

وقد تكلم في كتبه هذه فصولاً لاتتعلق

برعاية الأمومة والطفولة، ففي كتابه «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض»، تكلم عن تكوين الجنين وحفظ صحة الحبالى وحفظ صحة الرضيع والمرضع وحفظ صحة الطفل قبل النظام وبعده وفي أيام الصبا والشباب والكهولة.

وتكلم في كتاب العمدة في صناعة الجراح وتكلم عن علاج الحصبة وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان وعلاج من يولد من الأطفال وكمرته ومقعدته غير مثقوبه، كما تكلم عن ختان الأطفال وأمور أخرى تتعلق بجراحة الأطفال مثل الأصابع الزائدة والملتصقة إلخ... وكانت وفاة ابن القف العام ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م.

داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨هـ - ١٦٠٠م داود بن عمر الأنطاكي.. ولد في أنطاكية وحفظ القرآن الكريم ودرس الأدب والطب حتى صار من الأعلام... له مؤلفات كثيرة في الطب والأدب أشهرها كتاب: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» المعروف باسم تذكرة داود «مطبوع»، وقد تحدث في هذا الكتاب عن كيفية العناية بالمولود، وتحدث عن الرضاع والمرضع وشروطهما وصفات الحليب الجيد وكمية اللبن التي ينبغي أن يرضعها الطفل حيث يقول: «وأقل ما يرضع الطفل في اليوم والليلة مئة وخمسين درهماً، والأكثر فيما قالوا خمسمئة درهم»، ويساوي الدرهم ٣,٨٩٨ غرام، وينصح داود المرضعات بأن يتوقفن عن الرضاعة إذا اضطررن لاستخدام الأدوية القوية التي تفرز في لبن الثدي حيث يقول: «وتعالج المرضع إن لم يكن ولابد من دواء قوي فلا ترضع يومه».

ويهتم داود بإضافة طعام آخر للطفل لعدم الاكتفاء بالرضاع وبخاصة قبيل النظام، والغريب حقاً أن داود الأنطاكي كان ضريراً، ورغم ذلك انتهت إليه رئاسة الأطباء في زمنه، وله بجانب التذكرة المشهورة كتاب «نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان» و«ألفية في الطب» وكفاية المحتاج في علم العلاج، ورسالة في علم الهيئة وشرح عينية ابن سينا، وزينة الطروس في أحكام العقول والنفوس، وغاية المرام في تحرير المنطق والكلام، والنزهة المبهجة في تشحيد الأذهان وتعديل الأفرجة». ■

أطفال المشركين أفي الجنة هم أم في النار؟

بقلم: محمد سلامة جبر

ما حكم من مات صغيراً من أبوين غير مسلمين؟ هل يدخل النار مع الداخلين؟ أم ينعم الله عليه بالجنة مع المسلمين؟

قلت: اختلف العلماء في حكم أولاد المشركين يوم القيامة، وسبب الخلاف تعارض النصوص الواردة في المسألة، فقال بعضهم: «إن الله يمتحنهم يوم القيامة» واستدلوا بما رواه أحمد والبزار، وفيه أن الله يمتحن من مات صغيراً، ومن لم يدرك الرسول، أو أدركه وهو هرم لا يعي، أو أبله لا يعقل، فيأمرهم أن يقذفوا بأنفسهم في النار! فإن أطاعوه أدخلهم الجنة وإن عصوه دخلوا النار! غير أن هذا ضعيف، رده جماعة من العلماء المحققين منهم ابن عبد البر، فقد قال ما نقله عنه ابن القيم في طريق الهجرتين ص٣٩٩: «أهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب، لأن الآخرة ليست دار عمل ولا ابتلاء، فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين؟! والله لا يكلف نفساً إلا وسعها».

والقول الثاني: التوقف، قلت: توقف بعضهم في الحكم على أهل الفترة وأطفال المشركين وقالوا: «الحكم فيهم راجع إلى المشيئة الإلهية» واستدلوا بما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

قلت: الحديث صحيح بلا ريب، غير أن الاستدلال به على التوقف غير صحيح، لأن قوله: (الله أعلم بما كانوا عاملين) لا يدل على أكثر من علم الله بعملهم لو أنهم أدركوا سن التكليف، ولا يدل على مؤاخذتهم بعلمه فيهم!

والقول الثالث في المسألة إنهم في النار تبعاً لآبائهم، واستدلوا بحديث ضعيف رواه يحيى بن المتوكل عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين: «أين هم يوم القيامة؟» فقال: «في النار» قالت عائشة: «لم يدركوا الأعمال، ولم تجر عليهم الأقلام؟!».

قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

قال ابن القيم في طريق الهجرتين: «يحيى بن المتوكل - راوي الحديث - لا يحتج بحديثه، فإنه في غاية الضعف».

والقول الرابع في المسألة: (أنهم خدم أهل الجنة) وهو مردود لضعف ما جاء فيه من الحديث.. أما القول الصحيح إن شاء الله، فهو قول من قال: (إنهم في الجنة) لصحة ما جاء في ذلك من الأحاديث، ولموافقته ما علمناه من سعة رحمة الله..

وقد جاء في مستخرج البرقاني على البخاري من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة». فقال الناس: «يا رسول الله، وأولاد المشركين؟». قال: «وأولاد المشركين».

وروى الإمام أحمد وأبو داود أن حسناء بنت معاوية قالت: حدثني عمي قال: قلت للنبي ﷺ: «يا رسول الله، من في الجنة؟». قال: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة».

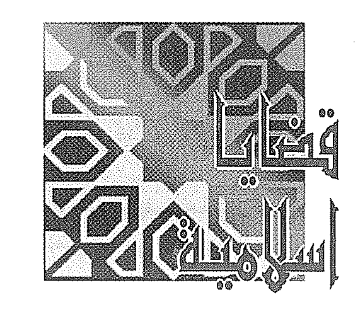
وحسبنا في ذلك قوله تعالى في سورة (الإسراء: ١٥). (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا). وقوله سبحانه في (القصص: ٥٩): (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون).

وأصرح من ذلك قوله تعالى في (الأنعام: ١٦٤): (ولا تزر وازرة وزر أخرى). وقوله سبحانه في (يس: ٥٤): (فاليوم لا تظلمُ نفسٌ شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون).

وقد استوفى الإمام ابن القيم أدلة القائلين بأن أطفال المشركين في الجنة في كتابه طريق الهجرتين (ص٣٩٣) ثم قال: «وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة، ولا سبيل إلى دفعها».

ومع شهادته تلك يبدو أنه اختار قول من قال بامتحان أطفال المشركين يوم القيامة، وهو ما تقدم في صدر الجواب.. غير أننا نلزمه بشهادته لحجج القائلين بنجاة أطفال المشركين من النار، ونرجو أن يكون ذلك هو الحق عند الله، فإن الله غني عن تعذيب من مات ولم يبلغ الحلم من أطفال المشركين، وهذا هو رجاؤنا بأرحم الراحمين، فنسأله بفضله ورحمته أن يجعلنا من أهل فضله ورحمته في الدنيا والآخرة، بمنه وكرمه آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■



واجب العلماء تجاه القضية الأفغانية

د. محمد فضائل محمد صديق القرشي

الحمد لله الذي هيأ لهذه الأمة علماء مصلحين ودعاة مبصرين يجمعون شتات الأمة، ويسعون إلى توحيد الكلمة، والصلاة والسلام على إمام المصلحين، ورسول رب العالمين، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: العلماء في الإسلام لهم منزلة سامية ومكانة عالية، فهم حياة الأمةوقلبها النابض، وشريانها المتدفق، وهم حماة الشريعة، فكم من جاهل بصَّروه، وكم من تائه أرشدوه، وكم من شبهة أو افتراء على الإسلام وأهله إلا وأدحضوه أو فندوه، وكم من تخاصم وتقاتل بين المسلمين إلا وأخمدوه وأدفنوه، وكم... وكم... فلا غرو أن تشيد بفضلهم النصوص الكريمة من الكتاب والسنة... نقرأ في كتاب ربنا عز وجل قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة: ١١، وقوله سبحانه وتعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر: ٩.، ولا عجب أن يكونوا هم أكثر الناس خشية لله تبارك وتعالى، لقوله سبحانه وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر: ٢٨، وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله صل الله عليه وسلم - قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال - صلى الله عليه وسلم - «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير»، حديث حسن، ولله در القائل:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

ومن منطلق هذه المنزلة والمكانة فإن مسؤولية العلماء بلا شك تجاه القضايا المصيرية للأمة كبيرة وضخمة، تستوجب منهم السعي الحثيث والعمل المتواصل دونما كلل أو ملل من أجل الحفاظ على وحدة الأمة وقوتها، وتلافي المشكلات وتفاقم الأزمات حتى لا تصل الأمور إلى ما لا يحمد عقباه، ولا يدرك منتهاه. وإن من القضايا التي تستوجب على علماء الأمة التعامل معها بكل جدية وحزم والعمل الدؤوب من أجل إخماد نيرانها حتى لا تلتهم الأخضر واليابس تلك الخلافات والنزاعات بين أبناء الأمة، والتي لا تؤدى إلا إلى زرع الفتنة، وتفرق الكلمة وتشتيت الجهود... نعم للنقد البناء والخلاف من أجل الوصول إلى الحل الأمثل فيما نختلف فيه في جو من المحبة والمودة والإخاء، فاختلاف الأمة في هذا رحمة، أما الخلاف الذي يهدم ولا يبني، يدمر ولا يعمر، يفسد ولا يصلح فهو خلاف مذموم، وداء خطير وشر مستطير، يودي بحياة الأمة، ويقوض أركانها، وصدق الله العظيم إذ يقول: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال: ٤٦.

إن من جراحات الأمة النازفة، وآلامها المريرة ولياليها المظلمة، والتي يعتصر لها الفؤاد ألماً ما آل إليه الجهاد الأفغاني... هذا الجهاد الذي سطر فيه المجاهدون أروع الملاحم والبطولات في القرن العشرين قرابة عقد ونصف العقد من الزماني ... هذا الجهاد الذي كان سبباً في هز صروح المعتدين، وإزاحة الظلم والأغلال عن المظلومين والمضطهدين في بلاد ما وراء النهر حتى ارتفعت نداءات الله أكبر فوق المآذن والقباب في تلك البلاد ليعلنوها مدوية أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، نرى هذا الجهاد قد تحول إلى صراع مذموم وتقاتل وتناحر بغيض بين أحزاب المجاهدين، وصار هذا البلد الذي كان يضرب به المثل في التضحية والبطولات مسرحاً للصراعات والاختلافات بين تلك الأحزاب، وكأن الجهاد كان حلماً تحلم به، ولم يكن له حقيقة في أرض الواقع!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

لاشك أن أعداء الإسلام لهم يد طولى فيما يجري في أفغانستان فهم لا يريدون للإسلام أن تقوم له قائمة، أو تكون للمسلمين قوة ومنعة، مصداقاً لقوله تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) البقرة: ١٠٥، وقوله تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) البقرة: ١٠٩، وقوله تعالى: (لا يأتونكم خبالاً ودوا لو عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) آل عمران: ١١٨، ولكن الله لهم بالمرصاد، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، (يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة: ٣٢، ولا يعني كلامنا هذا أبداً أن نبرأ ساحة تلك الأحزاب، فإنها مسؤولة أمام الله عز وجل إن لم تتق الله في أنفسها، وتضع خلافاتها وراء ظهورها، وتفكر تفكيراً صادقاً من أجل مستقبل أفغانستان.

إن على علماء الأمة وحماة الشريعة مسؤولية عظيمة تجاه ما يجري في أفغانستان إن عليهم أن يبذلوا كل سبب مشروع يرتجى منه الوصول إلى حل عادل للمأساة التي يعاني من ويلاتها الشعب الأفغاني المسلم، قد يقول قائل: إنه قد بذل الكثير من الجهود من أجل إنهاء الأزمة ولكن دون جدوى، نقول: إن اليأس لا يعرف إلى نفس المؤمن سبيلاً، فاليأس ليس من شيمة المؤمن، قال تعالى: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧.

فيا علماء الشريعة: إن أفغانستان أمانة في أعناقكم ... إنكم مسؤولون أمام الله عز وجل عن آهات اليتامى، وبكاء الثكالى، وصرخات الأيامى إن فرطتم أو قصرتم في واجبكم تجاه أفغانستان، إن كل قطرة دم تراق ظلماً وعدواناً لهي أشد عند الله من حرمة الكعبة، فلا تدخروا وسعاً في بذل كل ما فيه بارقة أمل وبصيص نور لحل هذه الأزمة التي طال ليلها... كفانا سماع أزيز الطائرات وأصوات المدافع ... كفانا قتل الأبرياء ودموع البؤساء.

يا علماء الأمة: إن أفغانستان قطعة غالية وجزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي الكبير، فإياكم والتفريط فيها أو بشيء من أرضها التي ارتوت بدماء أولئك الأبطال الفاتحين من المجاهدين الأوائل أيام الخلفاء الراشدين، الذين أبوا إلا أن يقطعوا البوادي والقفار، ويحملوا أمانة الدعوة إلى جبال هندوكش وربا أفغانستان وبلاد ما وراء النهر، ويرووا شجرة الإسلام بدمائهم الزكية الطاهرة فوق أراضيها، حتى يبقى الإسلام عزيزاً شامخاً يشع نوره وتنعم البشرية تحت ظلاله الوارفة، إن أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر، فهل نفوت عليهم الفرصة؟ يا علماء الأمة: رب كلمة تصنع ما عجزت عن صنعه الطائرات والدبابات، ورب دعوة حكيمة خرجت من في صادق مخلص شرحت قلوباً غلفاً، وأنارت أعيناً عمياً، وأسرت آذاناً صماً، ما بذلوا غاية ما في وسعكم، ولا ييأسوا من روح الله، والله معكم. ■



أوهام حقيقية عن الأصولية الإسلامية

هذا الكتاب الذي يقع في نحو ٣٤٨ صفحة من القطع المتوسط هو من تأليف الدكتور أحمد موصللي الأستاذ المشارك في دائرة العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية في بيروت، ونشرته دار «جارنيت للنشر البريطانية ضمن إصدارات «ايثاكابرس».

يتألف الكتاب من جزأين، الجزء الأول يتضمن الدراسات النظرية وهو دراسة للمؤلف بعنوان «تمهيد للأصولية الإسلامية»، حقائق وأيديولوجيات وسياسات دولة»، ودراسة للباحثة كيرستن وولف بعنوان «جديد الاستشراق الجديد»، ودراسة للباحث أرماندو سالفانوري بعنوان «إشكاليات منطقية من المصطلحات الإسلامية»، ودراسة للباحث «رونالد جودي» بعنوان: «الإسلامية وبناء الإنسان».

أما الجزء الثاني فيشتمل على دراسات ميدانية لحالات معينة هي: «الدولة والمجتمع المدني والأصولية الراديكالية في الجزائر» (ليحيى زبير) و «الإسلاميون في مرحلة الليبرالية في الأردن» لجلين روبنسون و «النهج الإسلامي والمجتمع المدني في قطاع غزة» لمايكل ايرفنج جانسن، والبرامج التنموية للجماعات الأصولية الإسلامية في لبنان كمصدر للشرعية الشعبية لهلال خشان، ومستقبل الحركات الإسلامية في لبنان لنزار حمزة، والدولة الإسلامية الرأسمالية في المملكة العربية السعودية لميشال نعمة، وأسباب شعبية الأصولية في مصر لميرنا حمود، واللافت في محتويات الكتاب إنها عصرية المعايشة لظاهرة الأصولية، كما عرفت في الغرب والمتابعة الدقيقة للمعلومات في دراسات الميدانية والتي هي الجزء الثاني من الكتاب في حين يطرح الجزء الأول أفكاراً وتعاريف ويدخل في معالجة مثيرة للنقاش قد يوافق عليها القارئ وقد يرفضها لكنها تطرح اليوم عناصر منظمة للبحث والجدل حول إحدى أهم المسائل الفكرية والسياسية وأكثرها حدة في عالم اليوم.

مركز دراسات الوحدة العربية يعلن عن جائزة عبدالله الطريقي

أعلن مركز دراسات الوحدة العربية عن إنشاء جائزة تقديرية أو تشجيعية باسم «جائزة عبدالله الطريقي، تمنح في ذكرى وفاته يوم ٧ سبتمبر مرة كل عامين، ويشرف المركز على وقفية أقيمت باسم «وقفية عبدالله الطريقي»، تبلغ قيمتها مليون دولار تم الاكتتاب بنصفها حتى الآن، وينتظر أن تتزايد قيمتها بعد الإعلان عن إنشائها، أما قيمة الجائزة فتبلغ ٢٥ ألف دولار، يتم توفيرها من عائد الوقفية، وسيجري الترشيح لنيل الجائزة عن طريق المؤسسات العلمية والسياسية والمهنية والأهلية، بالإضافة إلى الشخصيات القومية في الأقطار العربية، ثم يتم اختيار الفائز بالجائزة بواسطة لجنة تحكيم تشكل خصوصاً لهذا الغرض.

الأوقاف أصدرت الجزء ٣٨ من الموسوعة الفقهية

أعلن مدير إدارة البحوث والموسوعة الإسلامية في قطاع الإفتاء والبحوث خالد عبدالله الشعيب عن صدور الجزء ٣٨ من الموسوعة الفقهية، ويحتوي الجزء ٣٨ على ٩٦ مصطلحاً موسوعياً، منها ٢٣ مصطلحاً أصلياً كبيراً و ٢٩ مصطلح إحالة.

ندوات إسلامية

الإعلام الدولي وقضايا المسلمين

تنظم رابطة الجامعات الإسلامية نهاية نوفمبر المقبل ندوة موسعة تجمع قادة الإعلام في مختلف المؤسسات الإعلامية في الدول الإسلامية والخبراء لبحث موضوع الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي.

وتهدف الندوة التي تستمر ثلاثة أيام إلى تجميع جهود العالم الإسلامي لوضع استراتيجية كاملة للإعلام الذي يبث على مختلف الوسائل، كما يساعد على تكوين رسالة إعلامية تعبر عن الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخاً وسلوكاً، وتعطي القدوة من أفعال وسير الرسول الكريم وخلفائه على أن تشمل هذه الاستراتيجية استبعاد كل ما ينشر مخلاً بقيم الإسلام وأصوله والآداب والأخلاق التي يقوم عليها.

وقال الدكتور جعفر عبدالسلام، الأمين العام للرابطة إن المؤتمر سيبحث محاور عدة تتضمن الإسلام والمسلمين في النظام العالمي، ويشمل الإسلام وعولمة الرسالة الإعلامية، ويتضمن المحور الثاني دراسة الاتجاهات الحديثة في صناعة الإعلام الدولي وتأثيرها على وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، فضلاً عن محور حول حدود المنافسة وضرورة التكامل بين وسائل الإعلام الإسلامية وأوليات الإعلام بالقضايا الإسلامية.

الاجتهاد المقاصدي حجيته .. ضوابطه .. مجالاته



الاجتهاد المقاصدي

حجيته .. ضوابطه .. مجالاته

الجزء الأول

د. نور الدين بن مختار الخادمي

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الخامس والستون «الجزء الأول» تحت عنوان «الاجتهاد المقاصدي حجيته... ضوابطه... مجالاته» للدكتور نورالدين بن مختار الخارجي وهذا الكتاب الذي صدر في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الصغير يعتبر محاولة جادة لإعادة طرح موضوع الاجتهاد المقاصدي، واستدعائه إلى ساحة الاهتمام الفقهي والفكري، وفتح ملفه من جديد، وإن كان هذا الملف لم يغلق تماماً، إلا أن الساحة الإسلامية بحاجة مستمرة إلى هذه الرؤية المقاصدية، أو الثقافة المقاصدية، التي تمنح العقل المسلم المعاصر أقداراً مهمة من ضرورة التقويم والنقد والمراجعة ودراسة الجدوى لطبيعة الأداء، كما تسهم إلى حد بعيد ببناء عقلية التخطيط وتحديد الأهداف والمقاصد في ضوء الإمكانات والاستطاعات المتوافرة والظروف المحيطة، ذلك أن بناء العقلية المقاصدية تخلص العمل الإسلامي من العشوائية والارتجال وعدم الإفادة من التجارب، والتعرف على مواطن الخلل، كما تحمي العاملين من الإحباط واليأس، الذي يجيء ثمرة لاختلاط الأماني بالإمكانات، فيؤدي إلى مجازفات، كنا وما نزال ندفع تجاهها الأثمان الباهظة.

ولئن جاء الكتاب في الإطار الفقهي التشريعي، بحيث قد ينحصر خطابه في شريحة محدودة من المتخصصين تخصصاً دقيقاً، فإنه يسهم - فيما نرى - إسهامات واضحة في تشكيل الثقافة المقاصدية، بما ينضحه من رؤى فكرية وفقهية معاً، قد لا تتوقف عند حدود الاستعراض التاريخي لمسيرة الاجتهاد المقاصدي، بحيث يمنح استشراف هذا التاريخ قدراً مهماً من رؤية المستقبل واستشرافه، للامتداد بخلود هذا الدين، وبسط تعاليمه الإنسانية على المجتمعات البشرية.

أخبار ثقافية

- أعلنت اليونسكو أسماء الهيئات والبرامج التي فازت بالجوائز الدولية لمحو الأمية للعام ١٩٩٨م، وكانت لجنة التحكيم الدولية المكلفة باختيار الفائزين قد اجتمعت في مقر المنظمة، وقررت تقديم جوائز هذا العام إلى عدد من المؤسسات التربوية والتعليمية في مختلف مناطق العالم.
- تبدأ فعاليات الدورة العاشرة لوزراء الثقافة العرب في الشارقة في شهر نوفمبر المقبل، وتناقش الدورة التراث الثقافي للقدس الشريف، وتأسيس قناة فضائية عربية ومشاريع الثقافة في الدول العربية.
- أعلن وقف المستشار الدكتور محمد شوقي الفنجري لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي أن آخر موعد لاستلام بحوث الجائزة للعام ١٩٩٩م هو نهاية شهر مارس للعام نفسه، والجدير بالذكر أن محاور الجائزة هي: حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، التقريب بين المذاهب الفقهية، الإعلام الإسلامي المعاصر ودوره في مواجهة مشكلات العالم الإسلامي.

الإرهاب في أوروبا الشرقية

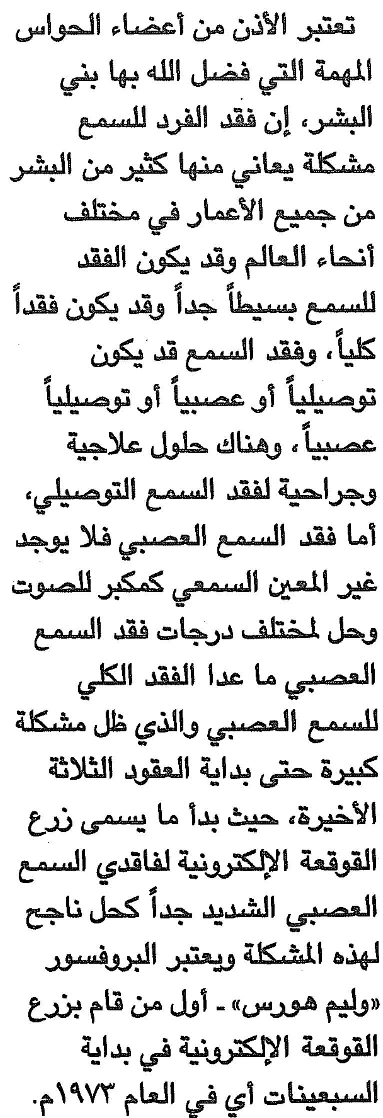
من أبرز الكتب التي صدرت في ألمانيا الكتاب الذي وضعه الباحثان السياسان «هرمان فيبر وأولريش مالرت» تحت عنوان «الإرهاب الشيوعي في أوروبا الشرقية»، وأصدرته دار نشر «شونينغ» الألمانية في مدينة «بادبورن»، ويقع في نحو ٦٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وهو يقدم نماذج حية من أعمال الظلم والاضطهاد وتصفية الخصوم في دول الأنظمة الشيوعية وبخاصة في الاتحاد السوفييتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وألمانيا الشرقية سابقاً.

وقد أفرد الكتاب فصولاً عدة مطولة، حول أعمال القتل والتصفية الجسدية منذ أواخر الثلاثينات، حتى انقضاء العهد الستاليني، مشيراً إلى أن عامي ١٩٣٨/٣٧م قد شهدا اعتقال ما يزيد على ٢,٥ مليون شخص في الاتحاد السوفييتي، وتمت تصفية نحو ٦٨٠ ألفاً منهم جسدياً، الأمر الذي كشفت عنه الوثائق التي نشرت أو تسربت بعد انهيار النظام فيه، مؤكداً أن عمليات التصفية الستالينية التي بلغت قمتها خلال الفترة الواقعة بين الأعوام ١٩٣٥م و ١٩٤١م، قد أدت إلى اعتقال ٢٠ مليون شخص، وإعدام ٧ ملايين منهم، وذلك في إطار عمليات التنظيف التي طبقها ستالين والتي لم تقتصر على خصومة فقط، بل شملت عشرات الألوف من أقرب أعوان النظام البلشفي، بما فيهم أعضاء الحزب الشيوعي وكبار قادة الجيش الأحمر، وكذلك الشيوعيون والاشتراكيون في ألمانيا الشرقية.

وقد فسَّر مؤلفا الكتاب أن عمليات التصفية والاعتقال والقتل الجماعي والفردي لم تكن دليلاً على قوة النظام الحاكم في الاتحاد السوفييتي آنذاك، بقدر ما كانت تعكس الخوف الذي كان يسيطر على الطبقة الحاكمة، وضعف النظام الشيوعي نفسه، الأمر الذي ظهر بوضوح داخل دول المعسكر الشرقي بعد انتقال هذه الموجة من التصفية والإرهاب إليها من الاتحاد السوفييتي السابق، وحتى في الدول التي خرجت عن خطه بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مقدمها يوغسلافيا التي شهدت في العام ١٩٤٨م موجات هستيرية رهيبة من عمليات الاضطهاد والمحاكمات الصورية والتصفية الجسدية.

وقد أورد المؤلف «هرمان فيبر» المتخصص في تاريخ الحكم الشيوعي في ألمانيا الشرقية معلومات وأرقاماً جديدة استطاع الحصول عليها من مصادرها الأصلية بعد انهيار حكم «أولريش هوينكر» الشيوعي في برلين الشرقية، تتعلق بعمليات الاعتقال والتعذيب والتصفيات الجسدية التي نفذها أتباع الحزب الشيوعي بعد تولي الحكم في البلاد بزعامة «فالنر أولبريشت» ومجموعته الستالينية التي رافقت الجيش الأحمر عند احتلاله الأجزاء الشرقية من ألمانيا النازية في أواخر الحرب العام ١٩٤٥م، وتحالف الحزب الشيوعي الألماني مع الاشتراكيين الألمان تحت اسم «الحزب الاشتراكي الألماني الموحد»، بزعامة أولبريشت، ثم هوينكر، إذ إن عملية الاندماج هذه بين الشيوعيين والاشتراكيين الألمان أدت إلى عمليات تصفية واسعة وفرار الملايين من الألمان الشرقيين إلى الغرب قبل إنشاء جدار برلين العام ١٩٦١م.

زراعة القوقعة الإلكترونية



تعتبر الأذن من أعضاء الحواس المهمة التي فضل الله بها بني البشر، إن فقد الفرد للسمع مشكلة يعاني منها كثير من البشر من جميع الأعمار في مختلف أنحاء العالم وقد يكون الفقد للسمع بسيطاً جداً وقد يكون فقداً كلياً، وفقد السمع قد يكون توصيلياً أو عصبياً أو توصيلياً عصبياً، وهناك حلول علاجية وجراحية لفقد السمع التوصيلي، أما فقد السمع العصبي فلا يوجد غير المعين السمعي كمكبر للصوت وحل لمختلف درجات فقد السمع العصبي ما عدا الفقد الكلي للسمع العصبي والذي ظل مشكلة كبيرة حتى بداية العقود الثلاثة الأخيرة، حيث بدأ ما يسمى زرع القوقعة الإلكترونية لفاقدي السمع العصبي الشديد جداً كحل ناجح لهذه المشكلة ويعتبر البروفسور «وليم هورس» - أول من قام بزرع القوقعة الإلكترونية في بداية السبعينات أي في العام ١٩٧٣م.

بقلم : د. كمال الدين أبو الحمد

إن عملية زرع القوقعة الإلكترونية للأذن الداخلية هي عملية الغرض منها إعادة قدرة المريض المصاب بالصمم الكلي على الاتصال سمعياً بالبيئة الخارجية عن طريق الاستثارة الكهربائية لقوقعة الأذن الداخلية للمرضى الذين لايفيدون من المعين السمعي القوي.

والمعين السمعي هو مكبر إلكتروني للصوت سهل الارتداد يعمل على مساعدة ضعيفي السمع وتوجد منه أنواع كثيرة ومختلفة منها ما هو محمول خلف الأذن ومنها ما يوضع داخل الأذن أو مرتبط بالنظارة (شكل ١) ومنها ما يحمل داخل ملابس الأصم.

ويتطلب لإجراء هذه العملية ما يلي:

١ - أن يكون المريض فاقداً للسمع فقداً كاملاً بكلتا أذنيه.

٢ - ألا يمكن أن يفيد من المعين السمعي القوي جداً.

٣ - أن يكون على دراية ومتوقعاً للإمكانات المحدودة للجهاز.

٤ - ألا يكون مختلاً نفسياً وعقلياً.

٥ - ألا يكون هناك مانع طبي لزرع القوقعة مثل الضعف الصحي الشديد أو عدم قدرته على احتمال التخدير الكلي أو عدم وجود عصب السمع.

٦ - ألا يكون هناك مانع عظمي للأذن الداخلية بالأشعة المقطعية مثل عدم تكون أذن داخلية (شكل ٢) أو وجود خلل في عظام قناة القوقعة للأذن الداخلية.

٧ - أن يكون عمره أكبر من سنتين وأقل من سعبين عاماً.

وهناك موانع لإجراء عملية زرع القوقعة الإلكترونية مثل:

أ - أن يكون المريض مولوداً فاقداً للسمع كلياً وعمره أكثر من ست سنوات.

ب - ألا يكون هناك قوقعة أذن داخلية بكلتا أذنيه (شكل ٢).

ج - أن يكون لديه قدرة ولو بسيطة جداً على السمع.

د - عدم قبوله نفسياً لتركيب القوقعة الإلكترونية.

وللقوقعة الإلكترونية أنواع مختلفة ولكنها تتكون من عناصر أساسية متشابهة (كما في شكل ٣) وهي :

- الميكروفون.
- منسق الكلام والملف الناقل.
- الملف المستقبل.
- الأقطاب التي توضع داخل قناة قوقعة الأذن أو خارجها.

وتوجد أنواع مختلفة من القواقع الإلكترونية مثل:

١ - قواقع إلكترونية ذات القطب الواحد وتركب داخل القناة الداخلية لقوقعة الأذن الداخلية.

٢ - قواقع إلكترونية ذات قطب واحد ويتم إلصاقها بجدار القوقعة للأذن الداخلية.

٣ - قواقع إلكترونية متعددة الأقطاب، ويتم إلصاقها بجدار قوقعة الأذن الداخلية.

٤ - قواقع إلكترونية متعددة الأقطاب وتركب داخل القناة الداخلية لقوقعة الأذن الداخلية.

وأشهر هذه الأنواع على مستوى العالم القوقعة الإلكترونية ذات الاثنين والعشرين قطباً.

وعملية زرع القوقعة هي عملية يتم فيها إدخال أقطاب القوقعة إلى داخل قناة القوقعة للأذن الداخلية أو ملصقة لجدارها بالأذن الوسطى ويتم فيها أيضاً تثبيت الملف المستقبل للقوقعة بجدار عظمة الجمجمة خلف الأذن تحت الجلد وبعد التئام الجرح يقوم المريض في أثناء استخدام الجهاز بوضع الملف الناقل على الجلد مقابلاً للملف المستقبل وعن طريق التجاذب المغناطيسي بينهما، تثبت في مكانها والميكروفون يستقبل الموجات السمعية ويحوّلها إلى منسق الكلام وعن طريق نظام إف إم تنقل إلى ملف المستقبل، ثم إلى الأقطاب وبإشارتها الكهربائية إلى بقايا عصب السمع الحية ثم إلى مراكز السمع بالمخ، وبذلك يتم سماع الصوت لكن قدرة فاقدي السمع على تميز الكلام تختلف لاختلاف عوامل كثيرة، منها نوع القوقعة المزروعة، وفترة فقد المريض للسمع وحاله قبل فقده للسمع وقدرة مجموعة التأهيل التخاطبي ومدى مداومة المريض على برامج التأهيل.

إن عملية زرع القوقعة الإلكترونية على الرغم من أنها توضح مدى ما توصل إليه العلم من تقدم وتكنولوجيا في خدمة الإنسان إلا أنها باهظة التكاليف في الوقت الحالي وتكلف عملية زرع القوقعة ما يساوي خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني، منها أربعة عشر ألف جنيه للجهاز فقط، لكننا على أمل في المستقبل القريب أن تقوم بعض الشركات العالمية بتصنيع أجهزة بأسعار أقل ومناسبة للدول النامية التي فيها نسبة كبيرة من فاقدي السمع الكلي.

ومن حسن الحظ أن هذه العملية لها مضاعفات بسيطة قد لا تذكر حتى الآن ومن هذه المضاعفات:

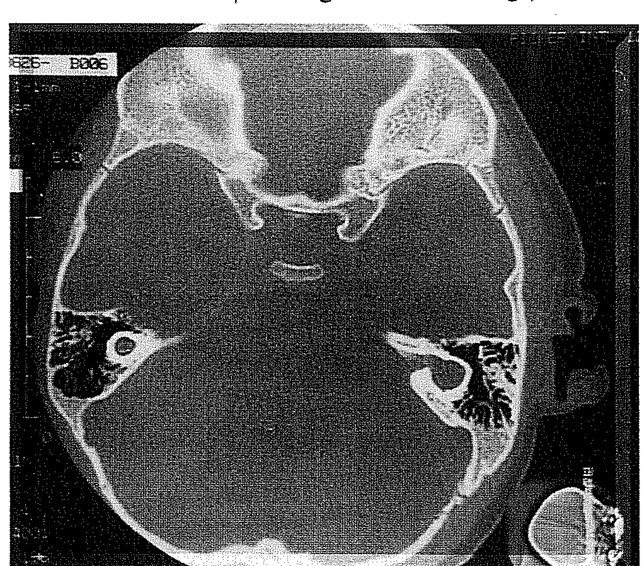
١ - التهاب الجرح.

٢ - تحرك الأقطاب من أماكنها أو التوائها أو تكسرها.

٣ - تحرك الملف المستقبل وخروجه من خلال الجلد.

٤ - فشل القوقعة الكترونياً.

وفي كل حالة يتم استقصاء النواحي الآتية، التاريخ المرضي، الفحص الإكلينيكي، الفحص السمعي، عمل أشعة مقطعية، ويختتم بقرار فريق زرع القوقعة ثم يتم إجراء عملية زرع القوقعة لمن تكون حاله تستوجب ذلك.



ومن ناحية التاريخ المرضي يتم استقصاء عناصره الثلاثة: الحاضر - والماضي - والعائلي - ويستقصى في التاريخ المرضي الحاضر عن عمر المريض وجنسه والسبب المفترض لفقده، ومدة فقده للسمع ويستقصى في التاريخ المرضي الماضي عن تعرض المريض لمشاكل في أثناء الولادة أو بعد الولادة وعن فترة الحمل عما إذا كان المريض قد تعرض لمرض الالتهاب السحائي الوبائي، أو تعرضه لخبطة أو صدمة على رأسه، أو أذنه أو عما إذا كان قد تم حجزه بالمستشفى من قبل وسبب دخوله المستشفى، أما استقصاء التاريخ المرضي العائلي، فيشمل حدوث حالات ضعف للسمع في محيط العائلة من عدمه ويستتبع ذلك الفحص الإكلينيكي للمريض ويشمل أذنيه وأنفه وحلقه للبحث عن سبب موضعي لضعف سمعه من عدمه، ثم يتم إجراء الفحوصات السمعية كمقياس السمع من دون استخدام المعين السمعي، ثم باستخدامه ومقياس ضغط الأذن ومقياس قدرة الأجهزة العصبية السمعية بالمخ والمخيخ والأذن الداخلية على السمع بالأجهزة الإلكترونية ثم يتم إجراء أشعة مقطعية على الأذنين لتحديد مدى ملائمة القناة الداخلية لقوقعة الأذنين لإدخال أقطاب القوقعة الإلكترونية.

وبعد إتمام إجراء العملية وقبل قفل الجرح يتم إجراء فحوصات سمعية للأطفال للتأكد من أن الأقطاب في أماكنها المطلوبة وأنها تعمل بكفاءة ثم يتم إجراء برامج تأهيل تخاطبية لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر.

إن عملية زرع القوقعة الإكترونية للأذن الداخلية أصبحت عملية سهلة الإجراء في أماكن مختلفة من العالم ويوجد مركزان لإجرائها في مصر أحدهما في جامعة عين شمس، والآخر في جامعة الإسكندرية، كما أن الجهاز المقبول لدى الأطفال، والكبار رجال ونساء وحل مشكلة معضلة من المشاكل الطبية، ولكن هل يسمح لمن يستخدم القواقع الإلكترونية القيام بكل أنشطته السابقة الجواب : لا ... هناك بعض الموانع مثل الأنشطة الرياضية التي تتطلب التحاماً جسدياً مثل رياضة الملاكمة والتي قد تحرك الملف والمستقبل من مكانه كما يمنع استخدام الأشعة ذات الموجات المغناطيسية واستخدام جهاز الكي الكهربائي أو العلاج بالأشعة بالقرب من الجهاز. ■



٤٥ ٪ من اليهود في فلسطين يستعدون لمغادرة إسرائيل

أكد استطلاع رسمي إسرائيلي بين اليهود في فلسطين أن ما نسبته ٤٥٪ منهم يعدون العدة لمغادرة الكيان الصهيوني.

نسب المشرفون على الاستطلاع سبب المغادرة أو الرغبة فيها إلى سوء الأحوال الاقتصادية إلا أنهم تجاهلوا سبباً آخر وهو ارتفاع نسبة الجريمة بين الخليط اليهودي في فلسطين لدرجة يصعب كبح جماحها حسب المعطيات والمسببات الدافعة لها.

قالت مصادر إسرائيلية إن «يهود فيلك» المفتش العام للشرطة قدم تقريراً للحكومة يستعرض فيه النصف الأول من العام الجاري والجرائم التي ارتكبت خلاله، ونسبتها إلى الفترة نفسها من العام الماضي ١٩٩٧م.

وعلى الرغم من التعتيم والتكتم المبالغ فيه حول معطيات التقرير، إلا أن المصادر أكدت أنه تقرير سوداوي متشائم لأبعد الحدود، وذلك لطبيعة المعلومات المخيفة التي يضمها.

وحسب صحيفة «معاريف» العبرية، فإن النزر اليسير الذي تسرب من التقرير يشير إلى وقوع أكثر من ٩٢ ألف جريمة في إسرائيل، وهي جرائم من النوع الخطير كالمخدرات والقتل واقتحام المنازل والممتلكات، حيث سجلت بعض الجرائم الخطيرة ارتفاعاً بأكثر من ١٣٪ قياساً بالفترة نفسها من العام الماضي.

وعدد التقرير أنواع الجرائم الخطيرة التي زادت نسبتها على مثيلتها في العام الماضي وبشكل مفزع.

ويبدو الحديث في إسرائيل عن تبلور عصابات منظمات ذات سطوة ونفوذ كبيرين على بعض كبار المسؤولين السياسيين والأمنيين في إسرائيل، بحيث أصبح اليهودي العادي يتكلم في مجالسه الخاصة عن مجتمع تحكمه قوة العصابات التي تمارس الابتزاز وأعمال الخطف أو إحراق «الممتلكات» في حال عدم رضوخ الضحية للدفع، الأمر الذي جعل المستعمرين اليهود الذين جاؤوا من شتى أرجاء العالم للعيش في«الجنة الموعودة»، يعملون على سرعة انتقالهم إلى خارج إسرائيل.

عدد المستوطنين في غزة والضفة يقفز إلى ١٧٠ ألفاً

قالت صحيفة ها آرتس الإسرائيلية إن عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة قفز ٨,٨ في المئة العام ١٩٩٧م ثم زاد ٣,٣ في المئة في النصف الأول من العام ١٩٩٨م ووصل بذلك إلى نحو ١٧٠ ألفاً.

وأكد متحدث باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية دقة الإحصاءات.

وجاء في التقرير إنه بحلول يونيو وصل عدد المستوطنين اليهود في الضفة وغزة إلى ١٦٩٣٣٩ مستوطناً، وأرجع التقرير نصف الزيادة إلى النمو الطبيعي للسكان والنصف الآخر لاستيعاب مستوطنين جدد.

وانهارت محادثات السلام الفلسطينية الإسرائيلية العام الماضي بسبب قضية توسيع المستوطنات، ودعت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية إسرائيل إلى «وقف» أنشطتها الاستيطانية.

وجاء في التقرير أن نصف عدد المستوطنين اليهود يعيشون في تسع مستوطنات من بين ١٤٤ مستوطنة في الضفة وغزة.

وقالت وزارة الإسكان الإسرائيلية إن نحو ربع الوحدات السكنية التي أقامتها الحكومة في مستوطنات الضفة في الفترة ما بين الأعوام ١٩٨٩م و ١٩٩٢م، لا تزال شاغرة.

أحفاد الصليبيين يحملون رسالة اعتذار

أعلن رئيس مسيرة المصالحة في الشرق الأوسط مافيد هاند «إطلاق مسيرة المصالحة المؤلفة من مواطنين مسيحيين غربيين منحدرين من نسل الصليبيين آتين إلى الشرق لمد يد المصالحة إلى شعوبه».

أضاف هاند في مؤتمر صحافي عقده في نقابة الصحافة أن المسيرة «بدأت العام ١٩٩٦م، في ذكرى مرور ٩٠٠ عام على بدء الحروب الصليبية، وتسعى إلى الإسهام في مستقبل أكثر تفاؤلاً من خلال المصالحة الشخصية وجهاً لوجه مع أهل الشرق الأوسط.

وقال: «إن جميع المتدربين يحملون رسالة اعتذار وتوبة إلى المسلمين واليهود والمسيحيين الشرقيين، وإلى أي جماعات أخرى قاسى أسلافها المذابح»، موضحاً أن «منظمي هذا النشاط لا يمثلون أياً من الجماعات المسيحية المحلية في الشرق الأوسط، ولم يسعوا بالتالي إلى إشراك ممثل تلك الجماعات في البرنامج».

وأمل هاند «في أن ينجح في تتبع خط سير الصليبيين معتذرين عما فعلوه ومظهرين المعنى الحقيقي للصليب، ونحن نأسف أشد الأسف لما اقترفه أسلافنا من جرائم شنيعه متسترين باسم المسيح».

منظمة الصحة العالمية

مدمنو المخدرات تجاوزوا ١٩٠ مليون شخص

كشف تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن حجم تجارة المخدرات على مستوى العلام تجاوز ٤٠٠ مليار دولار سنوياً، وأن عدد المدمنين في العالم تجاوز ١٩٠مليون شخص، ورجح التقرير أن تجارة المخدرات تعد أحد المصادر المهمة لتمويل الحروب الطائفية في أنحاء العالم.

وأوضح التقرير، الذي من المقرر أن تخصص لجنة الصحة في مجلس الشعب المصري واجتماعات خاصة لمناقشته، أن هناك نحو مئة مليون طفل مدمن يجوبون شوارع العالم، على الرغم من الجهود الدولية التي تبذل من أجل الحد من انتشار المخدرات بشتى أنواعها، وأضاف التقرير أن هناك تحولاً عالمياً من تعاطي المخدرات التقليدية المنتجة من مواد نباتية مثل الحشيش والهيروين إلى المخدرات التخليقية مثل عقار النشوة «اكستاسي».

وقالت المنظمة في تقريرها إن عدد الذين توفوا من تعاطي المخدرات خلال حقبة الثمانينات تجاوز المئة ألف نسمة في العالم، مؤكدة أن متعاطي المخدرات ينتشرون في أفريقيا وآسيا وأوروبا بالدرجة الأولى.

وذكر التقرير أن جنوب أفريقيا من أكثر الدول تضرراً من المخدرات من بين دول جنوب وشرق أفريقيا، وأن ٦٠ في المئة من الكوكائين يصنع عملياً في جنوب أفريقيا وغربها.

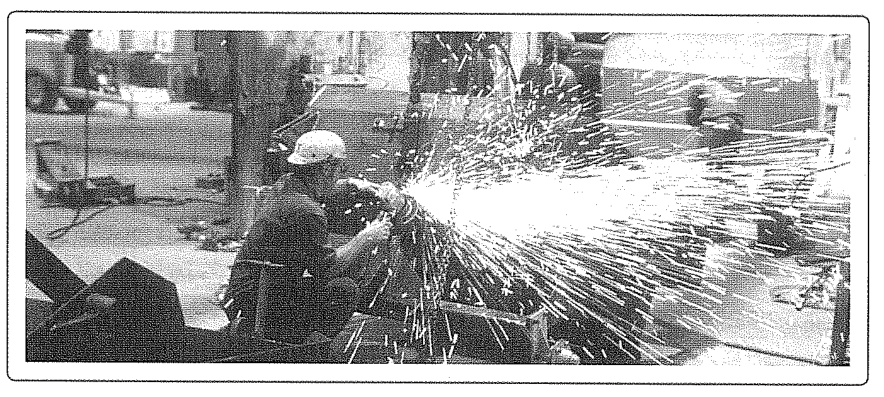
ورصدت منظمة الصحة العالمية أن منظمة غرب آسيا من كبرى مناطق توريد المخدرات في العالم، حيث تشكل أفغانستان وباكستان مصدراً لنحو ٧٥ في المئة من الهيروين المضبوط في أوروبا و ٢٥ في المئة من الهيروين المضبوط في الولايات المتحدة.

حجم قوة العمل الخليجية ٣٦٪ من إجمالي العاملين في الخليج

قالت دراسة أصدرها مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية إن القوى العاملة المحلية في دول المجلس لا تشكل إلا ما نسبته ٣٦ في المئة من إجمالي القوة العاملة في هذه الدول والبالغة ٨ ملايين عامل تقريباً من أصل ما يقرب من ٢٥ مليون هم عدد سكان دول مجلس التعاون.

لكن الدراسة التي أعدها الدكتور سليمان القدسي أوضحت أن معدل نمو القوة العاملة في منطقة الخليج ينخفض سنوياً وبشكل واضح حيث كانت نسبة النمو في الفترة من العام ١٩٧٥م وحتى العام ١٩٨٠م ١٠ في المئة، ثم انخفضت في الفترة من ١٩٨٥م وحتى العام ١٩٩٥م إلى ٣,٥ في المئة، وأرجعت الدراسة انخفاض نسبة نمو القوة العاملة إلى انخفاض أسعار النفط.

وفي مقابل انخفاض نسبة النمو الكلية في القوة العاملة سجلت الدراسة ارتفاع نسبة نمو المعروض من العمالة المحلية أي من أبناء دول المنطقة وليس العمال الوافدين حيث ذكرت الدراسة أن هذا المعروض كانت نسبته ١,٥ في المئة بين الأعوام ١٩٧٥م - ١٩٨٠م ثم تطورت إلى ٤ في المئة بين الأعوام ١٩٨٥م و ١٩٩٥م.



وأكدت الدراسة أن المواطنين الخليجيين يميلون إلى العمل في القطاع العام ويعود ذلك لأسباب اقتصادية، حيث يوفر القطاع العام لهم فرص العمل الدائم والأمن الوظيفي والعلاوات الإضافية والحقوق التقاعدية إضافة إلى مرونة ساعات العمل في هذا القطاع.

ويستعرض الباحث بعض نسب احتمال التوظيف في القطاع العام، مستقياً هذه النسب من دراسته على سلطنة عُمان، إذ تبلغ هذه النسبة نحو ٧٧ في المئة، وهي عند النساء ٨٨ في المئة ، وعند الرجال ٧٥ في المئة، وتوصلت الدراسة إلى أن احتمالية التوظيف في القطاع العام تزداد بشكل واضح مع التعليم، فالمتعلمون تعليماً أعلى يتمتعون باحتمالية أعلى للتوظيف في القطاع العام، الأمر الذي يزيد من الطلب على التعليم، وتوصلت الدراسة ومن خلال الإحصاءات إلى أن التوظيف في القطاع العام يميل نحو الزيادة مع التقدم في السن بالنسبة للعمالة الوافدة، وذلك بعكس الحال بالنسبة للمواطنين، فالعمالة الأجنبية الأفضل تعليماً أكثر ميلاً للتوظيف في القطاع العام من أقرانهم تعليماً.

وتؤكد الدراسة أن الطلب على العمالة الأجنبية هو في جوهره طلب على المهارات الأجنبية التي يسعى مواطنو دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية لاكتسابها حالياً، لذا فمن المفترض أن الطلب على العمالة الأجنبية كما تشير الدراسة هو طلب عابر ويهدف إلى تحسين الإنتاجية.



الملتقى المصرفي الإسلامي الخامس ينعقد في البحرين

يناقش الملتقى المصرفي والمالي الإسلامي الخامس الذي من المقرر انعقاده في البحرين خلال الفترة ما بين ٥ ـ ٧ ديسمبر المقبل الدور الذي ستلعبه المصارف الإسلامية خلال العقد المقبل.

وقال فيكتور هوكن الرئيس التنفيذي للملتقى إن القطاع المصرفي الإسلامي يشهد نمواً قوياً في الوقت الحالي وأنه يتطور بسرعة، وأشار إلى أن البنوك العالمية تنتشر بسرعة أكبر من نظيرتها التقليدية حيث بدأ منافسون جدداً بدخول الأسواق وشرعت البنوك الاستثمارية بنشر أجنحتها المتخصصة في هذا المجال الاستثماري فيما بات التعامل مع المصارف والعمليات البنكية الإسلامية خياراً جذاباً للمستثمرين والمقترضين على حد سواء.

ونظراً لانتقال هذا القطاع المصرفي نحو عصر جديد من التطور والتنافس سيخصص الملتقى الخامس لهذا العام موضوعاً رئيسياً لفعالياته تحت عنوان «العمل المصرفي الإسلامي نحو عصر جديد».

وأشار هوكن إلى أن هدف الملتقى تعزيز تبادل المعلومات في القطاع والتوعية الشاملة بمفاهيم العمل المصرفي الإسلامي وممارساته في أنحاء العالم.

ومن المواضيع الرئيسية الأخرى التي ستناقش موضوع التغييرات الإدارية، وموضوع التحضيرات اللوجستية للعام ٢٠٠٠ في القطاع المصرفي الإسلامي، والاقتصادات الاجتماعية ومسؤوليات القطاع المالي الإسلامي بهذا الخصوص.

وأضاف هوكن أن ملتقى هذا العام سيشهد مشاركة خبراء في مجال العمل المصرفي الإسلامي وكبار المسؤولين الحكوميين وكبار رجال الأعمال.

وسيضم الملتقى المصرفي والمالي الإسلامي أربعة عناوين رئيسية هي: البنى الأساسية، وتمويل المشروعات، إدارة الصناديق الإسلامية، التكنولوجيا للمؤسسات المالية الإسلامية والتأمين الإسلامي «التكافل».

ويتوقع أن يتيح ذلك للمشاركين التركيز على المجالات المطروحة ضمن نطاق اختصاصاتهم وفي الوقت نفسه الاحتكاك مع المشاركين الآخرين المتخصصين في حقول قريبة وبالتالي الاستفادة المشتركة بين الأطراف المختلفة.

وسيتم خلال الملتقى عقد الكثير من المحاضرات وتشمل «تسويق النشاط المصرفي الإسلامي للقرن الحادي والعشرين» وأخرى حول مبادئ الشريعة من خلال دراسة حال خاصة سلمت لمجلس الشريعة الاستشاري التابع للملتقى، والمحاضرات الأخرى تشمل تصنيف الأدوات والمؤسسات المالية الإسلامية، تطوير النشاط المصرفي الإسلامي الخاص، الإجراءات المحاسبية للمؤسسات المالية الإسلامية، وأخيراً مبادئ إدارة الأصول في إطار التمويل الإسلامي.

محفظة البنوك الإسلامية تدعم أسطول النقل البحري السعودي بـ ٣٩ مليون دولار

قرر البنك الإسلامي للتنمية عبر محفظة البنوك الإسلامية التي يديرها البنك الإسهام في بناء سفينة شحن حاويات بمبلغ ٣٩ مليون دولار، ما يعادل ٧٠ في المئة من قيمة السفينة لصالح الشركات الوطنية للنقل البحري ومقرها العاصمة السعودية الرياض وذلك بطريقة الإجارة المنتهية بالتمليك لمدة عشر سنوات بما فيها سنتان فترة الإعداد.

وأوضح بيان صحفي صادر عن البنك أنه وقع الاتفاق عن محفظة البنوك الإسلامية نائب رئيس البنك الإسلامي للتنمية للعمليات عثمان سيك وعن الشركة الوطنية للنقل البحري مدير الشركة عبدالله الشريم، يذكر أن محفظة البنوك الإسلامية أنشئت العام ١٩٨٧م، برأسمال ٣٨٠ مليون دولار وتضم في عضويتها ٢٠ بنكاً ومؤسسة مالية إسلامية، وهي صندوق استثماري يتولى البنك الإسلامي للتنمية إدارته وتهدف إلى تجميع واستثمار السيولة المتاحة لدى البنوك الإسلامية، وتوجيه هذه السيولة نحو تمويل عمليات التجارة والإجارة في الدول الأعضاء مع التركيز على القطاع الخاص، ووقع أمس البنك الإسلامي للتنمية اتفاقين لتمويل عمليتي تجارة خارجية لاستيراد مواد خام من دول أعضاء بالبنك لصالح الجمهورية التونسية بمبلغ إجمالي قدره ٢٠ مليون دولار، وينص الاتفاق الأول حسب بيان صحفي صادر عن البنك أمس على قيام البنك بتمويل استيراد فحم حجري وحديد وزنك خام من دول أعضاء بالبنك بمبلغ عشرة ملايين دولار لصالح الشركة التونسية لصناعة الحديد، بينما ينص الاتفاق الثاني على قيام البنك الإسلامي للتنمية بتمويل استيراد كميات من عجينة الورق بنوعيها «طويلة وقصيرة الألياف» من دولة عضو بالبنك بمبلغ عشرة ملايين دولار لصالح الشركة الوطنية التونسية لعجين الحلفا والورق.

يذكر أن إجمالي التمويلات المعتمدة من البنك للتنمية لصالح الجمهورية التونسية بلغت حتى الآن ٧٨٠ مليون دولار شملت الاسهام في تمويل الكثير من مشاريع البنية الأساسية وتمويل الكثير من عمليات التجارة الخارجية.

الإيدز يخفض معدل الأعمار عشرين عاماً في جنوب أفريقيا

قال اختصاصي في انتشار الأوبئة يشارك في مؤتمر حول احتواء نتائج فيروس الإيدز أن الإيدز قد يخفض معدل الأعمار في جنوب أفريقيا من ٦٠ إلى ٤٠ عاماً بحلول العام ٢٠١٠م.

وأعلن أنطوني كينغهورن: «إنه أحد الدلائل المتوقعة على خطر تفشي هذا الوباء أن يزيد في العقود المقبلة، مشيراً إلى أن جنوب أفريقيا التي تعد ثلاثة ملايين من إيجابيي المصل وفق إحصاءات الأمم المتحدة تعتبر ثاني دولة في العالم بالنسبة لعدد الأشخاص المصابين بفيروس الإيدز.

وبما أن هذا البلد شديد الكثافة فإنه نسبة إيجابيي المصل ١٢ في المئة من السكان، تبقى أدنى مقارنة مع الدول الأفريقية الأخرى.

وبصورة عامة فإن أفريقيا الجنوبية هي المنطقة الوحيدة في العالم التي يزيد فيها معدل الإصابة بوتيرة سريعة إذ إن عدد الأشخاص الذين يصابون بالفيروس يومياً يقدر بـ ١٥٠٠ شخص، ويرى كينغهورن أن فيروس الإيدز قد يضر بالجهود الرامية إلى تنمية البلاد، فقال: «إن العبء على المجتمع سيكون ثقيلاً لدرجة نعجز معه عن تلبية الحاجات الناجمة عنه».

وتابع من الأهمية بمكان أن يأخذ التخطيط الآن في الاعتبار «نتائج المرض» للتأكد من إمكانات مواجهته»، وأعرب عن ارتياحه بأن الحكومة تواجه المشكلة من جميع نواحيها وبأنها لم تعد تعتبرها مجرد مشكلة صحية.

وأطلق نائب الرئيس في بومبيكي حملة حكومية ترمي إلى إشراك جميع قطاعات المجتمع في مكافحة مرض الإيدز.

انخفاض معدل الخصوبة في المغرب

أفاد تقرير يتعلق بالوضعية الديموغرافية والصحة الإنجابية في المغرب أن معدل الخصوبة سجل انخفاضاً محسوساً وذلك منذ الثمانينات وبخاصة في الوسط الحضري بعد أن كان في حدود ٢,٨ في المئة خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٧١م.

وأوضح التقرير الذي وزعته وزارة الصحة المغربية في المؤتمر الطبي حول أمراض النساء والولادة الذي انعقد أخيراً في مدينة مراكش المغربية بمشاركة أكثر من ٤٠٠ اختصاصي دولي في ميدان الصحة الإنجابية أن وتيرة النمو الديموغرافي في الوقت الحالي أصبحت ١,٦ في المئة سنوياً، مما يبين أن المغرب شرع بالفعل في ولوج المرحلة المسماة «بالانتقال الديموغرافي»، وأضاف أن ٥٠ في المئة من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥ و ٤٥ عاماً استعملن سنة ١٩٨٥م إحدى وسائل منع الحمل المتعارف عليها في حين لم يتعد هذا الرقم نسبة الـ ١٩ في المئة سنة ١٩٨٠م، مبرزاً تبني الوزارة لنظام «صحي ذي مرجعية تراتبية.

وأشار التقرير إلى أن معدل الحياة في المغرب سجل ارتفاعاً بلغ ثلاث سنوات تقريباً وبخاصة ما بين سنتي ١٩٨٧م و ١٩٩٤م، لينتقل من ٦٥ عاماً إلى ٦٨ عاماً.

المغرب يضع برنامجاً للتصدي لمشكلات العنف التي تواجه المرأة

أفاد مصدر رسمي في الرباط أن المغرب وصندوق الأمم المتحدة للسكان وقعا يوم ١٩٩٨/٩/١٨م اتفاقاً ينص على تطبيق برنامج للتصدي للمشكلات التي تواجهها المرأة المغربية في ميادين «الزواج والطلاق والعنف».

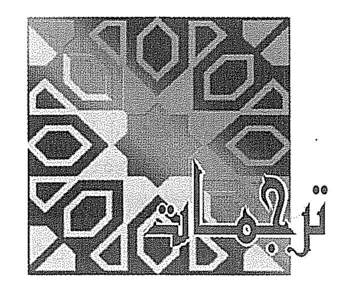
ووصف وزير العدل المغربي عمر عزيمان ونائب صندوق الأمم المتحدة للسكان في الرباط فانسان فوفو الاتفاق الذي وقعه بأنه الأول من نوعه في العالم العربي.

وينص البرنامج على تطبيق نظام لجمع المعلومات ومراقبة العنف الذي تتعرض له النساء في المغرب لفترة عامين وسيسمح للمحاكم المغربية بالنظر في ١٢ ألف ملف سنوياً، حيث غالباً ما تتعرض المرأة للعنف أثناء الزواج أو بسبب الطلاق كما تستفيد من البرنامج بعض المنظمات غير الحكومية المدافعة عن حقوق المرأة لتوعية الرأي العام في شأن العقبات التي تعوق عملية تحرر المرأة في المغرب.

وقال عزيمان أثناء حفل التوقيع إن الدراسات تسمح لنا التعرف بدقة على المشكلات التي تلاقيها النساء وتحديد نقاط الضعف والخلل والظلم.

وأكد أننا نعرف في المغرب أن العنف الموجه ضد النساء يكون متعدد الأشكال مضيفاً أن الدراسات والتحليلات التي سيتم التوصل إليها في إطار هذا البرنامج ستسمح لنا بأن نتعرف على هذا المرض الاجتماعي بشكل أفضل، وبالتالي احترام «القوانين» التي تعاقب الاعتداءات على المرأة.

يذكر أن عدد سكان المغرب يبلغ ٢٧ مليون نسمة ٥٠ في المئة منهم من النساء وتفيد الأرقام الرسمية أن ٥٥ في المئة من سكان المغرب أميون.



أوضاع المسلمين ... في فرنسا

ترجمة : منصور أبو العينين عن مجلة الأيكونومست

طالما افتخر الفرنسيون بقدرتهم على إذابة هويات الوافدين الأجانب في بوتقة المجتمع الفرنسي، حتى يصبحوا جزءاً لا يتجزأ منه، لدرجة أنه يصعب التمييز بينهم وبين مواطني البلاد الأصليين، ويعكس هذا ما يحدث في الدول الغربية الأخرى، ذات الجنسيات المتعددة، كالولايات المتحدة وبريطانيا، فإن الهدف الرئيسي للفرنسيين هو تشويه الخصائص الثقافية والدينية للقادمين الجدد للإقامة والعيش في بلادهم إلى أن يصبحوا جزءاً من المجتمع الفرنسي لا يمكن تمييزهم بسهولة عن مواطني البلاد الأصليين.

فقد يكون الوافد أسمر البشرة، أو مجعد الشعر، لكن يجب عليه أن يحيا بين أفراد المجتمع الفرنسي كما لو كان واحداً منهم، إذ من الواجب عليه أن يتحدث اللغة الفرنسية، وأن يتناول الأطعمة الفرنسية ويرتدي الملابس الفرنسية، ويراعي التقاليد التي تميز المجتمع الفرنسي.

غير أن هذا الأسلوب الذي يسمونه «التماثل أو الاندماج والاستيعاب»، لا يتطور ليصل إلى الإجبار على التحول الديني بالنسبة للمهاجرين الجدد لاعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية التي يعتنقها الفرنسيون، ففي فرنسا - الشديدة العلمانية - تتمتع جميع الأديان بالحرية الكاملة، لكن ممارسات الشعائر والطقوس الدينية لمختلف الجاليات يجب أن تتم بشكل متحفظ ومقيد ومحدود، وحتى تذكر فرنسا المسلمين بهذا المبدأ، كتب «جين كلود بارو» مستشار وزير الداخلية الفرنسي لشؤون الهجرة، وهو قس كاثوليكي سابق، يقول: «للإسلام مكان في فرنسا، بشرط ألا تتم ممارسة شعائره بشكل مثير، فقد بدأ الأمر يتفاقم منذ السبعينات من هذا القرن لأن مبدأ الدمج العنصري الذي تنتهجه فرنسا لم يكن يسير بالشكل الذي يجب أن يسير عليه: فقد اعتادت فرنسا أن تتعامل مع الديانات الأخرى بمبدأ الامتصاص والاستيعاب، وهي أن تتوقع من تلك الجاليات أن تذوب في المجتمع الفرنسي، لكن الواقع أن ما حدث في تلك الفترة لم يكن كذلك، ربما كان ذلك بدعوى احترام الأصول العرقية والعادات المختلفة... إلى آخر هذه الدعاوى، ومع ذلك فإنه عندما يهاجر شخص، فمن المتوقع أن يبدل ليس وطنه فحسب، وإنما تاريخه أيضاً.

إن الأجانب الذين يأتون للإقامة في فرنسا يجب أن يدركوا جيداً أنه من الآن فصاعداً قد بات عليهم أن يؤمنوا بضرورة أن يلتزموا بالتقاليد العريقة لفرنسا كما لو كانوا أحفاداً لأجداد فرنسيين، وأنه قد أصبح لهم وطناً جديداً هو فرنسا، لكن المتطرفين الإسلاميين قد وفدوا إلى فرنسا وقد امتلأت عقولهم بمعتقداتهم كما امتلأت حقائبهم بالأسلحة والمتفجرات، إن فرنسا تعاني الآن من تهديدات حقيقية تعتبر جزءاً من موجة هائلة للأصولية الإسلامية التي تجتاح العالم كله.

كان هذا هو الحال منذ عامين مضيا، وفي قمة تفاقم أزمة ما أسموه «قضية الحجاب الإسلامي في فرنسا، والتي أثيرت عندما قامت بعض المدارس هناك بطرد طالبات مسلمات بسبب ارتدائهن الحجاب الإسلامي في مدارسهن، وقد رافقت هذه الأحداث موجة اعتقال العشرات من مؤيدي الجماعات الإسلامية المتطرفة في الجزائر، غير أن الواضح الآن قد تغير إلى حد ما، وإن كانت قضية الحجاب الإسلامي في المدارس الفرنسية لم يتم حلها بشكل نهائي بعد.

ولقد عبّر كثير من البريطانيين الذين يزورون فرنسا - والذين كانوا قد تعودوا على رؤية الشباب الهنود السيخ في انكلترا مرتدين عماماتهم - عن دهشتهم لإصرار المسؤولين الفرنسيين على إرغام الطالبات المسلمات على عدم ارتداء الحجاب الإسلامي، مع العلم بأن المحكمة الدستورية الفرنسية قد قررت في أكتوبر الماضي أنه بالرغم من قيام وزارة التعليم بمنع أي مظاهر دينية واضحة، فإنه ليس من حق المدارس أن تمنع الطالبات المحجبات من دخول المدارس، طالما كانت هذه المظاهر الدينية لا تحرض بشكل سافر طالبات أخريات على تغيير دياناتهن.

غير أن تضييق الخناق على من يشتبه فيهم بدعم أو مساندة المتطرفين الجزائريين في فرنسا لايزال مستمراً، وربما زاد حدة على أثر انتشار موجة التفجيرات التي نسبت إلى العناصر الجزائرية المتشددة في فرنسا العام الماضي، والتي كانت حصيلتها مقتل عشرة أشخاص، وإصابة مئة وخمسين آخرين، وقد تمت محاكمة عدد كبير من المشتبه فيهم انتهت بإيداع نحو مئتي إسلامي متشدد السجون الفرنسية لينفذوا أحكاماً بعقوبات مختلفة، بينما لا يزال الجدال يحتدم حول ما أصاب فكرة «الاستيعاب والذوبان» في أسلوب الحياة الفرنسية للمهاجرين الجدد من ضعف نتيجة الإجراءات الأخيرة.

القانون الفرنسي يمنع أي ذكر أو استفسار حول الديانة في إحصاءات تعداد السكان، الأمر الذي يجعل الحصول على أرقام دقيقة للفئات الدينية المختلفة هناك أمراً عسيراً، لكن يعتقد أن ما بين أربعة إلى خمسة ملايين مسلم يعيشون في فرنسا، وبهذا الرقم تعتبر فرنسا - من دون أدنى شك - الدولة الأولى التي يقيم فيها أكبر جالية إسلامية من بين دول أوروبا الغربية، كذلك يعتبر الدين الإسلامي هو الديانة الثانية في فرنسا بعد الديانة المسيحية.

مواطنو دول شمال أفريقيا، المستعمرات الفرنسية السابقة، ومن أهمها الجزائر، إضافة إلى تركيا، يشكلون أكبر جالية إسلامية في فرنسا، حصل نحو نصفهم على الجنسية الفرنسية منذ وصولهم إلى البلاد، إما لأنهم ولدوا هناك لآباء غير فرنسيين، أو بسبب الزواج من فرنسيات أو بالتجنيس العادي.

من هؤلاء المسلمين يتمسك نحو ٦ في المئة بالعقيدة الإسلامية بشكل قوي ومتشدد، في حين يمارس ١٠ إلى ١٥ في المئة منهم الشعائر الدينية في المساجد بصورة عادية «وهي نسبة المسيحيين نفسها الذين يترددون على الكنائس هناك»، بينما يلتزم أغلبية المسلمين في فرنسا بالشعائر والقواعد الإسلامية من صلاة وصوم وامتناع عن تناول لحم الخنزير، وشرب المسكرات وغيرها، بالرغم من كل ذلك، فإنه من الصعب التعميم بشأن جميع المسلمين في تلك البلاد، فهم لا يشكلون جماعة

متماسكة ومترابطة ومتحدة، فقد جاؤوا من ١٢٠ دولة مختلفة، وينتمون إلى جماعات عرقية متنوعة، فمنهم السود والآسيويون والعرب والأوروبيون، وقد فشلت محاولات سابقة لإنشاء اتحاد يمثلهم ويتكلم باسم جميع الجاليات الإسلامية في فرنسا.

المواطن الفرنسي العادي لا يهتم كثيراً بهذا التنوع في أصول المسلمين المقيمين في بلاده، فهو يعتبر المسلم مرادفاً «للعربي»، وينظر إليه هناك باعتباره عربياً، لا يفرق بين كلمة «مسلم» و«عربي» من حيث دلالة ومعنى كل كلمة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الذكريات المؤلمة لماضي فرنسا الاستعماري، ولا سيما خلال الحرب الجزائرية ومقاومة الجزائريين للاستعمار الفرنسي في بلادهم خلال الأعوام من ١٩٥٤م إلى ١٩٦٢م.

كذلك، فإن هذا الخلط بين «العربي» و «المسلم»، يرجع إلى تصاعد التطرف الإسلامي حول العالم وربطه بالإرهاب العربي.

وقد كشف استطلاع للرأي نشر أخيراً، أن هناك نحو ثلثي الفرنسيين يعتقدون أن فرنسا يقطنها «عرب كثيرون جداً»، كما يقطنها «مسلمون كثيرون جداً».

وقد عبّر نحو نصف الفرنسيين الذين اشتركوا في الاستفتاء عن شعورهم بالكراهية الفطرية والغريزية لما يسمونهم «المغاربة»، نسبة إلى مواطني المستعمرات الفرنسية السابقة في شمال أفريقيا، هؤلاء الفرنسيون الذين عبروا عن هذا الرأي بلغ عددهم ضعف أقرانهم الذين اعترفوا بكراهيتهم للسود في فرنسا.

وقد تزايد كره الفرنسيين للمسلمين، ولاسيما بعد أن بدأت أعدادهم تتزايد هناك منذ الحرب العالمية الثانية، وقد كانوا في البداية موضع ترحيب كقوة عمل تحتاجها البلاد خلال ما أسموه «الثلاثين عاماً المجيدة» لسرعة النمو الاقتصادي الفرنسي حينذاك، ولكن سرعان ما بدأ المسلمون يواجهون الكراهية والبغض بعد الأزمة الاقتصادية التي عانت منها البلاد في أعقاب أول صدمة سببتها أزمة البترول الشهيرة في بداية السبعينات.

وقد أصدرت الحكومة قانوناً في العام ١٩٧٤م يحظر السماح للأيدي العاملة الأجنبية بالعمل في البلاد، ورغم ذلك استمر تدفقهم بمعدل مئة ألف مهاجر سنوياً بسبب قدوم عائلاتهم من الخارج.

وقد رافق هذه الموجات من المهاجرين ارتفاع معدل البطالة الذي كان دون نصف مليون عاطل في منتصف السبعينات إلى أن وصل عددهم إلى أكثر من ثلاثة ملايين عاطل الآن، وتشير أصابع الاتهام إلى المهاجرين باعتبارهم يسرقون الوظائف من الفرنسيين أصحاب البلاد الأصليين، ولعل هذه الأسباب هي التي دعت شخصاً مثل «جين ماري لوبان» رئيس الجبهة الوطنية إلى المطالبة بطرد ثلاثة ملايين مهاجر من فرنسا وإصدار قانون يعطي المواطنين الفرنسيين حق الأولية في التعيين بالوظائف والإسكان والرعاية الاجتماعية.

وهكذا، ضاعت في زحام الأوضاع المتغيرة تلك الأصوات التي تطالب بضرورة إذابة المسلمين في المجتمع الفرنسي، إذ يقول كثير من الفرنسيين والمسلمين على السواء: إن ذلك غير ممكن بسبب الاختلاف الهائل في الثقافات، بينما يعترض على هذا الرأي أصحاب نظرية «الاستيعاب والامتصاص» قائلين إنها مسألة وقت، مستشهدين في ذلك بموجات المهاجرين الأول مثل البولنديين والإيطاليين الذين عانوا من التفرقة عندما وفدوا إلى فرنسا، لكنهم الآن أصبح من الصعب تمييزهم عن الفرنسيين الأصليين، ويعبّر أصحاب هذه النظرية عن ابتهاجهم بما يدعونه من ظهور بوادر تؤكد أن المسلمين في فرنسا يفقدون هويتهم المميزة تدريجياً، وعلامات ذلك هو عجز أطفالهم عن تكلم لغتهم الأم، وارتفاع نسبة الزيجات المختلطة بين المسلمين والفرنسيين، إضافة إلى حالات أخرى تؤكد صدق هذه النظرية، كذلك يقولون إن الصعوبات الاقتصادية التي تمر بها فرنسا حالياً، ولا سيما ارتفاع معدلات البطالة فيها، إضافة إلى الخصائص العرقية المميزة للمسلمين العرب تعني ببساطة أن استيعابهم في المجتمع الفرنسي قد يستمر وقتاً أطول، إلى حد ما، أكثر مما استنفذه البولنديون والإيطاليون من قبل.

من ناحية أخرى، يعبّر الكثيرون من المسلمين في ابتهاجهم ببطء سير عمليات الاستيعاب والامتصاص أو الذوبان لهوياتهم في المجتمع الفرنسي، قائلين إنها ستفشل تماماً، ولن يكتب لها النجاح، والدليل على ذلك أن المهاجرين المسلمين الأول لا يزالون متمسكين بدينهم وعقيدتهم، أما الذين وفدوا إلى فرنسا خلال العقد الماضي فهم أكثر ورعاً وأشداً التزاماً.

والدليل على ذلك، أنه حتى منتصف السبعينات كان عدد المساجد في فرنسا لا يتعدى اثني عشر مسجداً، بينما فاق عددهم الآن عن ألف مسجد، ومن بينها ثمانية مساجد ضخمة يتسع الواحد منهم لأكثر من ألف مصلّ، كما بدأ ظهور النوادي الرياضية والتعليمية الإسلامية في المناطق التي يقطنها المسلمون، كذلك انتشرت محلات بيع اللحوم المذبوحة طبقاً للشريعة الإسلامية في كل مكان يقيم فيه هؤلاء المهاجرون.

كما أن أعداد الطالبات اللائي يرتدين الحجاب في فرنسا في ازدياد مضطرد، وعلاوة على ذلك، فإن المساحات المخصصة لمدافن المسلمين قد ظهرت على خرائط البلدية وقد اتسعت رقعتها، ويطالب المسلمون هناك بأن تقوم الدولة بإنشاء مدارس إسلامية بتمويل حكومي كما هو الحال بالنسبة للمدارس المسيحية الكاثوليكية واليهودية، كما يطالبون بأن توافق الدولة على اعتبار الأعياد الدينية الإسلامية أعياداً رسمية تعطل فيها الأعمال.

ولقد سببت كل هذه الأمور إحباطات عميقة للكثيرين من غير المسلمين في فرنسا، الذين يعتقدون أن المهاجرين المسلمين وأبناءهم وأحفادهم قد بدأوا يشكلون تهديداً، ليس فقط في مجال العمالة وتوظيف الفرنسيين فقط، بل للهوية الفرنسية ذاتها، على حد قولهم، وهناك أقاويل يثيرها أعضاء الجبهة الوطنية الفرنسية بأن فرنسا تواجه خطر الغلبة والسيادة الإسلامية، وبالرغم من هذه التصورات، فإن كل الدلائل تؤكد أن مثل هذه المخاوف تبدو سخيفة ولا أساس لها في الواقع، ذلك أن معظم العرب، حتى هؤلاء الذين ولدوا ونشؤوا في فرنسا يجدون أنفسهم منبوذين من المجتمع الفرنسي الذي يعيشون فيه منذ ولادتهم وذلك من خلال نسبة البطالة العالية التي يعانون منها، ومن خلال المساكن الحقيرة التي يعيشون فيها، ومن التفرقة العنصرية اللاإنسانية التي يعاملون بها، وعلاقات الشرطة السيئة معهم.

ولعله من غير المثير للدهشة أن هناك قطاعات من الناس، معظمهم من اللادينيين، وغيرهم من الشباب العربي الساخطين على أوضاعهم، يعتنقون الدين الإسلامي، إلا أن الوضع لا يعدوا منهم أكثر من بحث عن جالية أو مجتمع يحتضنهم، وهوية تميزهم أكثر من كونه تطرفاً دينياً، ومع أن القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية وثقافتهم وتقاليدهم قد تساعد، أو تؤدي إلى تمسكهم بالعقيدة الإسلامية نصاً وروحاً، فإنه من السابق لأوانه القول إن ما يسمى «إعادة الأسلمة» ستنتشر في فرنسا. ■

حديقة

إعداد :
أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال تعالى :

﴿ إن المتقين في جنات وعيون. ادخلوها بسلام آمنين. ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين. لا يمسهم فيها نَصب وما هم منها بمخرجين. نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾.

الحجر : ٤٥ ـ ٤٩

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

رواه البخاري

حكمة

« البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت ! اعمل ما شئت فكما تدين تدان ».

ألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث

في اللغة العربية كلمات يجوز فيها التذكير والتأنيث ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

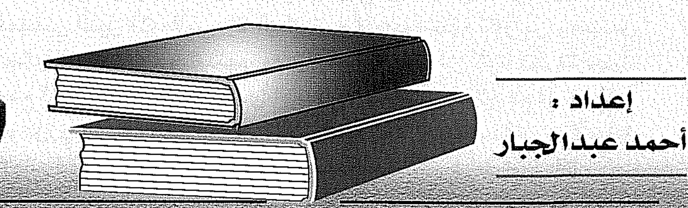
كلمة «السبيل» أي الطريق، فيذكر كما جاء في قوله تعالى في سورة الأعراف آية ١٤٦: (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً) والجمع على التذكير «سُبُل» ويؤنث كما جاء في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي) والجمع على التأنيث «سُبُول».

ومن الكلمات التي يجوز فيها أيضاً التذكير والتأنيث «السِّكين»، وسمي بذلك لأنه يسكن حركة المذبوح، وحكى ابن الأنباري فيه التذكير والتأنيث والتذكير أكثر.

أما التأنيث فعلى معنى «الشفرة» وأنشد الفراء : (بسكين موثقة النصاب).

واجبات العاقل

حق الله عز وجل التعظيم والشكر.
حق السلطان الطاعة والنصيحة.
حق العاقل على نفسه الاجتهاد في الخيرات واجتناب السيئات.
حق الخلطاء الوفاء والبذل للمعونة.
حق العامة كف الأذى وبذل الندى وحسن المعاشرة.



جمال وليس كالجمال

في القرآن الكريم ثلاث كلمات وصفها الله سبحانه بوصف واحد هي :

١ ـ الصبر : قال تعالى : فصبر جميل.

٢ ـ الهجر : قال تعالى : واهجرهم هجراً جميلاً.

٣ ـ الصفح : قال تعالى : فاصفح الصفح الجميل.

وقد فسر الإمام ابن تيمية رحمه الله هذا الوصف لهذه الكلمات فقال : الصبر الجميل هو الذي لا مشتكى فيه إلا لله سبحانه وتعالى، والهجر الجميل هو الذي لا إيذاء فيه للشخص الذي هجرته، والصفح الجميل هو الذي لا منَّة فيه على من صفحت عنه.

أمثال

جاء في كتاب معجم الأمثال العربية :

السعيد من وعظ بغيره.

والشقي من وعظ بنفسه.

والفرص تمرُّ مَرَّ السحاب، وآفة العلم النسيان.

أي الأحمال أثقل ؟

قيل لحكيم : أي الأحمال أثقل؟ فقال: الغضب، سئل ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن الغضب والحزن أيهما أشد؟ فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً، ومن هنا أخذ المتنبي قوله: وحزن كل أخي حزن أخو الغضب

موعظة

كان صالح اللخمي الدمشقي شاعراً وحكيماً، وقد ذُكر عنه أنه وعظ ابنه مرة فقال: يا بني إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى فكم مسلوب دينه ونزوع ملكه ومهتوك ستره ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية.

التلخيص والخلاصة

التلخيص هو إبراز النص الأصلي في عدد قليل من الكلمات مع الحفاظ على صلب النص المكتوب.

أما الخلاصة فهي استخراج جوهر المقال في أقل عدد ممكن من الألفاظ وهي بذلك تمثل قدرة القارئ على صهر المقال واستخراج جوهره.

وفي العدد المحدود من الكلمات تعطي صورة أمينة لأصل المقال ومن ثم يمكن القول إن الخلاصة هي لب التخليص.

في الجنة ألين منك

كان عبدالعزيز بن رواد إذا جنَّ الليل يأتي فراشه فيتحسسه بيده ويقول: إنك للين، والله إن في الجنة لألين منك، ولا يزال يصلي الليل كله، وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراشاً فنام عليه حتى فاته ورد فحلف ألا ينام بعدها على فراش أبداً.

ثلاث

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه : ثلاث من كن فيه كمل :

من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق.

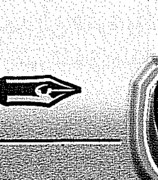
وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل.

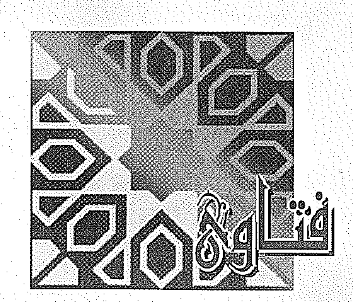
وإذا قدر عفى وكف.

فصيح

إن يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد







حكم المأكولات المضاف إليها لحوم الخنزير

ما حكم المأكولات التي تُضاف إليها مواد مصنوعة من شحوم أو عظام الخنزير ؟

أجابت اللجنة بما يلي :

إذا استحال دهن الخنزير أو عظمه عن طبيعته، ثم أضيف إلى المأكولات فلا مانع من أكلها. أما إن بقي دهن الخنزير أو عظمه على طبيعته ثم أضيف إلى المأكولات فإنه لا يجوز أكلها.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساءا على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

الزينة عند النساء والذهاب إلى الأسواق

أ ـ هل يسمح الإسلام للمرأة أن تتزين... كيف ومتى؟

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز، بل يستحب أن تتزين المرأة لزوجها، ولا بأس أن تتزين في بيتها على ألا تظهر بذلك أمام الأجانب لقوله الله تعالى: (ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن) النور: ٣١.

ب ـ هل يجوز للمرأة أن تصبغ أظافرها؟

أجابت اللجنة بما يلي:

صبغ الأظافر نوع من الزينة، وحكمه حكم سائر الزينة، ولكن إذا كان الصبغ بمادة عازلة فيجب إزالته عند الوضوء أو الغسل من الحيض والنفاس والجنابة.

ج ـ هل يجوز للمرأة أن تنمص من حاجبيها؟ وهل يجوز أن تقص شعرها مع تغطية الرأس؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان قصها لشعر رأسها يجعلها متشبهة بالرجال فهو محرّم، وفيما عدا ذلك يجوز لها أن تقصه تخفيفاً أو تجميلاً، ولا يجوز لها الحلق إلا أن يكون ذلك لضرورة، وأما تغطية الرأس فهو جائز إلا أنه واجب أمام الرجال الأجانب، ولا يجوز للمرأة أن تنمّص من حاجبيها.

د ـ هل يجوز للمرأة أن تذهب إلى السوق «سوق الخضراوات» لقضاء حاجات المنزل، أو هل من الواجب على الرجل أن يترك للمرأة حرية التصرف في نفسها في البيت وحرية التصرف في إدارة البيت بما في ذلك شراء لوازم البيت وغيرها من حاجيات وضرورات المنزل دون أن يقوم هو بهذه المهمة؟ وهل يجوز للزوجة أن تعمل خارج البيت؟

أجابت اللجنة بما يلي:

ذهاب المرأة إلى السوق وحرية تصرفها في المنزل وفي إدارة البيت وشراء لوازم البيت ... والعمل خارج البيت كل ذلك من المباحات، ما لم يترتب على ذلك مفسدة بأن تهمل شؤون بيتها أو تتبرج أو تتزين بحيث تلفت أنظار الأجانب أو نحو ذلك، كما يجب أن يكون خروجها من المنزل لمثل هذه الأمور بإذن الزوج.

التعزير بأخذ المال

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات بالمزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة :

إذا كان صاحب الحيوانات معروفاً لا يجوز بيعها إلا برضاه، وترد إليه وتحصّل منه الغرامة، أما إذا لم يُعلم صاحبها تجرى عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها، أما إذا لم يعرف صاحبها بقيت مدة إلى أن يغلب على الظن أنه لا يطلبها أحد، ثم تُباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها أن لا يطلبها أحد أيضاً، ثم تنفق هذه الأموال بعد ذلك في المصالح العامة.

خروج المعتدة للعمل

المرأة الموظفة المتوفى عنها زوجها حاملاً كانت أو غير حامل، هل يجوز لها الاستمرار في العمل أم الانقطاع طيلة مدة العدة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن المتوفى عنها زوجها لا يجوز لها الخروج من بيتها إلا لضرورة، فمثلاً يُباح لها أن تخرج بالنهار لعملها المعتاد على ألا تتزين بأي نوع من أنواع الزينة سواء باللباس أو غيره، كما أنه يجب عليها أن تبيت في منزل الزوجية الذي كانت فيه عند الوفاة وذلك مدة العدة وهي مدة الحمل لمن كانت حاملاً أو أربعة أشهر وعشرة أيام إن لم تكن حاملاً.

الوصية بالثلث

١ - أرجو الإفادة عن كيفية إخراج الزكاة لنقود مودعة لدى بنك ربوي ومجمّدة منذ نحو خمس سنوات ونصف السنة الميلادية، علماً بأن هذه النقود لوالدتي المتوفاة منذ العام ١٩٧٩م، وقد أوصت شفوياً قبل موتها بأن يكون ثلث المبلغ المودع نتصرف نحن ورثتها به بما هو خير، كما أرجو بيان كيف نتصرف في الأرباح والفوائد؟

- أجابت اللجنة:

يجب عزل المبلغ الذي حصل من الربا «الفوائد» على أن ينفق هذا المبلغ كله «أي الفوائد» في وجوه الخير العامة، ما عدا الصرف على المساجد وطبع المصاحف.

ثم يجب تنفيذ الوصية بإخراج ثلث المبلغ الباقي بعد عزل الفوائد وإخراج الزكاة إن علم الورثة أنها لم تكن تخرج الزكاة عن تلك الأموال.

وفي حال عدم إخراج الزكاة بعد وفاة المورثة فالواجب ما يلي:

إخراج الأموال الربوية ثم إخراج ثلث ما بقي بعد ذلك تنفيذاً للوصية، ثم يوزع المبلغ على الورثة بحسب أنصبتهم الشرعية، ويكون كل وراث مسؤولاً عن إخراج الزكاة عن ماله في هذه الفترة منذ وفاتها إلى أن وصل إليهم المبلغ.

كما أن عليهم نقل هذه الأموال إلى بنك غير ربوي أو استثمارها في وجه شرعي، على أنه إذا كان تجميد المبلغ بعد الوفاة قد حصل رغم إرادة الورثة، فإنه لا زكاة فيه إلا بعد قبضه عن سنة واحدة فقط.

٢ - أرجو الإفادة عن كيفية إخراج الزكاة عن الذهب وشهادات الأسهم الموجودة منذ وفاة الوالدة؟ هل نخرج الثلث من الذهب وشهادات الأسهم؟ وإذا كان يجب إخراج هذا الثلث هل تجب عليه الزكاة وما مقدارها؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت المتوفاة قد أوصت بإخراج ثلث مالها فيجب على الورثة إخراج ثلث الذهب وإخراج ثلث مقدار الأسهم الموجودة يوم وفاتها، أما إذا اقتصرت الوصية على المبالغ المودعة في البنك فالجواب كما تقدم ذكره آنفاً.

٣ - أرجو الإفادة عن عقار مستأجر لوالدتي وهذا الدخل (أي الإيجارات الشهرية) يتم توزيعها بالتساوي على الورثة شهرياً ولم نحتفظ بالثلث المطلوب حسب الوصية الشفوية وذلك منذ تاريخ الوفاة، والاستفسار كما يأتي: هل يجب حصر قيمة الإيجارات منذ تاريخ الوفاة وإخراج ثلث الوالدة؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يعرف جواب هذا السؤال من جواب الأول والثاني، فإن كانت الوصية منصرفة إلى ثلث المال كله فعليهم إخراج ثلث قيمة العقار وثلث الإيجارات التي حصلت منه منذ الوفاة، وهي ديون في ذمتهم تصرف مصرف الوصية، أما إن كانت الوصية محصورة في الأموال النقدية فقط، فلا يجب إخراج شيء عن الإيجارات المتحصلة عن المدة اللاحقة أي فيما بعد الوفاة.

تعدد لفظة الطلاق

حدث شجار بيني وبين زوجتي وقلت لها مرة في حال غضب ومن دون نية: إن دخلت معهم إلى البيت فأنت طالق لأنها تركتني وأنا واقف معها ودخلت مع أخيها ووالدي البيت، وقلت لها اللفظة نفسها ثلاث مرات أخرى وجميعها في حال غضب وعصبية وبعد كل مرة كان ينفض الخلاف ونمارس حياتنا العادية الزوجية وربما في اليوم نفسه.

وسألته اللجنة :

متى تزوجت وكم مرة نطقت بالطلاق؟

قال: تزوجت منذ أربع سنوات وتلفظت على زوجتي بلفظة الطلاق أربع مرات.

ما ظروف الطلقة الأولى؟

قال: هذه الطلقة حصلت بعد سنة ونصف السنة من زواجنا بسبب خلاف عائلي وسوء تفاهم فتدخل أخوها فقلت لزوجتي: إن دخلت معه تبقي طالقاً وأقصد به تخويفها.

ما ظرف الطلقة الثانية؟

بسبب خلافات بيننا قلت لها أنت طالق، بسبب عصبيتي، والطلقة الثالثة مثل الطلقة الثانية.

- ما ظروف الطلقة الرابعة؟

قال: حصلت هذه بسبب مشكلة، وقد تدخل أخي في الموضوع، وقالت لي زوجتي قبل أن تذهب مع أخي: مش أنت ستطلقني فقلت لها أنت طالق.

- **هل فعلت شيئاً أثناء الطلاق؟**

قال: يحصل مني التلفظ به أثناء الشجار وأحياناً أكسر التلفاز أو المروحة أو الأطباق، وهذا في المرتين الثانية والثالثة، وحصل أيضاً أن أشتمها وأشتم نفسي وهي لم تشتمني وقد ذكرت لفظة الطلاق أثناء التكسير.

- أجابت اللجنة بما يلي:

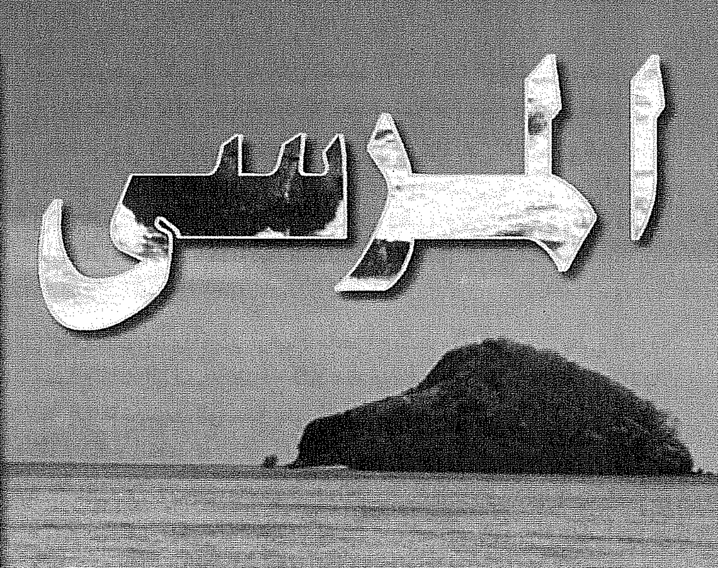
أنه وقع على زوجته طلقتان رجعيتان وتبقى معه على طلقة واحدة له مراجعتها مادامت في العدة، وبالنسبة للمرة الأولى فعليه كفارة يمين، وقد راجع زوجته بمعاشرته لها ونصحته اللجنة باتقاء الله في زوجته.

الحلف بالطلاق معلقاً

والدي خصص أرضاً لأخي الكبير من أجل أن يسكن فيها، وأصرّ أخي الكبير على السكن في هذه الأرض، فاعترضت أنا، وأردت أن أسكن في الأرض، ولكن والدي اعترض، وقال: اترك أخاك الكبير يسكن في الأرض، وأنت اسكن معي في البيت، فقلت: «عليَّ الطلاق لا أسكن في الأرض ولا أسكن في البيت»، مع العلم أن والدي غير راضٍ عني، إلا إذا وافقت على السكن معه في البيت.

- أجابت اللجنة بما يلي:

أنه إذا حنث في يمينه بأن سكن في الأرض أو مع والده فعليه كفارة يمين، وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام.



المرسى

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارئ ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع ...

الأهواء المجنّحة

علي مدني رضوان الخطيب

إنّ أهواء البشرية المجنحة اليوم لهي أشد عليها من عدو ظاهر بيّن في عداوته وربما تحملها تلك الأهواء على هتك المستور وتدميره، ثمة علائق أو وشائج تربط الأسر ببعضها بعضاً.

ولعل تهذيب وترشيد هذه الغرائز والعمل الدؤوب على توجيهها التوجيه الأمثل لهو خير مخلِّص لها من «أسر الضياع والعبث» الذي يحيط بكثير منها ويصرفها عما هو أجدى لها وأنفع... ولن يجد الشيطان في تزيينه وبث عداوته أسرع ولا أقدر من هذه النفوس البليدة والتي لاتملك حتى إرادتها، وعليه فلا يمكنها مجرد التفكير في غد أفضل وعيش طيب أو مظلة آمنة تدفع بها وعنها كمد العيش وصروف الزمان.

وكما أن العصفور لا يسعه إلا أن يخرج من قفصه طليقاً مختاراً يجوب فضاءات الزمان في نشوة وأمان، فكذلك النفس الحرة الأبية لن ترضى عن الحرية بديلاً... حرية الانعتاق من قيود الأسر ورتابة العيش، وقوانين التحكم، والسيطرة الجائرة والتي نسج الإنسان خيوطها بيده ليحرم إنساناً آخر - أنبته الله من طين الأرض - من حقه الطبيعي الحصول على هواء منعش معطر بعيداً عن شؤم المعصية، وزخم العيش، وملالة النفوس الكليلة، والقلوب القاتمة.

أوَليس من جناية النفس على النفس أن يصبح الإنسان ثم يمسي وهو لا يشعر بالعلة. رغم الصراخ والمعاناة والألم. لكن هيهات هيهات فقد سار الركب، وبلغ المنزل، وبقي هو ينعق من شدة الألم يبكي على الماضي التليد فيضغط أسنانه، ويعض أصابعه وهو يطلب فسحة أخرى، أو زمناً جديداً، (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد)، هذا فليتأمل العاقل.